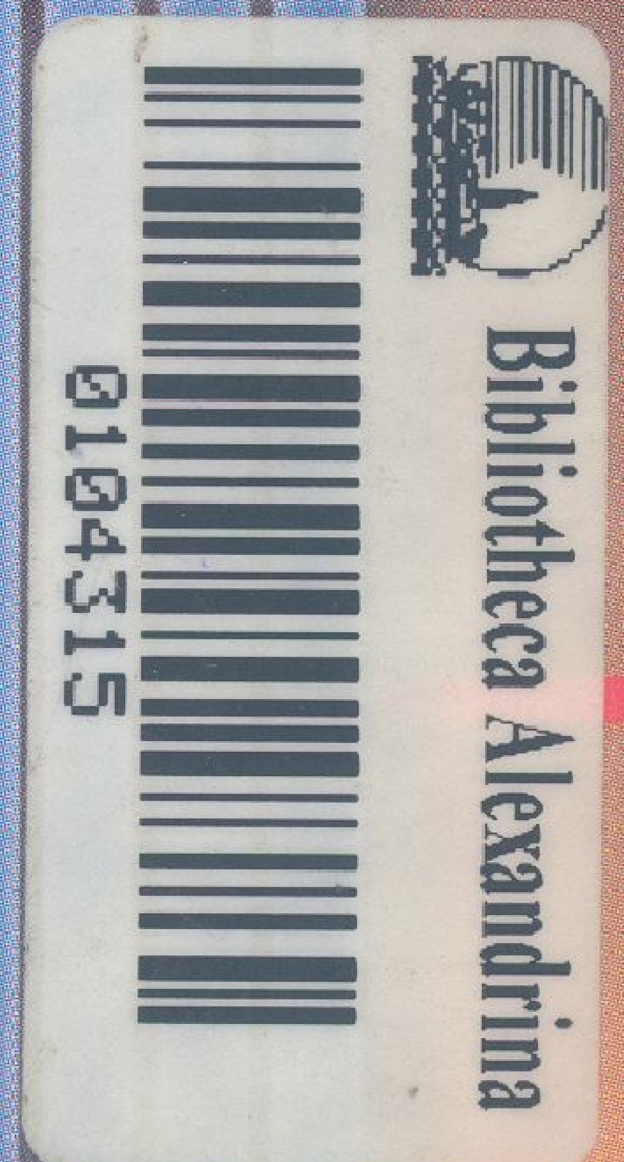


أمريكا القلعة

المجتمعات المغلقة في الولايات المتحدة





إدوارد ج. بلاكلى
مارى جيل سنايدر

ترجمة : عمر جاد

مركز الأهرام
للترجمة والنشر
الأهرام

أمريكا القلعة

المجتمعات المغلقة في الولايات المتحدة

إدوارد ج. بلاكلي
ماري جيل سنايدر

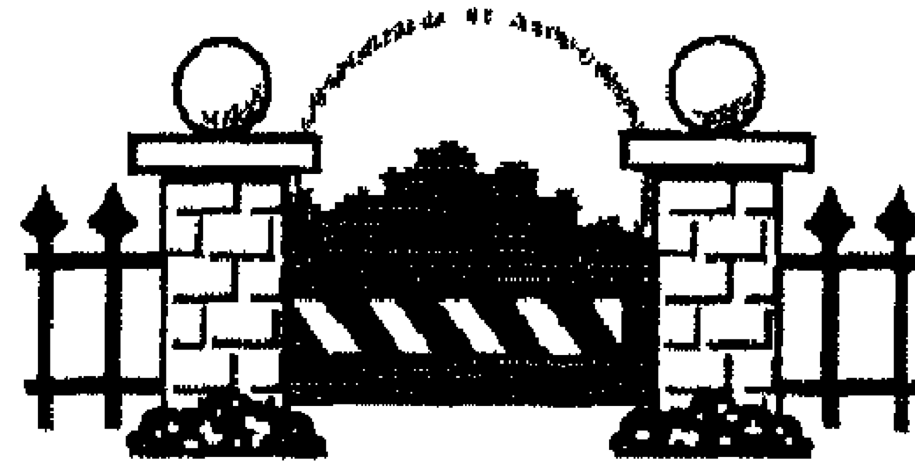
ترجمة: عمر جاد

FORTRESS AMERICA : GATED COMMUNITIES IN THE UNITED STATES
by Edward J. Blakely and Mary Gail Snyder
Licensed by The Brookings Institution, Washington, DC, U.S.A.

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة
تليفون : ٥٧٨٦٠٨٣ ـ فاكس : ٥٧٨٦٨٣٣

تمهيـــــد



اجتذبت المجتمعات المغلقة اهتماما كبيرا من جانب وسائل الإعلام ، مثيرة قدرا كبيرا من الجدل . فبالنسبة لأولئك الذين يحيون وراء الجدران ، ولهؤلاء المعارضين لها ، تظل المجتمعات المغلقة قضية مثيرة للمشكلات . فسكان المجتمعات المغلقة يرون أن الوضع الراهن لأمريكا الحضرية يبرر اختيارهم للمجاورة التى توفر لهم الأمن ، وبالمقابل يرى معارضو المجتمعات المغلقة أن عزل المجاورات وبناء الملاذات المسورة يزيد من تشرذم نسيجنا الاجتماعى والاقتصادى الهش .

وليست المجتمعات المغلقة مجرد شكل آخر للمستوطنة السكانية ، فهى جزء من تحول اجتماعى أكثر عمقا . والبوابات تعبير تصويرى ، من وجوه عديدة ، للعمليات المجتمعية الجارية فى المجال السياسى والاجتماعى بالأمة . ومثلها مثل قضايا اجتماعية عديدة كالهجرة ، والعمل الإيجابى ، والإجهاض ، ليس من المقصود أن يتم حسم الجدل حول بناء البوابات فى كتاب أو مقال أو منظومة بيانات . فهذا الكتاب يعكف على تأمل المسائل العريضة التى تطرحها المجتمعات المغلقة ، ويركز على المعقد منها : الحقوق والمسؤوليات الخاصة مقابل العامة ؛ والممارسة المجتمعية .

وهذا الكتاب معنى بالمجتمعات المغلقة ومعنى بسكانها ــ ماذا يريدون ، ولماذا اختاروا البوابات وكيف يحيون وراءها ، وهو معنى أيضا بالمجتمع وإلى أى مدى تعكس البوابات الأهداف والمعايير والعادات الاجتماعية القومية . وما نطرحه فيه من تساؤلات يتعلق بممارسات الحياة المجتمعية فى المناطق المغلقة ، وبالروابط المدنية والاجتماعية التى ينتهجها الناس سواء داخل البوابات أو خارجها . كما نعرض بالمناقشة لمسائل الأمن والجريمة والخصخصة والتمايز الاقتصادى والاجتماعى ، كسياق كلى يساعد على فهم سعى الأمريكيين لتحقيق تماسك اجتماعى فى زمان مضطرب .

ونحن نتوجه بهذا الكتاب للموظفين الحكوميين ، ولصانعى السياسة ، وللمربين وللرأى العام ــ للناس الذين يحيون داخل المجتمعات المغلقة والذين يعيشون خارجها ، وللناس المهتمين بالسبل التى نختارها لبناء تجمعاتنا ومجتمعنا . ومن خلال تقديم لرؤى السكان ، والمعارضين ، والمخططين والموظفين الحكوميين فإن هذا الكتاب يهدف إلى فتح المجال أمام مناقشة وحوار جادين . والأكثر أهمية أنه يلقى الضوء على جملة قضايا سياسية يتعين على الأمة أن تعالجها .

ويواجه الناس عبر البلاد قرارات صعبة حين يتعلق الأمر باختيار نظم إسكان لا تغير فقط من شكل المجتمع وإنما أيضا من شخصيته . وهذه مسائل ليس من السهل حلها ، كما لا يجوز أن نترك سياستنا العامة بشأن شكل مجاوراتنا ومدننا للمصادفة . فكل مدينة كبيرة أو صغيرة تتخذ قرارا فى هذا الشأن ، إنما تتخذ قرارا مهما وإن صغر مداه يمس النسيج الاجتماعى الوطنى بأسره . وهذا يصدق أيضا على قرار المواطنين أيا كانت صورته ، بشأن شكل المستوطنة المجتمعية والذى يؤثر بدوره فى النهاية على خصائص ذلك المجتمع وعلى خصائص الأمة ككل .

ولم يكن صدور هذا الكتاب ممكنا بدون الدعم المالى من قبل معهد لينكولن لسياسة استخدام الأراضى فى كامبريدج بولاية ماساتشوستس ، ومن المؤسسة التذكارية لجون هـ . سيمون جاجنهايم . ونخص بالشكر ديبورا مينيس وروزاليند جرينشتاين من موظفى معهد لينكولن اللتين رعتا مشروع الكتاب فى مراحله البحثية ، كما نوجه ثناء خاصا إلى إليس إينجرسون مديرة الإصدارات لما زودتنا به من مساندة ومن تعليقات ثمينة .

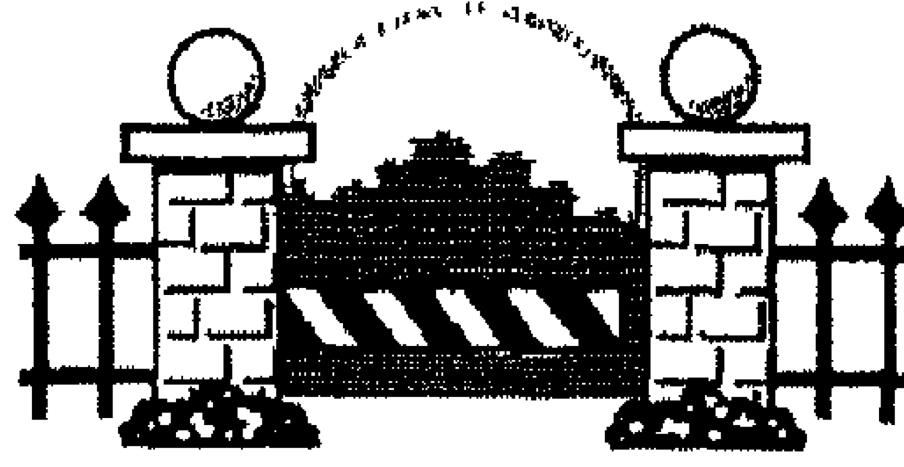
وقد أشرف معهد لينكولن أيضا على تنظيم يوم للحوار فى كامبريدج تلقينا خلاله كثيرا من الملاحظات والاقتراحات المفيدة ، وذلك خلال مرحلة مبكرة للمشروع ، لذا لزم توجيه شكرنا لمن شاركوا بهذا الحوار : بن شينتس من معهد لينكولن ؛ ودافيد ديلون من *دالاس مورنينج نيوز* ؛ وروبرت آينزوايلر من معهد لينكولن ؛ وإيللى لانج من شركة فيرست أميركان تايتل ؛ وسيلفيا لويس من الاتحاد الأمريكى للتخطيط ؛ وجارى بيفو من جامعة واشنطن ؛ ولين سيدواى من سيدواى وشركاه ؛ ودافيد سيويكى من جورجيا تك ؛ وجيردا ويكرلى من جامعة يورك ؛ وجيمس وينوكر من جامعة دينيفر . كما نعبر عن تقديرنا وامتناننا لآنتونى داونز من معهد بروكينجز ولثلاثة مراجعين لم يكشفوا هويتهم ، قاموا جميعا بقراءة المخطوط بعناية فائقة وزودونا بتعليقات قيمة أسهمت فى بناء الشكل النهائى للكتاب .

ونحن مدينون بالمثل لأعضاء الضيعة الرابعة . فمحررو الصحف كانوا مصدر معلومات لا تقدر . فمقالاتهم وتحقيقاتهم وضعتنا على الطريق بإرشادنا عن مواقع المجتمعات المغلقة وعن عدد من القضايا الاجتماعية والاقتصادية فى تلك المناطق . ولئن عجزنا عن ذكر كامل أسمائهم ، فنحن ممتنون للغاية بالفعل لمئات من الصحفيين ورؤساء التحرير .

وبصدد معاونتنا فى تنظيم زياراتنا الميدانية بمختلف المدن ، نوجه شكرنا لإيللى لانج ، وسيرجيو راميرز ، وريك شيمانسكى ، وفران توسكانو ، وجون تويت ، وفرانك تيرنر ، وبول واديل . وجيم كينج من اقتصاديات التنمية التطبيقية فى سكرامنتو بكاليفورنيا ، أسهم فى تسهيل مناقشاتنا مع المجموعات التى أجرينا الحوار معها بقدر ما زودنا برؤاه المفيدة . ونتوجه بالشكر أيضا لموظفى معهد التنمية الحضرية والإقليمية بجامعة كاليفورنيا فى بيركلى ، بما فيهم كريستين أمادو ، ومارثا كونواى ، وميهو رام ، وبوجه خاص مديرة المعهد باربرا هادنفلت التى قرأت وعلقت على مسودات المخطوط ، وكان كل من وندى جرين وإيللى توستادو المساعدين الإداريين لإيد بلاكلى بجامعة ساوثرن كاليفورنيا ، مفيدين بصفة مستمرة فى وجوه يصعب حصرها . ونحن ممتنون أيضا للمساعدة فى التحرير من جانب مجموعة بروكينجز : نانسى دافيد سن ، وجانيت ماورى (فى التحرير) وإنجى لوكوود (فى المراجعة) وكورت ليندبلوم (فى التصحيح) وديبورا باتون (فى الفهرسة) .

واخيرا ، فخلال الزيارات الميدانية ، واللقاءات مع المجموعـــات المختلفـــة فـــى مختلف أرجاء البلاد ، قام المئات بمنحنا وقتهم وتزويدنا بوجهات النظر . ولن نكشـــف عن هوية معظمهم ، ولكننا نتوجه بالشكر لهم جميعا .

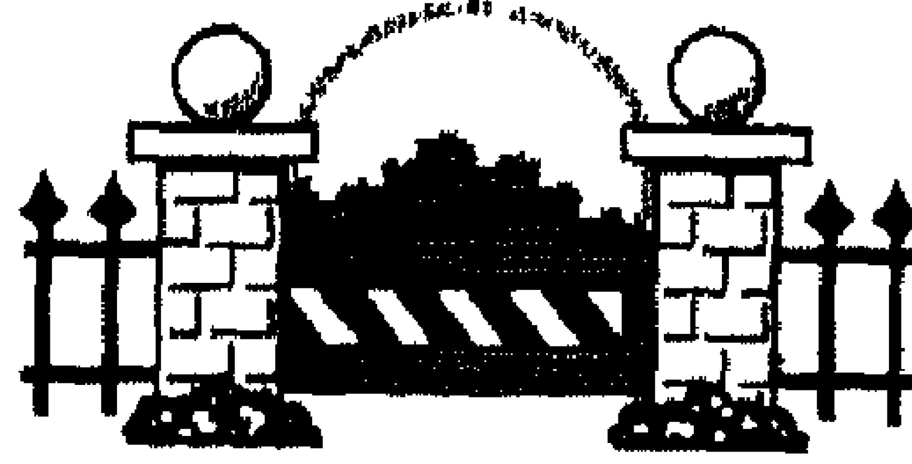
المحتويـــات



الصفحة

الفصـل الأول

بنــاء القــلاع



رسم الحدود عمل سياسى دائما ، فهى تحدد الانتماء ، البعض فى الداخل والبعض فى الخارج . كما تخلق الحدود وتبين الحيز اللازم لتسهيل نشاطات وأغراض الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وحيث يتعلق الأمر بأمريكا ، فإن استخدام الحيز الطبيعى لإنشاء حيز اجتماعى يعد من تقاليدها الموروثة .

إن المجتمعات المغلقة ببوابات ، وهى واحدة من أكثر أشكال تعيين الحدود السكنية إثارة ، ظلت تتكاثر عبر البلاد منذ أوائل الثمانينيات . فقد اختار ملايين الأمريكيين أن يعيشوا فى تجمعات سكنية مسورة ، كانت مندمجة من قبل فى حيز مدينى أكثر رحابة ومشاركة . ونحن نعنى بالحيز المدينى أكثر من كونه بنية سياسية أو ذات ولاية قانونية ، فهو بالأحرى تعبير عن مجتمع وعن ثقافة وعن المشاركة فى الحكم .

وفى عصرنا ، عصر التحولات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية المثيرة ، تزداد المخاوف بشأن المستقبل فى أمريكا . فالكثيرون يشعرون بأنهم مستهدفون ، ويساورهم القلق تجاه منازلهم واستقرار مجاوراتهم فى مواجهة تلك المتغيرات

السريعة . وينعكس ذلك فى زيادة الخوف من الجريمة غير المألوفة نوعا ومكانا ، وفى تزايد أساليب السيطرة على البيئة الطبيعية بغرض حفظ الأمن الشخصى والاقتصادى . إن ظاهرة المدن المسورة والمجتمعات المحتمية خلف البوابات ، تعبير درامى عن نشوء " عقلية القلعة " وتناميها فى أمريكا . فالبوابات والأسوار والحراسة الخاصة ، مثلها مثل سياسات صد الآخرين عن استخدام الأرض ، والضوابط داخل المنشآت وغيرها من أدوات التخطيط ، كلها وسائل للسيطرة تستخدم لتقييد أو للحد من الدخول لأماكن سكنية وتجارية عامة .

لقد اختار الأمريكيون العيش وراء الأسوار مع آليات أمن فعالة ليحولوا دون تطفل الآخرين على خصوصيتهم . وهم ، أيا كانت انتماءاتهم الطبقية ، يبنون قلاعهم بأمل الحفاظ على قيمة منازلهم ، ولتجنب الجريمة أو الحد من تأثيرها ، وللعيش مع جيران يشاركونهم الإحساس بنمط الحياة الطيبة . و " المنشآت القلعة " الجديدة تنتشر غالبا فى الضواحى ، مع تزايد المقابل لها فى قلب المدن الحضرية عددا . وهى أكثر من مجرد مقاطعة مسورة وملاذ من العنف الحضرى والمتغيرات السريعة بالمجتمع . إنها أيضا عملية بحث عن بيئة اجتماعية مرتبطة بالأرض ، المجتمع المثالى الذى يصبو إليه الأمريكيون منذ وصول الرواد الأوائل .

والمجتمعات المغلقة مناطق سكنية يجرى تقييد الدخول إليها بعد أن تم خصخصة ما كانت فى الأصل أماكن عامة . وهى منشآت مؤمنة وذات حدود مصممة عادة فى شكل جدران أو أسوار ومداخل تحت السيطرة للحد من تسلل غير المقيمين بها . وتشمل منشآت مستحدثة ومناطق أقدم عهدا زودت بأسوار وبوابات . وتمتد من داخل المدن حتى الضواحى خارجها ، ومن أغنى المجاورات إلى أكثرها فقرا . وتتراوح البوابات بين دور للحراسة مكونة من طابقين وتضم أطقم حراسة تعمل على مدار الأربع والعشرين ساعة ، وأخرى من الحديد تنزلق على عجلات ، وانتهاء بأذرع الكترونية بسيطة . وتشمل دور الحراسة عادة معبرا للضيوف والزائرين وآخر للمقيمين يفتح بواسطة بطاقة الكترونية أو بالشفرة أو بجهاز التحكم عن بعد . وتفرض بعض التجمعات التى يعمل الأمن بها على مدار الأربع والعشرين ساعة ، تفتيش السيارات كافة وتمييز سيارات المقيمين بملصقات خاصة ، بينما يستخدم البعض الآخر كاميرات الفيديو لرصد أرقام السيارات ، وأحيانا تصوير وجوه

الأشخاص الذين يمرون منها . أما المداخل غير المشمولة بالحراسة ، فتستخدم عادة أنظمة الاتصال الهاتفية (الإنتركوم) المزود بعضها بشاشات تتيح للمقيمين التعرف على الزوار .

وليست المساكن محل هذه الدراسة من نوع الشقق والمباني المشتركة متعددة الوحدات وذات الكثافة العالية ، والمزودة بأنظمة أمن أو بوابين ، وتحول البوابات عليها أو الحراس دون دخول العامة لقاعات مداخلها وردهاتها وأماكن إيواء السيارات فيها . فالمجتمعات المغلقة التي نعنيها لها طبيعة مختلفة . فأسوارها تحول دون تردد الجمهور على ما بداخلها من شوارع وأرصفة وحدائق وشواطئ وأنهار وممرات وملاعب ، أي كافة الموارد التي كانت ستغدو مفتوحة ومشاعة بين مواطني محلة ما لولا البوابات والأسوار المحيطة بها .

وفي تقديرنا ، فأكثر من ثلاثة ملايين أسرة أمريكية آثرت بالفعل هذا الملاذ الحديث عاصما لها من مشكلات الحضرنة .[(١)] ففي عام ١٩٨٥ كانت المجتمعات المسورة متناثرة في بضعة أماكن قليلة ، أما اليوم فهي موجودة في كل المناطق الحضرية الكبرى . وهذا التطور يعكس في جانب فكرة المجتمع باعتباره جزيرة وكحصن اجتماعي ضد تحلل النظام الاجتماعي في الحضر . وهو يعكس أيضا السعي الحثيث لإحلال الإدارة الخاصة محل المؤسسات العامة ومحل المسؤولية المشتركة للمواطنة الديمقراطية والتي هي مشاع بيننا . فالبوابات والجدران ليست نتيجة ضرورية أو طبيعية لهذه الاتجاهات الاجتماعية ، أو سببا لها ، بل هي بالأحرى عرض مثير لها .

إن البوابات والأسوار حول مجاوراتنا تمثل ما هو أكثر من مجرد عوائق مادية ، فالمجتمعات المغلقة تكشف عن عدد من التوترات : بين السعي لاستبعاد الآخر بسبب الخوف والحرص على الامتيازات مقابل قيم المسؤولية المدنية ، وبين الاتجاه نحو خصخصة الخدمات العامة ومثاليات الصالح العام والرفاهية العامة ، وبين الحاجة للسيطرة الشخصية والمجتمعية على البيئة مقابل خطر اغتراب المواطنين .

وكظاهرة ، فالمجتمعات المغلقة ترتب نتائج سياسية فادحة ، فهي تؤدي لانسحاب بعض المواطنين من دائرة الاتصال المجتمعي ، وإلى استبعاد الآخرين من المشاركة في امتيازاتهم الاقتصادية والاجتماعية. وتؤدي هذه النتيجة لتساؤل إيديولوجي يطرح

بدوره استقطابا بين وجهتى نظر : هل المجتمعات المغلقة تصوير مجازى للقلعة المنعزلة خالقة الجدران بين المواطنين ، أم هى الملاذ ضد القوى التى تهدد الأسرة والأمن الاقتصادى ونوعية الحياة ؟.

وفى جوهر دراستنا مسألة المدى الذى تعكسه المجتمعات المغلقة لمفهوم المجتمع والمواطنة فى أمريكا . فالقضية الحقيقية لا تتعلق بالبوابات والأسوار بحد ذاتها ، وإنما بالسبب فى شعور الكثيرين بالحاجة إليها . فما هو معيار الانتماء الوطنى عندما يتطلب تقسيم المجاورات وجود حراس وأسوار لإبقاء مواطنين آخرين على مبعدة منها ؟ وحيث تتحول الخدمات العامة ، وحتى الحكم المحلى ، إلى مشروعات خاصة ، وحين تتوقف مسئولية المجتمع عند بوابات التقسيمات الفرعية ؟ أى مصير ينتظر وظيفة الديمقراطية السياسية والاجتماعية بل ومفهومها ذاته ؟ هل يمكن لهذه الأمة أن تفى بعقدها الاجتماعى فى غياب الاتصال الاجتماعى ؟.

تطور المجتمعات المغلقة

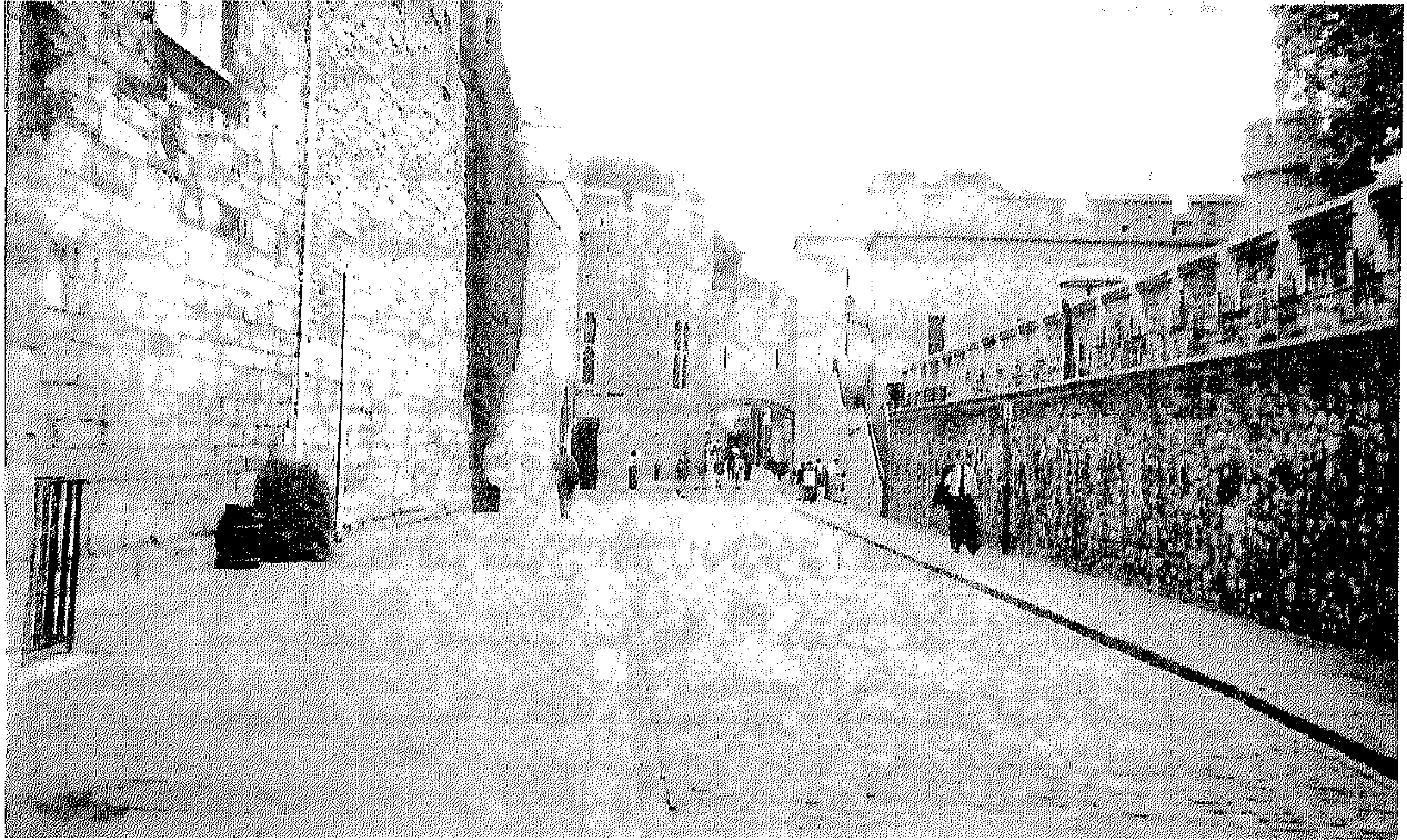
المدن المغلقة والمسورة قديمة قدم بناء المدن ذاتها . كان أول المجتمعات المغلقة بإنجلترا ذلك الذى بناه الرومان المحتلون حوالى عام ٣٠٠ ق.م. فبانقضاء فترة خدمتهم العسكرية ، كان الجنود الرومان يمنحون أراضى ومزارع فى المناطق القبلية بهدف دعم واستقرار النظام الرومانى فى الريف المترامى بامكانيات الدفاع المحدودة فيه . وقد تكتلت العائلات الرومانية فى تجمعات عنقودية بالقرب أو بداخل الأحياء المتاخمة لإقطاعيات البارونات ، حيث ابتنوا أسوارا ووسائل دفاعية أخرى . وخلافا للاعتقاد الشائع ، فلم يكن مقصودا بتلك الأسوار صد الغزاة الأجانب ، وإنما لحماية من بداخلها من القرويين المحليين الذين قد ينقلبون فى أى لحظة على البارون ، كما كان مألوفا مثل ثورة القبائل على السادة بسبب مظالم حقيقية أو متصورة . وفى وقت لاحق استخدمت القلاع للحماية من الغزاة أو الطوائف المحلية المتحاربة .

وعليه ، فنظم الأسوار والتقسيم الطبقى كان متجذرا بعمق فى إنجلترا ، وقد تترس الملوك المتعاقبين هنرى الأول وريتشارد الثانى وشارل الثانى ببرج لندن لحمايتهم إما من نبلائهم معتادى التمرد أو من القرويين العدوانيين والخطرين . ولأن لندن لم تعرف قوة شرطة حتى القرن الثامن عشر ، فقد لجأ الموسرون لبناء القلاع الكفيلة

بحمايتهم وذويهم من وحشية السكان المحليين ، ولا يزال بالإمكان مشاهدة هذا التراث فى المناطق الريفية حيث الأديرة والقصور والقلاع .(٢)

وفى العالم الجديد تم أيضا بناء المستوطنات العسكرية المسورة والمغلقة ، وكانت أولاها المدن الأسبانية المحصنة فى الكاريبى . وحتى النصف الأخير من القرن التاسع عشر لم تكن قد ظهرت بعد أولى المجاورات المغلقة المعدة خصيصا للسكنى . وفى أواخر القرن التاسع عشر بدأت المنشآت المغلقة لحساب أصحاب الدخول المرتفعة فى الظهور مثل توكسيدو بارك بنيويورك ، وكذا الشوارع الخاصة فى سانت لويس ، وقد ابتناها المواطنون الأثرياء ليعزلوا أنفسهم عن الجوانب المثيرة للمتاعب فى المدن الجارى تصنيعها بسرعة .(٣) وخلال القرن العشرين تم بناء المزيد من المجتمعات السكنية المغلقة والمسورة لأرستقراطية الساحل الشرقى وهوليوود بدافع من الرغبة فى الأمان والخصوصية والمكانة الاجتماعية ، بيد أن هذه المحميات المغلقة المبكرة تختلف عن التقسيمات الفرعية المغلقة فى يومنا هذا ، فقد كانت مكانا غير عادى لأناس غير عاديين .

لقد ظلت المجتمعات السكنية المغلقة شيئا نادرا حتى ظهور منشآت التقاعد المبنية فى إطار خطة شاملة ، وذلك فى نهاية ستينيات وسبعينيات القرن العشرين . فمنشآت التقاعد مثل ليجر وورلد كانت أول الأماكن التى أتيح للأمريكى العادى أن يعيش فيها خلف جدران . ولم تلبث البوابات أن انتشرت على المنتجعات ومنشآت النوادى الريفية ، ومنها للتقسيمات الفرعية لأبناء الطبقة الوسطى فى الضواحى . وفى الثمانينيات ، أدت المضاربة المتزايدة فى سوق العقارات مع الاتجاه الاستهلاكى الفج ، إلى انتشار المجتمعات المغلقة حول ساحات الجولف المصممة من أجل الحفاظ على الخصوصية والهيبة والرفاهية . وقد شهد هذا العقد أيضا ظهور مجتمعات مغلقة بنيت أساسا بدافع الخوف إثر تزايد قلق الرأى العام تجاه جرائم العنف . وبذا صارت البوابات متاحة فى منشآت الإسكان الأسرية بالضواحى ، وفى مجمعات الشقق ذات الكثافة السكانية المرتفعة داخل المدن . واعتبارا من نهاية الثمانينيات ، انتشرت البوابات بشكل ملحوظ فى مناطق عديدة فى البلاد وصولا لوقتنا الراهن ، حيث توجد مدنا مندمجة بالكامل متميزة بمداخل تحت الحراسة .

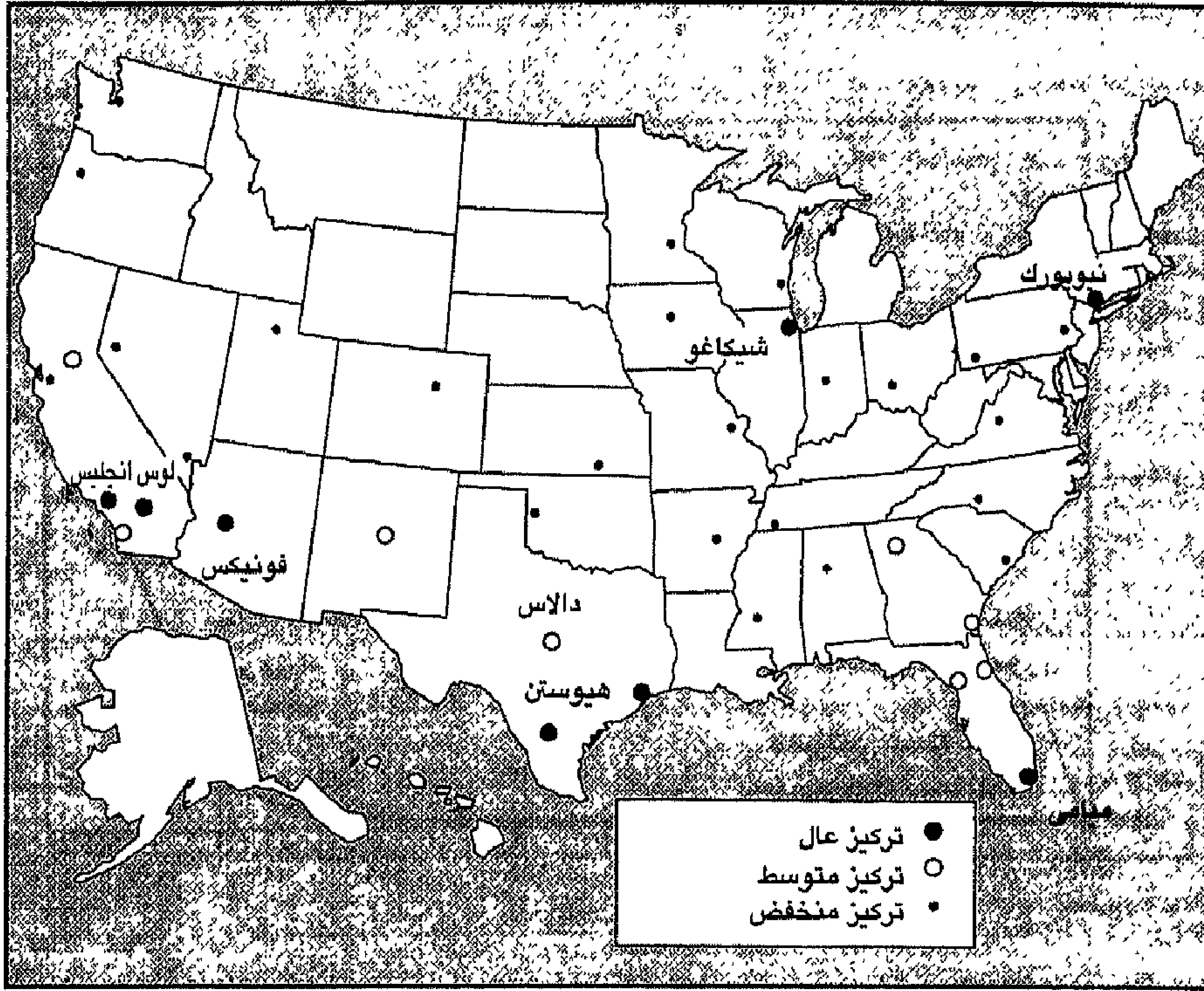


□ سور دير إنجليزى

ونظرا لأن بدايات المجتمعات المغلقة كانت المنتجعات ومناطق التقاعد ، فبالتالى كان أكثرها انتشارا بالولايات الواقعة بحزام الشمس فى الجنوب الشرقى والجنوب الغربى ، ومنها زحفت بإطراد للمناطق الحضرية بكل أنحاء البلاد حتى الشمال الشرقى ووسط الغرب والشمال الغربى حيث ينتعش الاتجاه لإقامة البوابات والأسوار . وبحديث الأرقام ، فإن كاليفورنيا وفلوريدا تحظيان بمعظم المجتمعات المغلقة ، تليهما تكساس وإن كان ذلك بفارق ملحوظ ، كما أصبحت المجتمعات المغلقة مألوفة حول نيويورك وشيكاغو وغيرهما من المراكز الحضرية الكبرى ، ولكنها توجد تقريبا بمختلف الأنحاء ، فى أوريجون وواشنطن وآيوا ومنيسوتا وويسكنسن وبنسلفانيا وأركنساس وماساتشوستس وهاواى وكانساس وميسورى ومتشيجان ونيفادا وضواحى كولومبيا، فرجينيا وماريلاند . ونظرا لأنها فى الأساس ظاهرة مرتبطة بالتكتل فى المناطق الحضرية ، فإنها تبدو نادرة بالولايات التى يغلب عليها الطابع الريفى مثل داكوتا وفرمونت وويست فرجينيا (انظر الشكل ١-١) .

ورغم أن المجتمعات المغلقة الأولى كانت وقفا على قرى ومجمعات التقاعد ودور بالغى الثراء ، فإن أغلب المنشآت الأحدث عهدا ، فيما بين السبعينيات والتسعينيات،

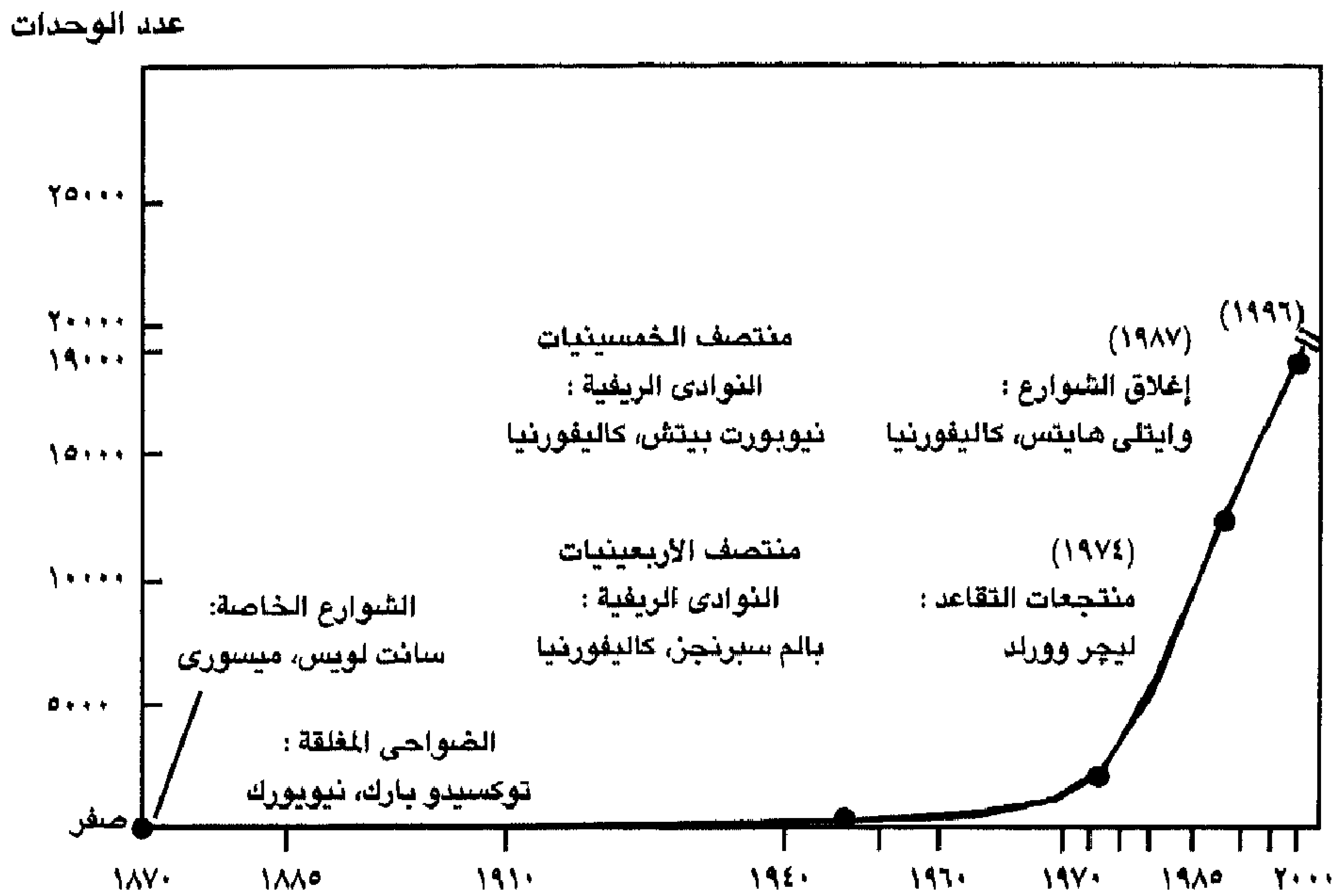
شكل (١-١) تركز المجتمعات المغلقة



عن مارتا كونواى ، معهد التنمية الحضرية والإقليمية ، جامعة كاليفورنيا ، بيركلى .

مخصصة للطبقة الوسطى وشرائحها العليا . وبصفة عامة ، فإن أراضى الحافة فى المناطق الجارى التخطيط لبنائها يراعى أن تكون مغلقة . كذلك يغلب وضع البوابات فى التجمعات الأكبر حجما ، حيث تؤدى الزيادة فى عدد الوحدات إلى خفض حصتها فى تكلفة بناء الأسوار وتجهيزات الحراسة . ولأسباب مشابهة فهى تنتشر حيث منازل المدن وغيرها من منشآت كثيفة السكنى ، إذ تكون حصة كل وحدة منخفضة بالقدر الذى يسمح للطبقة الوسطى بتحمل تكاليف إنشاء البوابات . بيد أن البوابات ليست مألوفة بعد لدى الفئات الدنيا من سلم الدخل حتى فى كاليفورنيا . وفى تقديرنا فإن ثلث المنشآت المغلقة ، وهى ذات مستوى فاخر ، تشغلها الطبقات الأغنى والشرائح العليا من الطبقة الوسطى ، وربما كان الثلث الثانى موجها لمشروعات التقاعد (انظر الشكل ١-٢) والباقى متاح أساسا للطبقة الوسطى ، ولا ينفى ذلك أن هناك عددا متناميا من المجتمعات المغلقة للطبقة العاملة .

شكل (١-٢) تزايد المجتمعات المغلقة ، ١٨٧٠-٢٠٠٠



عن كريستين آمادو ، معهد التنمية الحضرية والإقليمية ، جامعة كاليفورنيا ــ بيركلى .

وفى عام ١٩٩٧، كان التقدير أنه يوجد نحو عشرين ألف مجتمع مغلق يضم أكثر من ثلاثة ملايين وحدة .[٤] وهى فى زيادة مطردة فى مختلف المناطق وعلى كل المستويات . ويؤكد أحد كبار المخططين العمرانيين على المستوى الوطنى ، أن كل عشرة مشروعات حضرية جديدة ، بينها ثمانية مغلقة .[٥] كما أن المنشآت المحصنة بالضواحى آخذة فى الانتشار . وفى عام ١٩٨٨ كان الثلث تقريبا من ١٤٠ مشروعا إسكانيا فى مقاطعة أورانج بكاليفورنيا مغلقا ، وهو ما يمثل ضعف النسبة قبل خمس سنوات ، كما أفادت إحدى شركات البناء بذات المنطقة ، بأنه خلال عام ١٩٨٩ كان الطلب على المجتمعات المغلقة يربو على ثلاثة أمثاله بالنسبة للمجتمعات غير المغلقة.[٦] وفى وادى سان فرناندو القريب ، كان هناك نحو مائة مجتمع مغلق بنهاية عقد الثمانينيات وجميعها كان قد تم بناؤه منذ ١٩٧٩ تقريبا .[٧] وفى ١٩٩٠ توصل مسح أجرى على مشترى المنازل بجنوب كاليفورنيا إلى أن ٥٤ بالمائة منهم

كانوا يرغبون فى منزل داخل منشأة مغلقة ومسورة ، ولم يكن ليخطر على بال أحد طرح مثل هذا التساؤل قبل بضع سنوات .[٨] وفى لونج آيلاند ، كانت المجتمعات المغلقة نادرة حتى منتصف الثمانينيات ، بيد أنه بحلول منتصف التسعينيات أصبحت شائعة ، بل ومع إضافة مبنى حراسة على كافة البوابات تقريبا بالمنشآت المجمعة التى تضم أكثر من خمسين وحدة .[٩] ونفس الاتجاه يمكن تلمسه فى شيكاغو وضواحى آتلانتا ، وتقريبا فى كل المدن الرئيسية بأمريكا .[١٠]

إن الفصل الاقتصادى والاجتماعى ليس بالشىء الجديد . والواقع فإن تقسيم المناطق وتخطيط المدن جرى تصميمهما ــ جزئيا ــ بهدف الحفاظ على مكانة أصحاب الامتيازات من خلال تمايز ذكى فى شروط البناء والكثافة السكانية . غير أن المجتمعات المغلقة تذهب لحد أبعد من وسائل الصد والتمايز الأخرى فى أكثر من وجه . فهى تخلق حواجز مادية أمام حركة الأفراد ، وتؤدى لخصخصة المساحات المشاعة وليس الفردية فحسب ، كما أن مناطق عديدة مغلقة تؤدى لخصخصة مسئوليات مدنية مثل الحماية التى توفرها الشرطة ، وخدمات عامة كصيانة الشوارع ومناطق الاستجمام والترفيه . لقد أصبحت تلك المنشآت الجديدة قادرة على خلق عالم خاص بأقل حاجة للتعاون مع جيرانه أو مع النظام السياسى الأشمل .

والخطوة الأولى لبناء هذا العالم الخاص ، تتمثل فى السيطرة على الدخول إليه . ومنذ البداية ، اتجهت الضواحى لفصل سكانها عن المدينة أولا ، ثم عن بعضهم البعض . وبمرور الوقت، ابتكر المخططون العمرانيون وسائل متعددة لإحكام الرقابة على الدخول للمجتمعات المغلقة . وكان تصميم الشوارع الأداة الأثيرة لديهم لاستبعاد الغير وضمان الخصوصية بالضواحى . ولقد أعد مايكل ساوثورث موثقا عن كيفية سعى المخططين العمرانيين لعزل المناطق السكنية فى الضواحى بتغيير أنماط شبكات الشوارع القديمة فيها من مستقيمة ومتقاطعة ومتوازية إلى شكل أقواس تنتهى بساحات صغيرة تتجمع حولها المنازل.[١١] ومن شأن هذا النمط الجديد للشوارع إعاقة انسياب حركة السيارات ، ومن ثم يؤدى لنشوء تقسيمات فرعية أكثر استقلالية وأكثر تركيزا على ذاتها بدون ترابط فيما بينها ، الأمر الذى يسمح لسكانها بالسيطرة على موقعهم بسهولة . فالتخلى عن شبكة الشوارع المتقاطعة كان أداة مقصودة لتؤدى نفس الغرض من إقامة البوابات اليوم . فالشوارع الملتوية ذات النهايات المسدودة تحد

وتقيد من دخول غير المقيمين إلى المنطقة زوارا كانوا أم مجرمين ، حيث إنها تقف حائلا أمامهم (انظر الشكل ١-٣) .

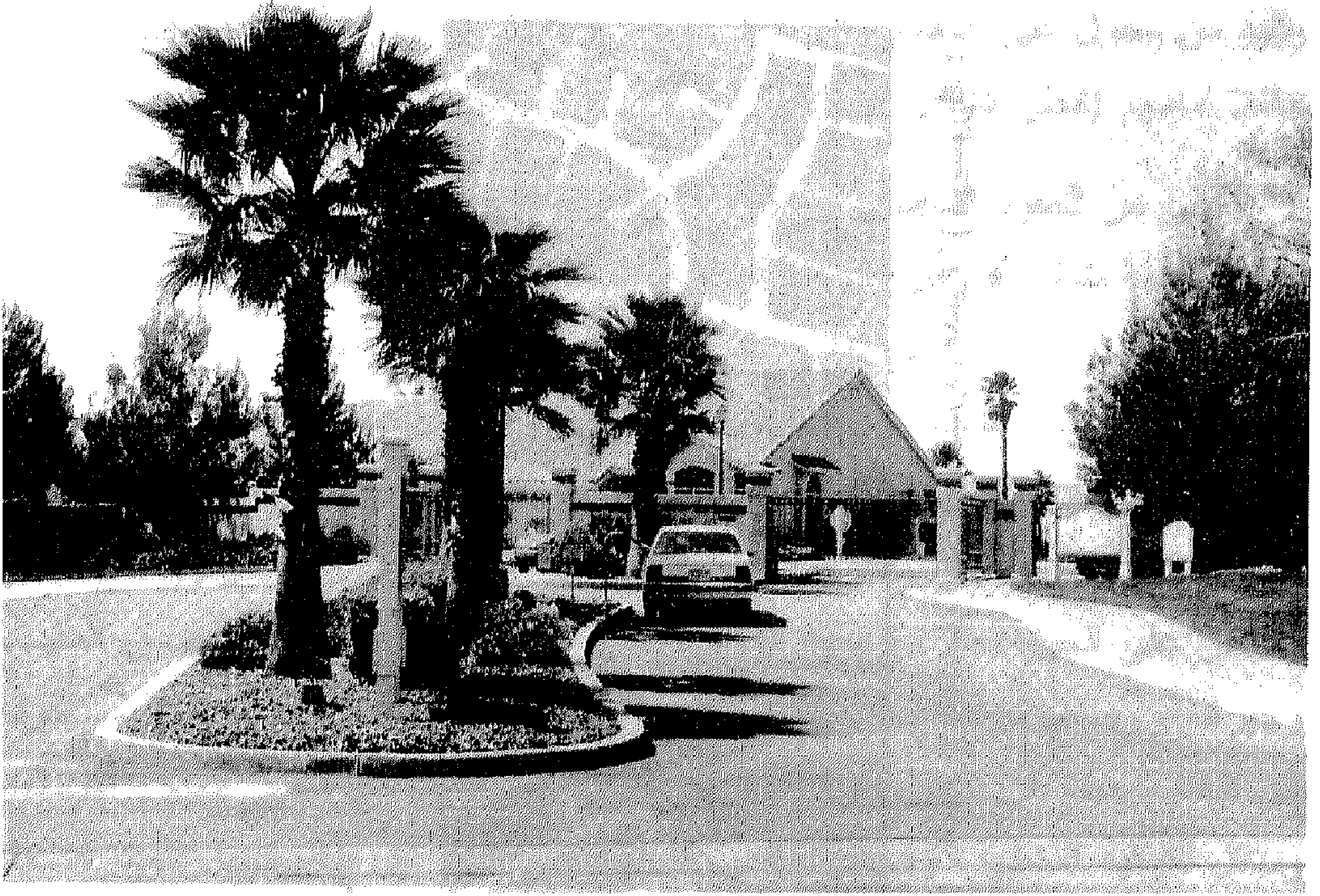
وعلى مر العقود الماضية ، تم تطوير أشكال أخرى للسيطرة على الدخول وإن تكن ملموسة بشكل أقل من تصميم الشوارع ، منها قصر استخدام المكان على وظيفة واحدة ، وعزل المداخل عن شبكات النقل العام . ونظرا لتطور شكل الضاحية ، فإن أهم التغييرات التى حدثت ، بجانب تغيير أنماط الشوارع ، يتمثل فى تجنب وضع المبانى والساحات العامة فى قلب المدينة . وتم تصميم المنشآت الجديدة المقصورة على السكنى بصورة يكون التركيز فيها نحو الداخل مع إعطاء الأولوية للحيز الخاص على الحيز العام . فأصبح الفناء الخلفى الخاص والسور عازلا بين المقيم وجيرانه ، وصمم مرآب السيارة ليكون فى واجهة المنزل دافعا بالمساحة المسكونة إلى الخلف بعيدا عن الشارع والجيران والمارة . ومع اضمحلال الحيز العام ، أخذت وسائل الترفيه المتطورة والمتكاملة فى الظهور بالتقسيمات الفرعية، كبديل للمتنزهات المطلة على الشوارع ، والاتصالات الحميمة عبر المداخل والأفنية . ثم جاء وضع البوابات على تلك المناطق السكانية التى يسودها مزاج الإنسحاب نحو الداخل، بمثابة تطور طبيعى ومتوقع لضمور الاتصال بين التجمعات الإنسانية وفى داخل كل منها .

واليوم ، أصبحت البوابات والأسوار ، وهى عوائق أقوى من أنماط الشوارع وأكثر ثباتا ، تتيح السيطرة على الدخول والخروج من التقسيمات الفرعية بالضواحى والمجاورات فى الحضر بطول البلاد وعرضها . وإلى جانب الاتجاه لإقامة البوابات فى الضواحى ، تستخدم المجاورات بالمدن المتاريس والبوابات بصورة متزايدة . ففى المجاورات المبنية على النمط القديم لشبكات الطرق ، يعتبر سد الشوارع نوعا من المحاكاة لأسلوب الضاحية فى تقييد الدخول . وفى المجاورات القديمة التى زودت بالبوابات ، يمكن أن نرى بوضوح أكبر القصد من إنشاء البوابة عما نراه فى المنشآت الجديدة ببيوت الحراسة عليها . والبوابات أسلوب أكثر وضوحا وتركيزا للسيطرة على الدخول ، عنه فى تصميم الضواحى الأقدم عهدا والأكثر ذكاء ، ولكنها مع ذلك ليست بالظاهرة الجديدة تماما، بل هى ثمرة عقود فى تصميم الضواحى وسياسات

شكل (١-٣) أنماط الشوارع : الشبكة فى الحضر إلى الضاحية



عن مايكل ساوثورث . انظر مايكل ساوثورث وإران بن جوزيف ، "*الشوارع وتشكيل المدن الصغيرة والكبيرة*" (نيويورك : ماكجروهيل ، ١٩٩٧) .



□ بوابـــة نموذجيـــة

استخدام الأراضى العامة . والبوابات فى صميم تقاليد الضاحية : فهى تعزز وتقـــوى طابع الضاحية ، بينما تحاول تفتيت المدينة إلى ضواح .

يوتوبيا الضاحية

المجتمعات المغلقة جزء من اتجاه عام نحو التحول للضاحية ، وتستمد أصولـــها مـــن نفس تقاليد التصميم الحضرى . وهى وإن كانت شكلا أمريكيا مميزا ، فإن جذورهـــا تمتد لإنجلترا القرن التاسع عشر. فاصطناع السمات القروية عند تخطيط المنشآت أثـــر باق من تطور البيوت الريفية بانجلترا خلال فترة التصنيع . فتشبها بأعيـــان الريـــف ، قام التجار ورجال الصناعة ببناء ضياع صغيرة بالقرى النائية الواقعة علـــى الطـــرق السريعة الممهدة التى أقيمت خلال حكم جـــورج الثـــالث .[١٢] ونفـــس هـــذه المـــدن هى التى استقبلت أول خطوط السكك الحديدية. وبمرور الوقت ، فتحـــت وسائل النقـــل



□ شارع مغلق بمتاريس داخل مدينة لوس أنجليس

الأكثر سرعة الريف للسكنى أمام من يملكون الثروة ، وليس فقط ملاك الأراضي والنبلاء.(١٣)

وقد حدث تطور مشابه في نمط المواصلات في الولايات المتحدة ، مؤذنا بنهاية مدينة المشاة ، ومشجعا على نمو الضواحي .(١٤) وفي حين اضمحل شأن البيوتات العريقة في العالم الجديد ، فقد بقيت المظهريات الملازمة للطبقة والمنزلة . ولم يعد بإمكان السكان غير المزدهرة أحوالهم وأصحاب المكانة المستقرة الانتقال يوميا من وإلى المدينة . وحينما أنشئت أول ضاحية بتصميم المخططين العمرانيين ، وهي نيو برايتون في لونج آيلاند ، ركزت الدعاية لها باعتبارها " وسيلة للانسحاب من وسط العمال والسوقية إلى الحياة الأسرية الهادئة ".(١٥)

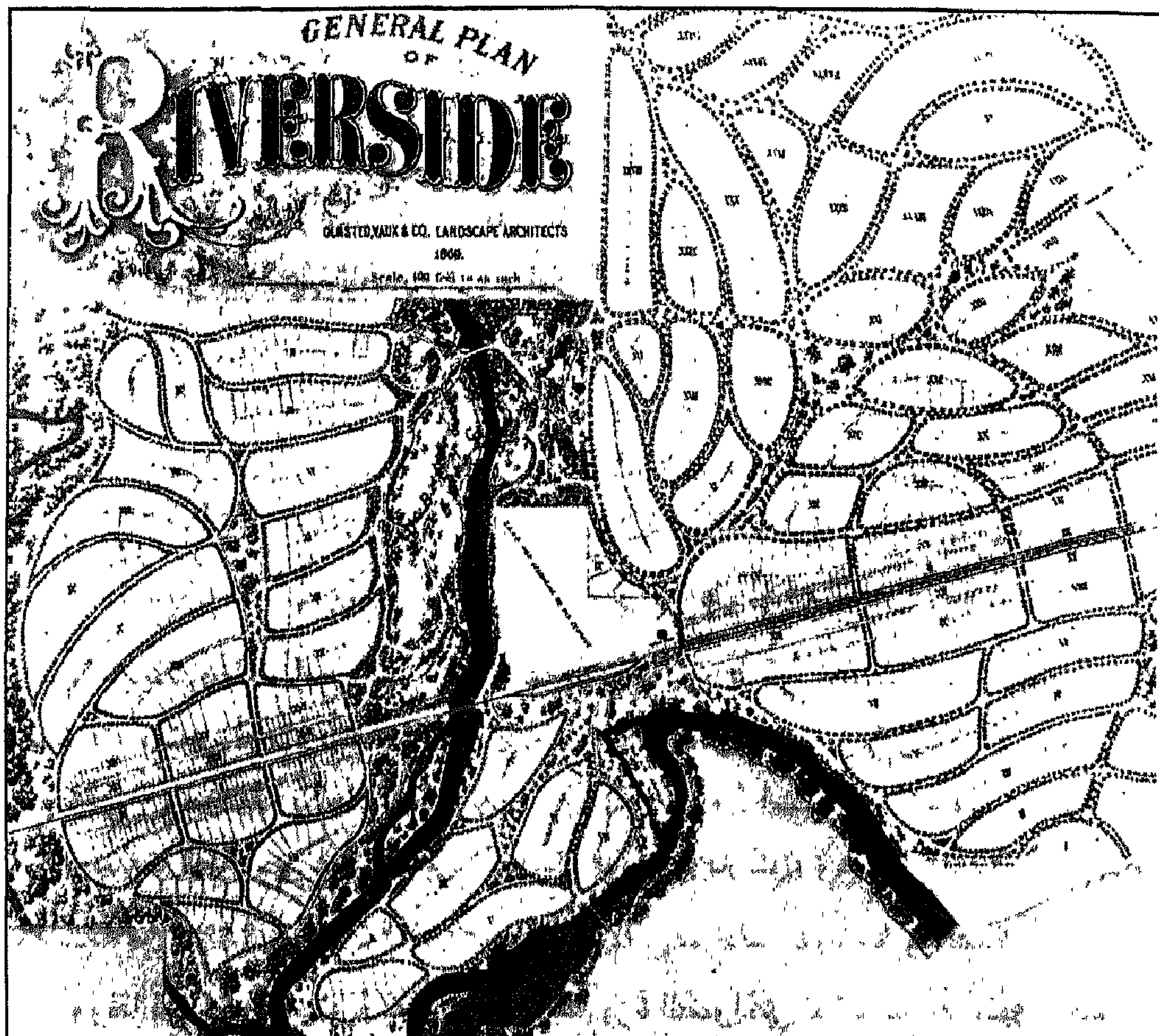
فالضاحية ليست اختراعا حديثا للعمرانيين الذين يؤثر فيهم منطق السوق ، فلها خلفية تاريخية يوتوبية طويلة من المخططين المرموقين وأصحاب الرؤى الذين حدتهم الرغبة في توفير حياة طيبة ومجتمع صالح . ويمكن أن نرجع بالتخطيط المجتمعي

الواعي لروبرت أوينز في نهاية القرن الثامن عشر ، فقد كان مع معاصره الفرنسي شارل فورييه ضمن أوائل الداعين في التراث الغربي لمقولة أن شكل المكان يمكن أن يؤثر على مشاعر الإنسان وعلى النظم الاجتماعية : " فالأفكار المعبرة عن أسلوب الحياة المجتمعية ، الكمال ، والنظام ، والأخوة وانسجام العقل والبدن ، وخوض التجارب ، وأحادية المجتمع ، تمثل كلها حقيقة معدنها المستهدف والإنسجام كمادة رئيسية لها : الإنسجام مع الطبيعة ، والإنسجام بين البشر ، وأخيرا الانسجام بين الروح والجسد " .(١٦)

ولاحقا ، خلال القرن التاسع عشر ، فإن مخططين مثل فردريك لو أولمستد ، وفرانك لويد رايت ، عملوا على إنشاء بيئة يوتوبية على امتداد الشوارع المقوسة أو المسدودة ، في صورة منشآت مستقلة ومكتفية ذاتيا مع الاهتمام بعنصر الهوية فيها (انظر شكل ١-٤) .(١٧) لقد قدمت الضواحي الأولى نفس الملامح التي تجتذب السكان إلى يومنا هذا : المنزل المميز ، والأمن ، والقرب من وسائل الترفيه بالمدينة مع الخصوصية .

ويعتبر فرانك لويد رايت من المهندسين المعماريين الأكثر تأثيرا في صياغة شكل الضاحية الأمريكية . فمنزله الذي صممه من طابق واحد بتقسيماته الأنيقة والحميمة ، ولا مكان فيه للخدم ، ابتكر فيه الطراز المعماري لمنزل الضاحية وسرعان ما أصبح النموذج الأثير والمرغوب لدى الطبقة الوسطى الأمريكية . وقد صمم فرانك لويد المنزل ، وتولى نورمان روكويل تنفيذه ، وقامت السينما والتليفزيون ببناء شعبيته ونشر الافتتان به . وإلى حد كبير ، أسهم هذا النموذج للإسكان في تيسير انتشار الطبقة الوسطى براحة وتلقائية ، وساعد أيضا على سهولة بناء التقسيمات الفرعية على نطاق واسع ووفق خطة شاملة . واستعار أولمستد شكل منزل الضاحية الذي ابتكره رايت في تصميمه " المجتمعات الحديثة " بالإشتراك مع آخرين ، في بيركلي ، وكاليفورنيا ، ومرتفعات تاريتاون ، ونيويورك ، وريفر سايد ، والينوي . وكانت الضواحي المعتمدة على الترام كوسيلة انتقال ، بمثابة السلف لضاحية السيارة ، وهو ما نجده في ليفيتاون والمجتمعات الحديثة المهيأة لقضاء عطلات نهاية الأسبوع .

شكل (١-٤) تخطيط تاريخى لشوارع الضاحية : ريفيرسايد ، الينوى ، ١٨٦٨ :أولمستد ، فو وشركاه .



بتصريح من وكالة المتنزهات الوطنية ، موقع تاريخى وطنى من إعداد فردريك لو أولمستد.

هذا ، والضاحية كمؤشر على مركز ومكانة الطبقة الوسطى ، كانت منذ بدايتها متسمة بالنفور إزاء المدينة . فالتاجر الانجليزى ورجل الصناعة الأمريكى ، ومن بعدهم البرجوازى الأمريكى ، سعوا جميعا للهرب من المدينة. وعلى حين كان فرار الإنجليزى إلى الضاحية هروبا من القذارة والتلوث ومن الزحام فى لندن الصناعية إلا إنه لم يسعه التخلى عن لندن مركز النشاط والحيوية ، بصورة جعلت الضاحية بالنسبة له ملاذا يقضى بها عطلة نهاية الأسبوع والأجازات الصيفية فحسب ، وعلى

حد تعبير صامويل جونسون " من مل لندن فقد مل الحياة ، ففيها كل ما يمكن أن تمنحه الحياة " .(١٨)

أما الضاحية الأمريكية فإنها مختلفة للغاية سواء فى طبيعتها أو الغرض منها . فخلافا لسلفها ، الضاحية الانجليزية، تحولت الضاحية الأمريكية مع بداية التصنيع إلى محل الإقامة المختار ، أولا لأن التاجر الأمريكى لم يسعه ترف الاحتفاظ بمسكنين ، وثانيا لكون أسعار الأراضى فى الريف منخفضة والمساحات شاسعة ومتاحة . وهكذا ، وبقدر ما أسهم التصنيع فى انتشار المراكز الحضرية ، فقد أدى أيضا لظهور الضواحى كأحد مكونات هذا التطور . ويعتبر عام ١٨١٥ بداية بزوغ الطبقة الوسطى الأمريكية واتجاهها للنزوح عن المدن المركزية. فمرتفعات بروكلين مثلا تحولت إلى ضاحية خارج مانهاتن ، وكذلك كان الحال بالنسبة لمعظم برونكس ولونج آيلاند ويونكرز . ومنذ ١٩١١ ، أى لثلاث سنوات تالية لصناعات فورد الكثيفة ، لوحظ أن ٣٨ بالمائة من محاميى نيويورك كانوا قد انتقلوا بالفعل للإقامة خارج مانهاتن .

بذل مبتكرو الضواحى ما بوسعهم لفصل منشآتهم عن المدينة . وكانت تلك المنشآت تستعير أسماء ذات دلالة مثل " بارك " و " فورست " و " ريفر " و " هيلز " و " فالى " ، مختلطة بكلمات مثل " فيو " ، " بارك " ، " استاتس " . وكان القصد من تسميات الضواحى الناتجة عن ذلك مثل فورست بارك ، وجرين فالى استاتس هو استثارة صورة الريف والمراعى .

ووفقا لما كتبه كينيث جاكسون ، فإن الهجرة للضواحى استمرت عبر عقود ، رغم أنها فى بعض الأحيان كانت مقنعة باستراتيجيات الضم القسرى للضواحى فى كردون المدن .(١٩) وتبرز هذه الظاهرة بوضوح فى لوس أنجليس حيث الأسماء القديمة لمدن هوليوود ، وسان فرناندو ، وبيكو ، وويست وود وستوديو سيتى ، والتى كانت هويتها المدينية أكبر من المدينة ذاتها التى ضمتهم إليها . غير أن العهد الذى كانت الضواحى تضم فيه للمدن المتنامية قد ولى ، وأصبحت الفروق المادية والاقتصادية والاجتماعية بين المدينة والضاحية أكثر حدة من أى وقت مضى . وتعيش اليوم أغلبية من الأمريكيين فى الضواحى مدفوعة بالرغبة فى نفقات أقل مع تجنب جوار الأقليات ذوى الدخل المحدود (المقرونين فى ذهنه بالجريمة) ، وغير ذلك من مشكلات الحضر . فالأرجح أن يستمر انتشار الضواحى فى المستقبل تبعا لتحرك

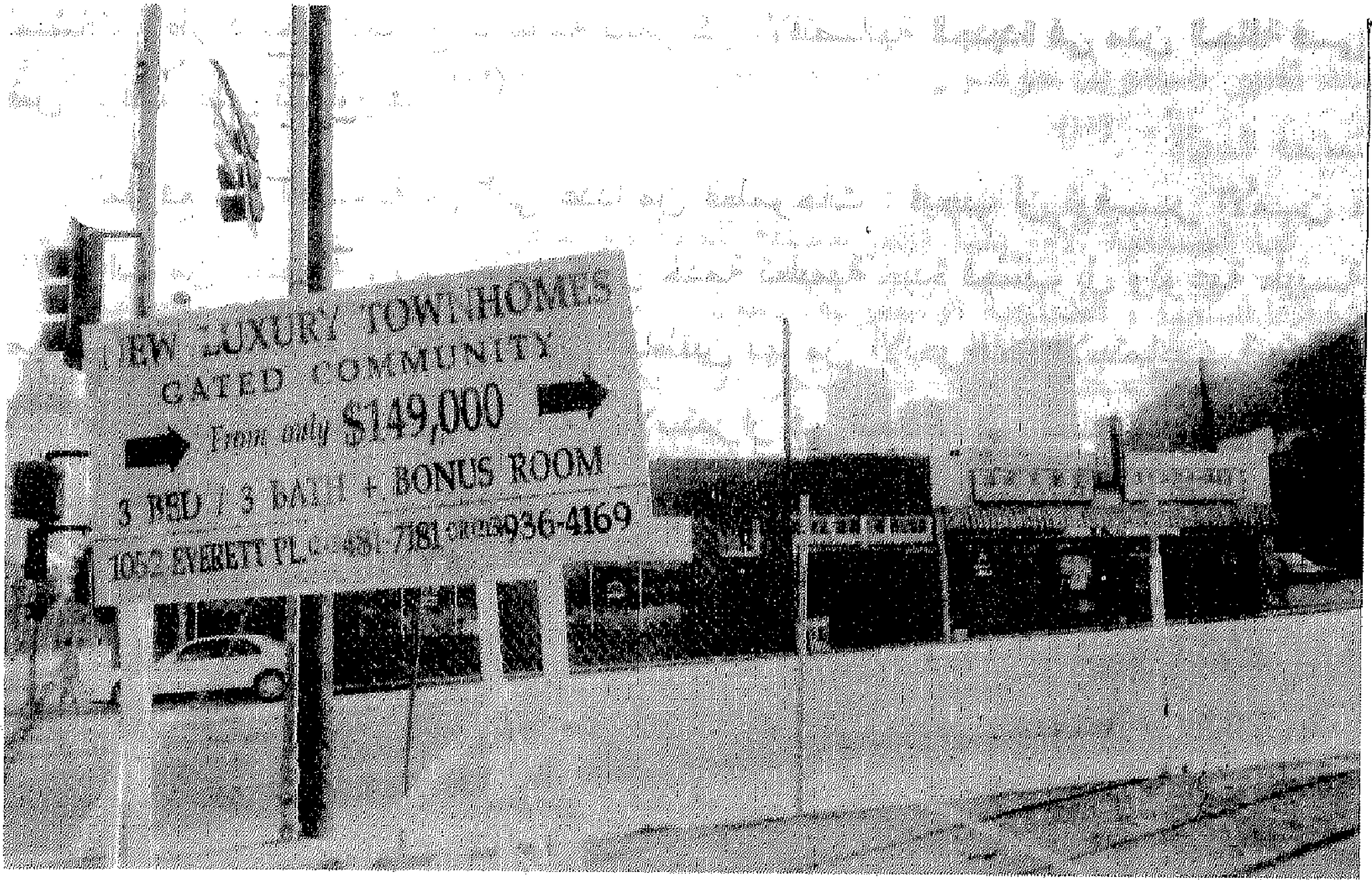
المنشآت بإطراد نحو الخارج مدعومة بالمراكز الاقتصادية الجديدة فى مدن الحافة فى نفس الوقت الذى تتجاوزها .[٢٠]

والمتوقع من الضاحية أن تلبى عددا من الطموحات : فيجب أن توفر الأمن ، والاقتراب من الطبيعة ، وأن تضمن ليس خدمة تعليمية جيدة فحسب بل ونوعية طيبة من التلاميذ أيضا ، ثم عليها أن تحمى القاطنين بها من الإنحرافات الإجتماعية بكل أشكالها ، وأن تكون نظيفة وحميمة مع الاستمرار فى الحفاظ على شخصيتها وعلى طابعها المعمارى . بيد أن الضواحى لم تعد فى واقع الأمر بنفس الإتساق والنقاء العرقى الذى كان ينشده هذا التصور المثالى ، فالمتغيرات الديموغرافية والاجتماعية والثقافية وجدت لتبقى ، والضواحى تتغير بالتالى وتتنوع . وبقدر ما تشيخ الضاحية ويزداد التنوع فى بنيتها ، فإنها تتعرض لمشكلات كانت محسوبة على المدينة : الجريمة ، والتخريب وإلغاء الاستثمار والفساد .

لم تعد الضاحية إذن صنوا للأمان والجمال والمثالية . فالسيارة ، وصعود الطبقة الوسطى من أبناء الأقليات الآسيوية والأسبانية ومن السود ، مع التشريعات الخاصة بالمساواة فى حق السكنى ، زادت من مصاعب البرجوازية البيضاء فى أن تجد الملاذ فى مسافة الضاحية وحدها ، ولئن تعذر ضمان الأمان فى المكان مجردا ، فربما أمكن ذلك من خلال طراز المنشأة داخل المكان ، طراز المجتمع المغلق . وربما كان المجتمع المنشود القائم على الاتصالات الحميمة داخل مجاورة محددة المعالم ، ممكنا أيضا تحقيقه حتى ولو كان خلف الجدران .

بناء الأحلام ، إنكار الواقع

مع كونها امتدادا لليوتوبية الحديثة ، فقد أصبحت المجتمعات المغلقة منتجا جديدا تماما يجرى إعداده وتسويقه كحل لمشكلات معاصرة ، أكثر منه كبحث عن نظام مجتمعى أفضل . ويمكن أن نرد جانبا من أسباب زيادة المجتمعات المغلقة أى منطق المخططين العمرانيين الذين ينظرون إليها كأداة تسويق تستهدف نوعيات محددة أو إشباعا للطلب فى مناطق معينة .



□ إعلان عن مجتمع مغلق تم نصبه فى ظل مجلس مدينة لوس إنجليس

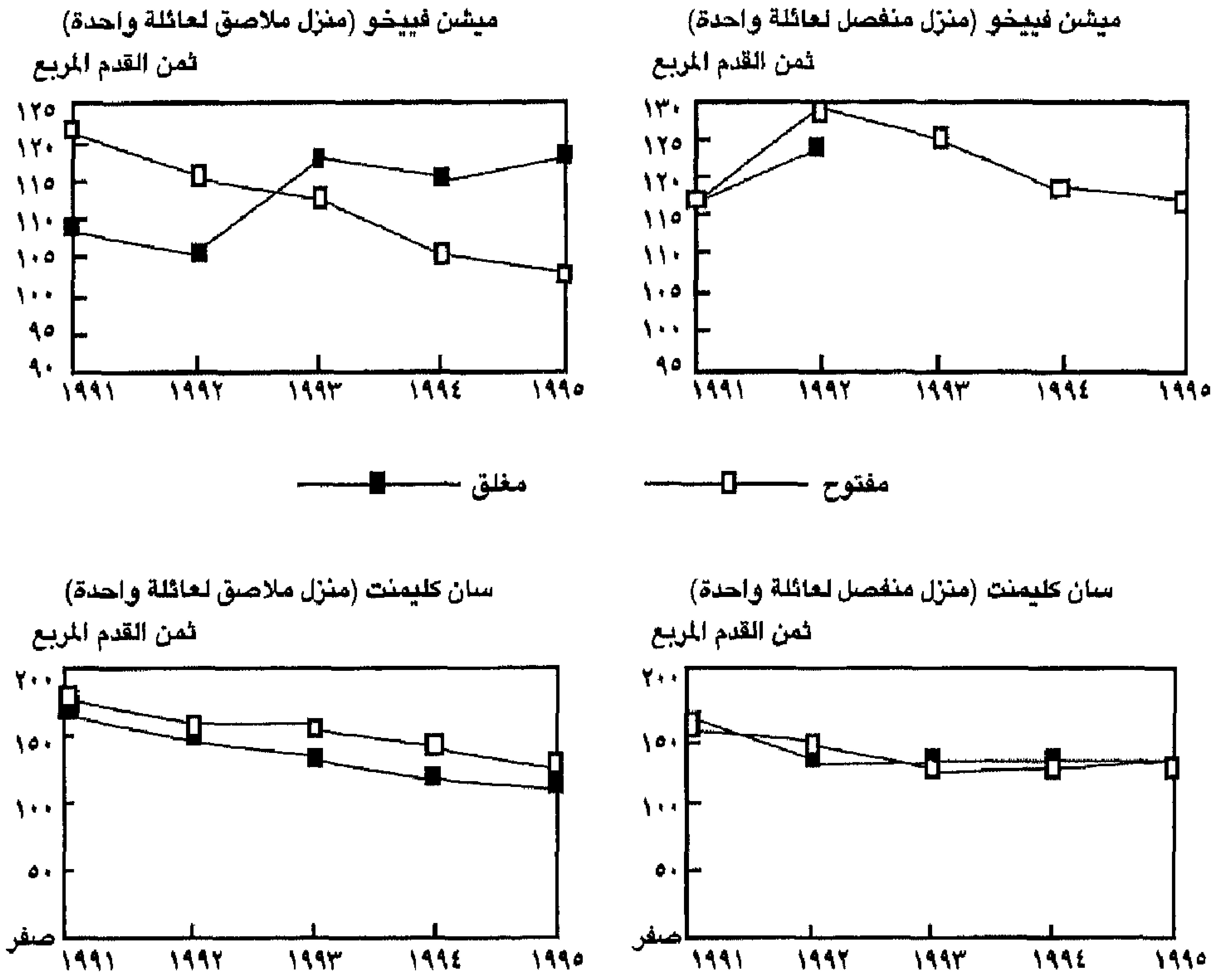
وينظر عادة لهؤلاء المخططين كمتبعى إتجاهات . وبالتأكيد فأى مخطط عمرانى يرى منافسيه وقد نجحوا فى مشروعات المجتمعات المغلقة ، لابد وأن يشرع فى تعديل سياسته العمرانية ليضمنها ــ على الأقل ــ شيئا من المنتج الجديد ، بمعنى أنه بمجرد بناء مجتمع مغلق فى منطقة ما ، فسرعان ما يتضاعف عددها، وهو ما يصح تسميته " بالسير فى الزفة " . وبفضل مداخلها وبيوت الحراسة المتقنة هندسيا عادة ، فإن البوابات تقدم إلى جانب الهوية الواضحة ، ميزة حاسمة فى سوق جديدة لمنازل الضواحى مكتظة وقائمة على المنافسة . وحيثما يكون أحد المعالم الترفيهية المميزة ــ كساحة جولف أو بحيرة ــ جزءا من منشأة ما ، فإن البوابة تسيطر على الدخول مؤكدة للمشترين بذلك أن هذه الرفاهية ستكون مقصورة عليهم . ويؤكد كثير من البناة أن حركة البيع أسرع بالنسبة للمجتمعات المغلقة ، بما يعنيه الأمر من سرعة فى دوران رأس المال ، وبالتالى تحقيق أرباح إضافية ذات شأن .[٢١]

ولكنهم لا يكادون يتفقون حول ما إذا كان إسكان المجتمعات المغلقة يتيح هـامش ربح أكبر مما يحققونه من نظيره مـن المجتمعـات المفتوحـة ، كمـا تتبـاين آراء السماسرة عما إذا كانت البوابات تزيد من سعر المنزل أو تساعد على حفـظ قيمتـه . وقد قمنا بدراسة أسعار إعادة بيع المنازل فى منشأتين قـابلتين للمقارنـة ، إحداهمـا مغلقة والأخرى مفتوحة ، وذلك فى دائرة قطرهـا ميـلان بمقاطعـة أورانـج فـى كاليفورنيا ، وهى ضاحية ساحلية مغلقة كبيرة فى لـوس أنجليـس ، وركزنـا فـى التحليل على منطقة صغيرة حتى يمكننا عزل تـأثير البوابـات علـى السـعر عـن العناصر التسويقية الأخرى مثل الموقع والقرب من الخدمات كـالمدارس ونحوهـا . كما وأن المنطقة كان متوفرا بها طرز مختلفة مـن المبـانى نسـبة ملحوظـة منـها مغلقة . الأمر الذى سمح بإثراء المقارنة (انظر الشكل ١-٥) .

وخلال فترة خمس سنوات ، من ١٩٩١ إلى ١٩٩٥ ، لم نتبين نمطا مستقرا مـن واقع أرقام المبيعات المتاحة لنا . وبصفة عامة كانت الاختلافات فى الأسعار طفيفـة ، بل وكانت أقرب للانخفاض فى التجمعات المغلقة . ورغم أن تلك البيانـات لا يجـوز تعميمها على كافة السوق العقارية بالمنطقة ، إلا أنه يمكننا القول بأن البوابات لا تقـدم ميزة تلقائية بالنسبة لأسعار المنازل . ويلفت الانتباه أيضا أن البوابات لم تسـاعد فـى حفظ قيمة الممتلكات فى ظروف انكماش السوق ، اللهم إلا فى حالـة واحـدة تتعلـق بمنازل أسرية صغيرة فى ميشن فييجو ، كان أداء المجتمعات المغلقة فيها أفضل مـن تلك المفتوحة خلال فترة تدنت فيها أسعار العقـارات . وكمـا هـو الحـال بالنسـبة للمخططين العمرانيين حيث تعنى سرعة البيع بالنسبة لـهم تحقيـق مكاسـب ماليـة إضافية ، فإن أصحاب المنازل يحققون مكاسب اقتصادية من سرعة بيع ممتلكاتـهم . وبالرغم من أن البيانات بحوزتنا تتعلق بالأسعار وليس بسرعة البيع ، فإنها تشير إلـى عدم صحة الافتراض بأن البوابات تزيد القيمة أو تحافظ عليها .

ويرى المخططون للمجتمعات المغلقة أنهم يقدمون الأمن والألفة الاجتماعية علـى السواء ، وبالتحديد لنوعية خاصة فى السوق . فكان المتقدمون فى العمـر مسـتهدفين للمجتمعات المغلقة منذ السبعينيات ، وكذلك الراغبون فى سكن إضافى . وينظر اليـوم لطائفة أخرى كسوق واعدة للمجتمعات المغلقة ، من بينها أولئك الذين يقضى نشـاطهم أو أسلوب حياتهم البقاء لفترات طويلة خـارج المـنزل ، والأسـر الصغـيرة التـى يعمل فيها كلا الزوجين . والأمن بالنسبة لهذه النوعية يعنى التحرر ليس مـن الجريمـة فحسب ، وإنما من مضايقـات يمثلها حشد من أصحـاب الحاجـة والباعـة الجواليـن

شكل (١-٥) مقارنة الأسعار بين المجتمعات المغلقة والمفتوحة بمقاطعة أورانج فى كاليفورنيا فى السنوات ٩١-١٩٩٥



المصدر : شركة مايرز ، مقاطعة أورانج ، كاليفورنيا .

ومستطلعى الرأى ، وانتهاء بالمراهقين المشاغبين والغرباء من كل لون . وهنا ، تقدم البوابات درعا للمكان المشترك ، لا يخترقه هؤلاء .

والبحث عن الأمن يجد صداه بطبيعة الحال فى سوق العقارات . فأثناء حديث أجريناه مع أحد المخططين عام ١٩٩٤ قال إن انتشار المجتمعات المغلقة خلال السنوات العديدة الماضية كان نتيجة لتزايد العنف وتدنى مستوى الخدمات البلدية .[٢٢] ويتنبأ كثيرون من بناة المنازل والمشتغلين بصناعة العقارات بأن الشعور بعدم الأمان الاقتصادى والخوف إزاء الجريمة سوف يفتح الباب أمام المزيد من المجتمعات

المغلقة وأنظمة الأمان المنزلية . فبقدر شعور الناس بعدم الأمان ، يسعون أن تكـــون بيوتهم قلاعا .

وبرغم ذلك ، فالمخططون لا يبرزون موضوع الأمن أو السلامة ولا يعدون بـــها في مطبوعاتهم التسويقية . فحتى أكثر أنظمة الأمان تطورا لا تضمن وجـــود منشـأة محصنة ضد الجريمة ، وبالتالى فإنهم يخشون الملاحقة القضائية إذا قدموا مثـــل هـذا الضمان ، لذلك تدرج البوابة كجزء من التصميم ضمن عناصر جذب أخـــرى يجـرى تسويق المنازل على أساسها لتعطى الانطبـــاع عـــن نوعيـــة الحيـــاة التـــى ينشـدها المشترون . وكما ذكر لنا صاحب مشروع تجمع مغلق فى فلوريدا " إن بيع المنـــازل أشبه بعرض مسرحى تكون المشاعر فيه هدفـــك . فنحـــن لا نعـــرض البوابـــة فـــى الإعلان ، وإنما ننوه بوجودها . بل ولا نعرض حتى صورا للمنازل فـــى الإعـــلان . ولكن نصور يختا . نحن نعرض حالة مزاجية " .(٢٣)

ويستخدم المخططون كلمة " المجتمع " كتعبير فنى فى عرض إنتاجهم إعلاميـــا . فالكراسات التسويقية تكتب بغرض نقل حس مجتمعى ، مع الإشارة للمواقـــع السـكنية " كمجتمع جديد فى المدينة " و " أسلوب حياة مختلف " و " بعـــث للمجتمـــع القديـــم " وحتى " مسقط رأسك الجديد ". وهنا تبدو اللغة جزءا لا يتجزأ من اســـتراتيجية بيـــع المنازل . ويعتقد بعض المخططين أيضـــا أن البوابـــة تعظـــم الشـــعور بالانتمـــاء ، وبالمشاعر الإيجابية التى نربطها بمفهوم المجتمع . وعلى حـــد تعبـــير أحـــد كبـــار المخططين والاستشاريين على المستوى الوطنى الذى يعتقد أن البوابات تساعد علـــى بيع التقسيمات الفرعية وذلك بخلق الإحساس بالمجتمع ، إذ يقول " حين تقود ســـيارتك إلى المنزل ، فستشعر أنك بلغته فى إحدى نقطتين ، حين تدخل الشارع الذى يقع فيـــه أو حين تدخل الطريق الجانبى المؤدى له . ووضع البوابة عند مدخـــل التجمـــع هـــو ببساطة مد لهذا الإحساس القوى لديك وهو الإحساس بـــالمنزل . إنـــه أمـــر لا يكـــاد يصدق ، ولكن بوسعى بالفعل مد هذا الشعور لنفس المسافة بين منزلك والبوابة " .(٢٤)

كان المخططون دائما مجددين ، ليس فى تصميم الطرق والمساكن فحسب، وإنمـــا فى تصميم المؤسسات الاجتماعية أيضا . فالمجتمع لا يمكن تحقيقه بـــالتنظيم المـــادى فقط . وكان إبنزير هوارد على وعى بهذه الحقيقة حين صمم ضاحية جـــاردن ســـيتى الشهيرة فى القرن التاسع عشر . فقد ركز على أسلوب الإدارة فيها قدر تركيزه علـــى

هندسة المساحات ، وخرج من ذلك بخطة تضمن بناء وتمويل مشروعه بواسطة تنظيم داخلى من بين مهامه تحصيل عوائد الخدمات العامة التى روعى فيها أن تكون مستقلة عن سلطة الحكومة المحلية ، وبالتالى عن المصالح التى تحرك سياساتها .(٢٥) وكتب هوارد فى لائحته . " تتجسد فى مجلس الإدارة (أو من يمثله) حقوق وصلاحيات المجتمع الذى يمتلك وحدة جاردن سيتى، وهو إذ يمارس نشاطه كمؤسسة شبه عامة ، ومن واقع حقوقه كممثل لمالك فرد ، فإنه بالضرورة يتمتع بصلاحيات أوسع بكثير فى تنفيذ إرادة الناس عما تملكه الأجهزة المحلية الأخرى ، ومن ثم يكون أكثر قدرة على حل المشكلات التى تواجه الحكومة الذاتية المحلية " .(٢٦)

ووجدت أفكار هوارد صداها لدى تشارلس شتيرن آشر ، المحامى الذى تحول فيما بعد لمخطط عمرانى . وقد ذهب آشر بمفهوم الإدارة الخاصة لمدى أبعد فى تخطيطه الشامل لضاحية راد بيرن بنيوجرسى عام ١٩٢٨ .(٢٧) فلئن كانت آراء ابنزير هوارد عن الملكية الفردية المجتمعية قد اجتذبته ، إلا أنه أراد ضمان مزيد من الخصوصية وحماية الشخصية الفردية للمنشأة من خلال ميثاق ملزم . وبهذا المزج بين الإدارة الخاصة والمواثيق الملزمة ، خلق شتيرن مؤسسة جديدة هى إتحادات الملاك السائدة فى يومنا هذا .

تسبب نجاح مشروع رادبيرن فى أن يصبح لحد ما نموذجا تبناه بناة المساكن على نطاق واسع . وظهرت عقود التمليك التى تتضمن شروطا مقيدة ، بدءا بالجوانب الإنشائية كاشتراط حد أدنى لمستوى البناء والانسجام مع الطابع العام للعمارة بالمنطقة ، وصولا فى بعض الحالات لتقييد حق نقل الملكية للملونين واليهود . وبواسطة تلك العقود الملزمة إلى جانب تأسيس اتحاد الملاك الموكل إليه تنفيذها ، صار بالإمكان التحكم طويل المدى بمستوى منشآتهم السكنية ، ومن ثم ضمان أسعارها المستقبلية وكذا مساندة المجتمع القاطن بها . لقد قطع المخططون العمرانيون شوطا بعيدا عن مجرد إقامتهم للمساكن ، ليصبحوا بناة أسلوب جديد للحياة ، وغدا المجتمع المغلق أحدث الابتكارات ــ عبر اتجاه تاريخى طويل ــ لتأمين سيطرة وخصخصة أكبر للبيئة السكانية .

الحكم بعقد قانونى ، وليس بعقد اجتماعى

إن أحد أهم ملامح المجتمعات المغلقة ليس البوابة ذاتها . وإنما المنظومة الإدارية التى تحكمها . وكما تقدم ، فهذه المجتمعات تدار بواسطة اتحادات ملاك ذاتية السلطة ،[٢٨] وهى خاصية تشاركها فيها التقسيمات الفرعية بالشوارع الخاصة فى كل مكان . وفى تلك التقسيمات ، والتى أصبحت الشكل الغالب على المنشآت الجديدة على المستوى الوطنى ، يكون لكل مالك ـ بمشاركة الآخرين ـ حصة قانونية فى الشوارع والأرصفة وغيرها من المرافق بما فيها البوابات ، فى حين يشرف المجلس المنتخب على هذه الملكية المشتركة إنطلاقا من التزام كل وحدة بالعقد والميثاق وبشروط وقيود أخرى لا تنظم الملكية المشاعية فحسب ، بل والخاصة كذلك . وهذه الدرجة من التحكم تبدو فعالة فى تقسيم مكانى مفتوح ، ولكنها فى المجتمعات المغلقة والمسورة تصل لحدود بعيدة .

وتخدم اتحادات الملاك أغراض المخططين فى أكثر من وجه .[٢٩] فهى تحفظ قيمة الملكية من خلال تأكيد الانسجام داخل المنشأة واستمرارية المعايير الأصلية المقررة لها . وفى ذلك حماية من التغيير ، ليس من جانب ملاك الوحدات فرادى فحسب ، وإنما من جانب سلطات الحكم المحلى . وهنا يلجأ المخططون لاستثارة غرائز الملاك دفاعا وحفاظا على استثماراتهم ضد التدخل غير المرغوب فيه من قبل الحكومة المحلية ، والذى قد يأخذ شكل تعديلات بالتقسيمات العمرانية بغرض بناء وحدات سكنية أو تجارية إضافية . لقد تحولت مجاورات الضواحى إلى ملكيات تعاونية بغرض الالتفاف على الإجراءات الحكومية والمسئولية الاجتماعية .

ومن جانبها ، فالحكومة المحلية ترحب غالبا بالمنشآت التى تضم اتحادات الملاك ، حيث يقوم المخططون بداية بمد الشوارع وشبكات المجارى وغيرها من بنية أساسية وتحميل تكلفتها على عاتق مشترى المنازل . كذلك فأعباء الصيانة ، وقد تم خصخصتها ، ترفع عن كاهل ميزانية البلديات المرهقة . وفى بعض الولايات مثل كاليفورنيا ، فإن اتحاد الملاك مخول بطرح سندات لتمويل البنية الأساسية بمعرفة جهاز شبه حكومى يمكن تأسيسه وقت تنفيذ المنشأة .[٣٠]

والاتحاد هيئة خاصة تملك وضع قواعدها ، وهذه الأخيرة تستمد شرعيتها من حقوق الملكية الخاصة المكفولة دستوريا . وبالنسبة لحقوق الملكية التعاونية فهى مصونة مثل الحقوق الفردية وفقا لقضاء المحكمة العليا . وكما ورد فى حيثيات حكم أصدره القاضى الليبرالى ويليام دوجلاس " فإن مكانا هادئا ، رحبا ، يقطنه القليل من الناس ، وتقيد فيه حركة السيارات ، هو توجه مشروع لتصميم عمرانى يتجاوب مع المتطلبات الأسرية ، وهو من ثم غرض مسموح به ... وقوة الشرطة ليست مقصورة على إزالة الأماكن الموبوءة والقذرة وغير الصحية عموما ، وإنما هى تتسع للتمكين من مناطق توفر القيم الأسرية ، وتقدم الملاذ للناس بما تتيحه من نعم العزلة الهادئة والجو النقى " .(٣١)

وعلى الرغم من ذلك ، فاتحادات الملاك ليست مؤسسات مجتمعية أو ديمقراطية كما قد يتبادر إلى الذهن . ففى بعضها تتمتع كل أسرة وليس كل بالغ بصوت واحد ، وفى البعض الآخر يتناسب عدد الأصوات مع قيمة الملكية . يضاف إلى ذلك أنه حيث توجد الاتحادات توجد العقود والشروط والقيود التى تفرض قواعد معينة على بعض الأمور داخل المنزل وخارجه تثير الدهشة . فأحيانا تعطى قوة الحراسة الخاصة حق فرض رسوم على انتظار السيارات أو فرض غرامات على انتهاكات الحركة داخل المجتمع السكنى ، كما قد تبالغ بعض الاتحادات فى التدخل وفرض قيود تشمل نوع وشكل الأثاث الممكن رؤيته من خلال النوافذ ، أو تحديد ساعة معينة لا يجوز للمقيمين التسامر بعدها خارج منازلهم .

إنها أمثلة متطرفة ، بيد أن القواعد والشروط المعتادة قد تبدو زائدة عن الحد فى نظر غير المعتادين عليها . فالقواعد التى تحكم تصميم الواجهات الخارجية والحفاظ عليها دون تغيير قواعد ثابتة، وهذا يتطلب تناسق المنظر الخارجى مع المخطط العام وأن يتم طلاء المنازل أو حتى الأبواب الخارجية بعدد محدد من الألوان ، ومنع الاحتفاظ بحيوانات فوق وزن معين ، أو بأناس تحت سن معينة وقد توضع قيود على ارتفاعات الشجيرات والأشجار، وقد يتم تحديد قائمة الزهور أو أنواع الأسوار العشبية وأثاث الحدائق . وتحظر أغلب الاتحادات وضع أجهزة التكييف على النوافذ ، أو استخدام هوائيات الاستقبال الفضائى ، أو نصب الأرجوحات أو الأسرة المعلقة فى الحدائق الخاصة . ويحظر عادة نشر الغسيل فى الخارج ، أو ترك باب الجراج

مفتوحا ، أو انتظار الشاحنات أو السيارات التجارية فى الطرق الجانبيـــة ، أو وضـــع أوعية القمامة فى الشارع أمام المنازل قبل وقت محدد . والواقع أن بعض السكان قـــد لا يكونون عارفين بكل تلك القيود قبل انتقالهم ، وقد لا يفهمونها ولا يقبلونها ، الأمـــر الذى يؤدى لمصادمات بينهم وبين اتحـــاد المـــلاك . والشـــكل (١-٦) يعـــدد بعـــض المشكلات التى سجلتها اتحادات الملاك وفقا لدراسة حديثة ، وكلـــها مؤسســـة علـــى انتهاكات للقواعد والسياسات التى وضعتها .

وعلى كل حال ، فللاتحادات أن تكون يقظة ، ولكن دون مبالغـــة . فـــهى تضـــع سياسات استخدام الأماكن ، وتفرض قيودا على المساكن وانتظـــار الســـيارات ، كمـــا تستخدم شرطتها الخاصة لمراقبة سلوك أعضائها ، كل ذلك بهدف تعظيـــم الاحســـاس بعلاقات اجتماعية صحية ، غير أن أسلوبها لتحقيق ذلك يكون أحيانا أقـــل اجتماعيـــة وأكثر سيطرة .

هذا ، وللإدارة الخاصة للتقسيمات الفرعية واتحادات الملاك والبوابـــات جاذبيتـــها التى لا تثير الدهشة ، فالقواعد السارية تتيح مزايا أكثر من حماية الممتلكات وضمـــان الاستمتاع بها . فهى تضمن عدم حاجة الجيران للتعامل فيما بينهم حتـــى إزاء أبسـط الخلافات إن أرادوا ذلك ، فبوسعهم اللجوء لطرف ثالث يكون محكمـــا بينـــهم لرفـــع التعديات بالرجوع لعقودهم وللقواعد المرعية بالمجاورة . وعادة مـــا يدفـــع لمديـــرى الممتلكات ولشركات الأمن للتصرف حيال المخالفـــات ، ويمكـــن اللجـــوء للمحـــاكم كإجراء أخير لطرد السكان المشاغبين .

وفى تفضيلهم تجنب الدخول فى علاقات اجتماعية أو التعاون فيما بينـــهم ، فـــإن سكان التجمعات لا يختلفون كثيرا عن مجتمعنا ككل . إننا ندفـــع أكـــثر فـــأكثر لقـــاء خدمات كنا نؤديها لأنفسنا من قبل ، فنستأجر مربيـــات ومعلميـــن لتربيـــة أطفالنـــا ، ونستخدم " بيوتا " لرعاية كبار السن ، ونلجـــأ لوســـطاء للتحـــدث نيابـــة عنـــا لمـــن انتخبناهم . وتدريجيا ، وبدءا بحياتنـــا اليوميـــة وحتـــى حياتنـــا الأســـرية والمدنيـــة والاجتماعية والحياة فى المجاورات ، أخذ الناس يتخلون عن الأشكال القديمة للمسئولية الاجتماعية تاركين إياها للمحترفين . والمجتمعات المغلقة ، ببساطة ، هى جـــزء مـــن هذا التيار .

الحكومة المصغرة ، والانسحاب المدنى

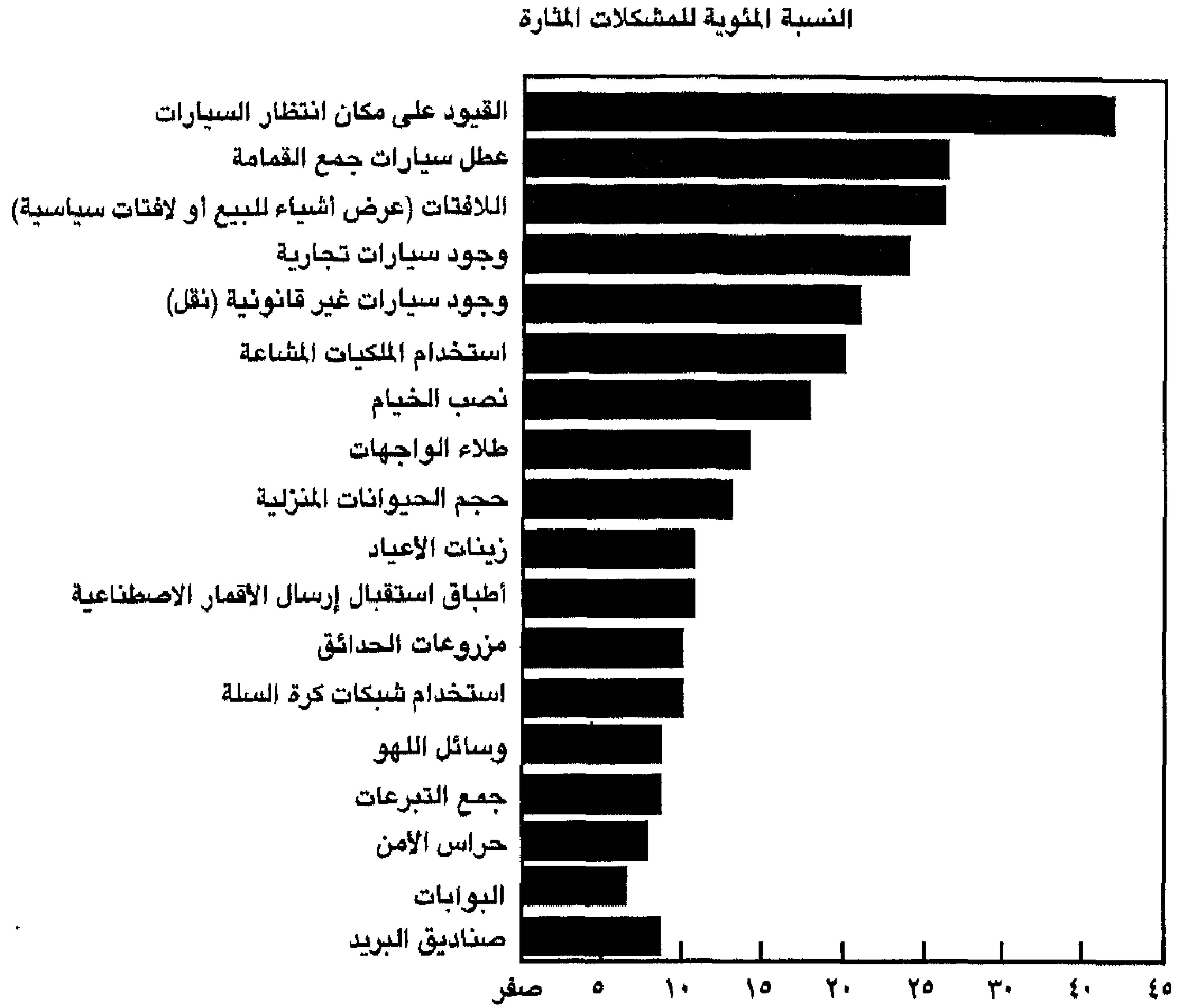
فى غياب سجل لحصر المجتمعات المغلقة على المستوى الوطنى ، ولأنــــه لا ســـبيل لوجوده بغير ورقة تعداد رسمى ، فقد اعتمدنا على البيانات المتاحة لدينا عن اتحـــادات الملاك للحصول على بعض التعريف بخصائصها . وأكثر هذه البيانات استقيناها مـــن مسح قام به معهد اتحادات التجمعات ، وهو المنظمة الوطنية لاتحادات الملاك .

وقد قدر المعهد أنه حتى عـــام ١٩٩٢ وجـــد نحـــو مائـــة وخمســـين ألفـــا مـــن تلك الاتحادات فى الولايات المتحدة ، وأن متوسط العضوية بالاتحــــاد الواحـــد يبلـــغ ٢٩١ وحدة سكنية ، وفقا لأحدث مسح أجرى لأعضائها . ويقل العدد كثيرا عن هـــذا الرقم فى غالبية الاتحادات ، حيث إن نصفها تقريبا ينتظم أقل من ١٥٠ وحـــدة . فـــى حين أن نسبة الاتحادات التى تزيد عضويتها على خمسمائة وحدة تبلـــغ ١١ بالمائـــة . وأثبت تصنيف البيانات أن ٥٢ بالمائة من الاتحادات تدار بواسطة شـــركات خاصـــة تحترف هذا العمل ، مقابل ٢٩ بالمائة تدار ذاتيا بواسطة متطوعيـــن ، و ١٩ بالمائـــة بها مديرون فى الموقع معينيين من قبل اتحادات الملاك .[٣٢]

ويقوم اتحاد الملاك بتقديم العديد من الخدمات لأعضائـــه (انظـــر الجـــدول ١-١) نصفها تقريبا يتعلق بالأمن ومنع الجرائم (بوابات ـــ أسوار ـــ حراسة ، ونظم مراقبـــة الكترونية .. الخ) والباقى خدمات متنوعة مثل العناية بالمســـاحات المشـــتركة ورفـــع القمامة وصيانة الطرق وحمامات السباحة ، وأغلب هذه الخدمات تتم بواســـطة عقـــود مع شركات خاصة .

وفى تقدير معهد اتحاد المجتمعات، فإن اتحادات الملاك فى الولايات المتحدة تنمـــو بشكل مذهل بما لا يقل عن عشرة آلاف اتحـــاد ســـنويا .[٣٣] إنـــها صناعـــة تفريـــخ حكومات . وفى الوقت الذى يدعو فيه الناس للإقلال من دور الحكومة ســـواء علـــى المستوى الوطنى أم الولايات، فإنهم على المستوى المحلى يبنون المزيـــد مـــن مؤسســـات الحكم . وتعكس الأرقام السابقة الإتجاه الجديد لخصخصة الحكم بالمناطق السكنية، مـــع تصاعد عدد المؤسسات التجارية والمهنية بالأحياء الجديدة بما يتيح لمجموعات التجـــار وملاك العقارات بأن يحصلوا رسوما فيما بينهم من أجل تحقيـــق مزيـــد مـــن الأمـــن والحدائق وغير ذلك من خدمات كانت منوطة أصلا بالحكومة المحلية. وهنـــا يتســـاءل

شكل (١-٦) مشكلات مختارة تواجه اتحادات الملاك



المصدر : بتصرف نقلا عن دورين هايسلر ووارين كلاين ، *نظرة فـــى داخـل اتحــاد مــلاك المجتمعات : حقائق ورؤى* (الاسكندرية ، فرجينيا : معهد اتحادات المجتمعات ، ١٩٩٦) .

بعض المراقبين عما إذا كانت هذه الحكومة الخاصة تمثل انسحابا من النظام العـــام ، أو على حد تعبير روبرت رايش .. " انسحاب الناجحين " .(٣٤)

وقد وصف بعض الباحثين اتحادات الملاك بأنها " حكومات خاصة " .(٣٥) ودعـــا أحدهم ، رجل القانون دافيد كنيدى ، لاعتبار اتحادات الملاك هيئات عامة باعتبـــار أن ما تقدمه من خدمات وما تتمتع به من سلطات داخـــل أحيائـــها ، يمـــاثل مـــا تؤديـــه الحكومة المحلية .(٣٦) ويسجل كنيدى فى هذا المقام اعتراف القضاء الأمريكـــى بـــأن إنشاء وصيانة الطرق والحدائق ووسائل الترفيه وخدمات الصرف الصحـــى وإنشـــاء

الأرصفة وإنارة الشوارع ، تعد من قبيل الخدمات العامة ، التـــى تقدمـــها وتصونـــها الحكومة ، وقد سبق للمدن معاملة الوكالات الخاصــــة التـــى تقـدم خدمــات عامــة باعتبارها وكالات حكومية . وانطلاقا من هذا الطرح القانونى ، ينتهى كنيـــدى إلـــى القول بأن استخدام البوابات والحواجز بغرض استبعاد غير المقيميـــن فـــى المنشـــآت الخاصة ، ينبغى اعتباره عملا مخالفا للدستور .

وتمثل هذه المؤسسات الجديدة شبه الحكومية ، محاولة لإعادة هيكلة نظام الحكـــم المحلى ، وكذلك لتجنب تدخل السلطة العامة فى تنظيم الموارد المحلية . وقد عرفـــها جون بيترسون بأنها قوة متنامية لها سماتها الخاصة " مثـــل معارضتـــها للضرائـــب المحلية ، وسعيها لحث الهيئات التشريعية فى الولايات المتحدة لخفض عوائد الملكيـــة بقدر يتناسب مع الخدمات التى تتحملها ذاتيا أو تقوم بدفع مقابلها ".[٣٧] وبالفعل سـمحت ولايات نيوجرسى وتكساس وماريلاند وميزورى بإجراء تعديـــلات فـــى الضرائـــب المحلية بما يعكس الخدمات الذاتية التى تقدمها اتحادات الملاك .[٣٨]

وهناك دائما أولئك الذين يجأرون بالشكوى من حل مشاكل الآخرين على حســـاب الضرائب التى يسددونها حتى فى داخل المدينة الواحدة. والشكوى فى حد ذاتها قديمـــة وتدعو للأسف ، ولكنها تبلغ حدا يثير القلق حين تأتى من تلك " الحكومات " الخاصـــة المصغرة . فمع انتشار اتحادات الملاك يزداد عدد الأمريكيين الذين باستطاعتهم تحديـد الضرائب الواجبة عليهم ، وذلك من خلال عملية تقييم لحاجات منشـــآتهم ، واســـتخدام جانب من وعاء الضريبة فى الإنفاق على المرافق والخدمات التى تروق لـــهم ، فـــى الوقت الذى يقصرون ما توفره من مزايا عليهم وعلى جيرانهم . وبذلك لم تبق ســـوى خطوة صغيرة ليتم الانسحاب من المدينة أو المقاطعة بغـــرض تجنـب الدفـــع لمـــن يعيشون خارج اتحاد الملاك .

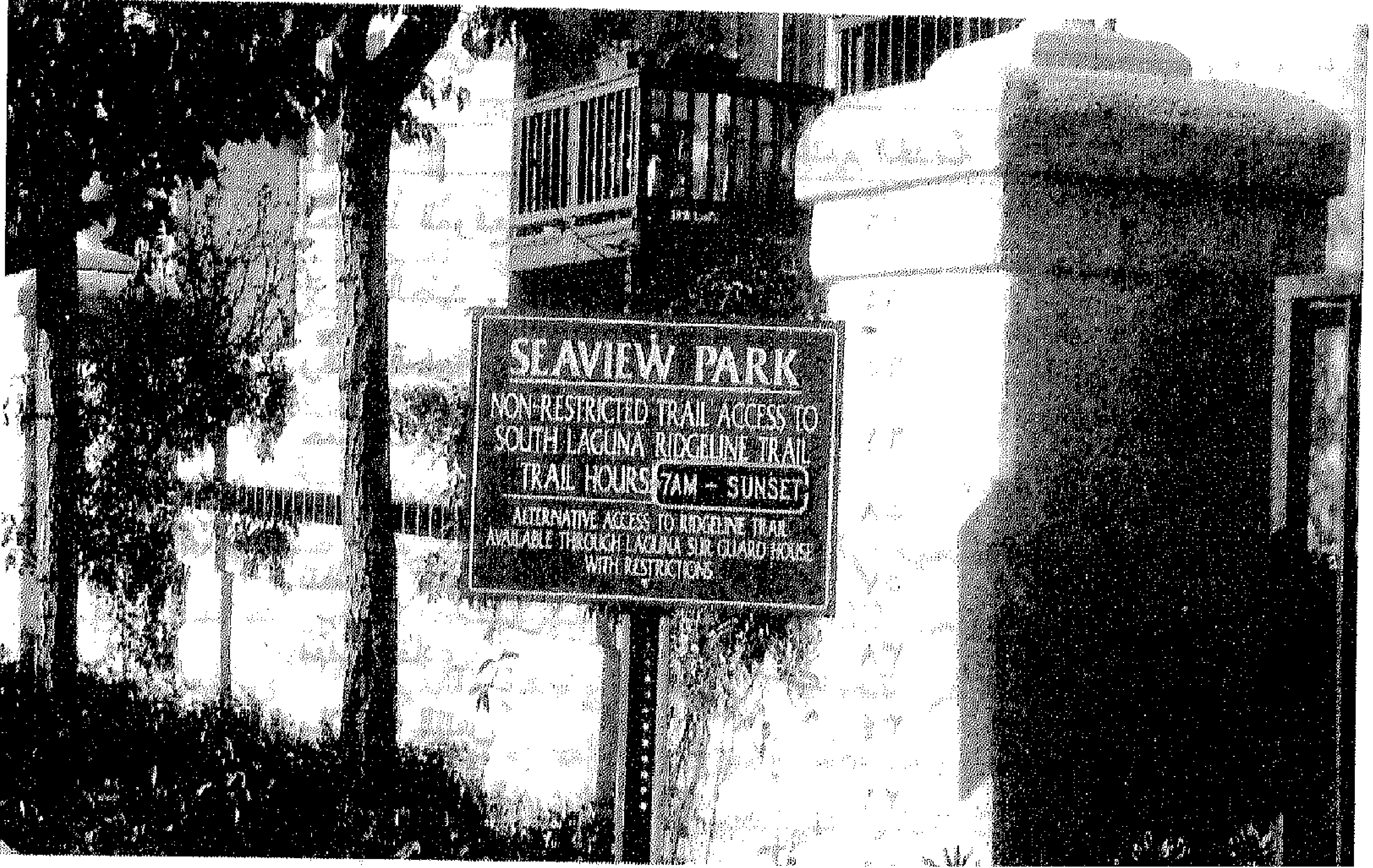
ويجرى هذا الانسحاب المدنى فى أماكن كثيرة بالبلاد . ففى كاليفورنيا وفلوريـــدا وولايات أخرى ، حيث قوانين التعمير أكثر تساهلا ، يقوم المخططون ، بالتعاون مـــع السكان ، بانشاء مدن منفصلة عن الولايات القانونية القائمـــة للمدينـــة أو المقاطعـــة . ويجد الناس فى المدن الجديدة التى أفرزتها عملية الانسحاب تلك عوامل جذب لأسـباب عديدة . فعن طريق المواثيق والعقود والشروط الخاصة بالإسكان ، يمكـــن للتجمـــع ، الذى أصبحت له ولايته القانونية الخاصة، أن يحد من عدد السكان الجدد ، كما يمكنـــه توجيه الضرائب المحصلة منهم لأهداف محلية محددة بدلا من استخدامها على نطـــاق منطقة أكبر .

جدول (١-١) الخدمات التى تقدمها اتحادات الملاك

الخدمة	*تقديم الخدمة*
تخطيط الموقع	٨٦
إزالة الجليد	٨٤
رفع القمامة	٦٥
حمامات السباحة	٦١
إنارة الشوارع	٥٨
تنظيف الشوارع	٥٧
مبنى النادى	٣٨
ملاعب التنس	٣٤
ملاعب الأطفال	٢١
الحدائق	١٦
ملاعب كرة السلة	١٥
المكتبة	١٢

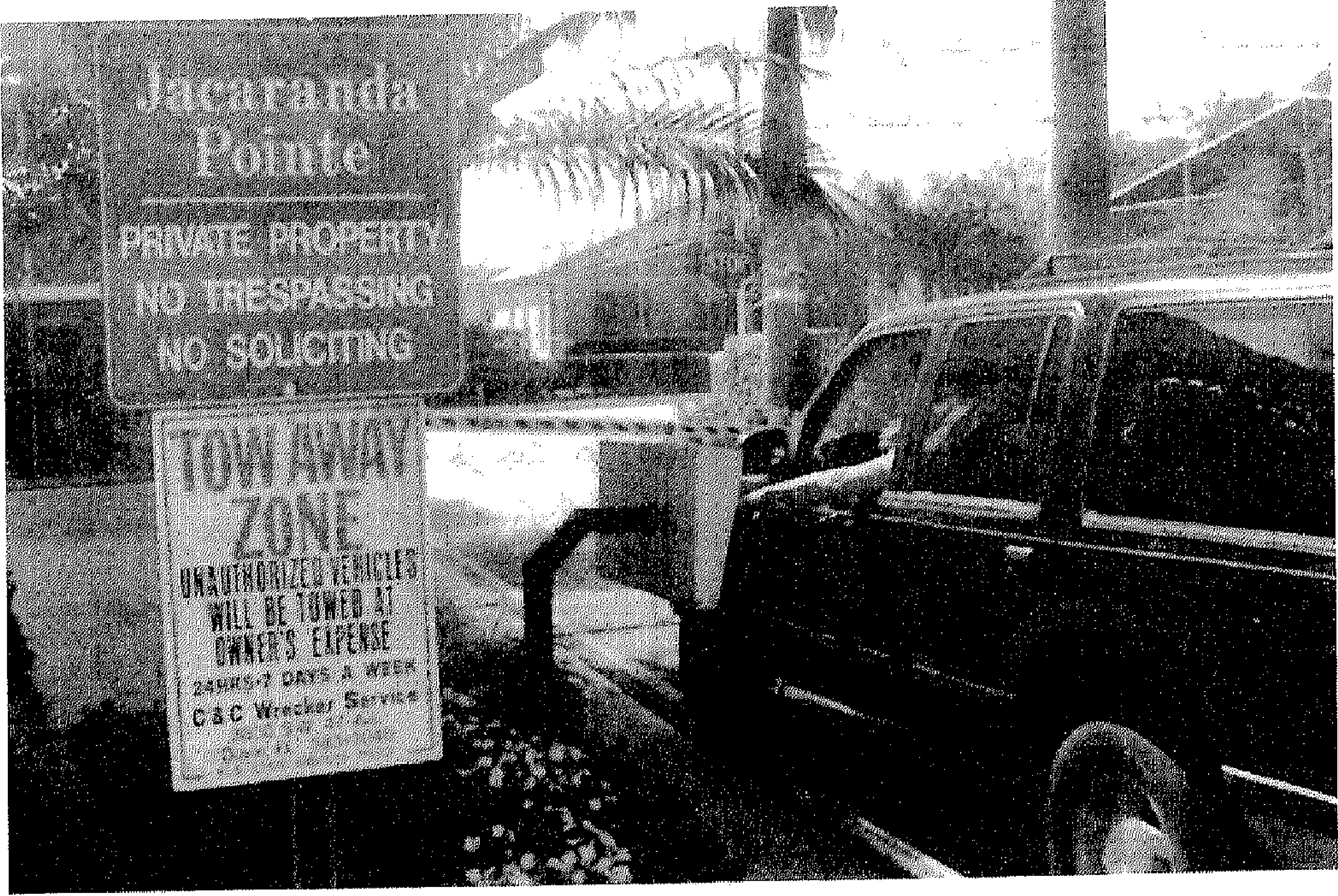
المصدر : دورين هايسلر ووارين كلاين ، *نظرة فى داخل اتحادات ملاك المجتمعات : حقائق ورؤى* (الاسكندرية ، فرجينيا : معهد اتحادات المجتمعات ، ١٩٩٦) ص ١٢ .

وفى كاليفورنيا ، حيث لا توجد صعوبة فى إنشاء مدينة جديدة على أرض غير ملحقة بإحدى المقاطعات ، أصبحت مدينة ليك وود نموذجا أمام الكثير من المدن الانعزالية الجديدة . فطبقا لنظام ليك وود تعاقدت هذه المدينة الجديدة مع حكومة المقاطعة ، وكذا مع المحليات المجاورة الأخرى على أن تتولى هذه الجهات القيام بالخدمات العامة التقليدية مثل الشرطة والإطفاء والمجارى والمياه . فالمدينة الجديدة ترى أن مهمتها هى توفير الخدمات وليس بالضرورة أن تؤدى هذه الخدمات بنفسها . وفى نموذج ليك وود ، يتمثل دور المدينة فى أن تكون جمعية خاصة تمثل مصالح المدينة وتقوم بشراء وتوفير الخدمات من جهات خاصة أو وكالات حكومية محلية ، وهو فى النهاية ذات الأسلوب المتبع فى اتحادات الملاك .



لافتة بلاجونا سور ، لاجونا نيجل ـ كاليفورنيا ، تعلن الحد من الدخول لمناطق عامة

وقد فضل بعض المقيمين فى عدد من المجتمعات المغلقة ، نتيجة لما يشعرون به من مرارة إزاء مستوى الخدمات العامة ، وبتأثير رغبتهم فى عدم الاسهام بسداد المستحق عن هذه الخدمات للمدينة أو للمقاطعة ، الانسحاب من هذا الإطار ليكون لمجتمعهم شخصيته القانونية المستقلة . وهناك على الأقل ستة مجتمعات مغلقة تحولت لمدن مستقلة تماما . فهناك مدينة هايدن هيلز التى يبلغ تعدادها ١ ٨١٢ نسمة، وكذلك مدينة رولنج هيلز وتعدادها ٢ ٠٧٦ نسمة وهما مجتمعان مغلقان يقعان خارج لوس أنجليس ويتميزان بالثراء. أما مدينة كانيون ليك بكاليفورنيا، فهى مدينة مغلقة يبلغ تعدادها ١٤ ألف نسمة وتقع فى مقاطعة ريفر سايد شرق لوس أنجليس، وسكانها من مستويات دخل مختلفة. وتوجد مدينتى جولف سيتى وجولدن بيتش الصغيرتين بالقرب من ميامى، فلوريدا وعدد سكانهما لا يتجاوز ١١٤ و ٦١٢ نسمة على التوالى. أما مدينة آتلانتيس الصغيرة والتى تقع خارج مقاطعة بوكارتون ، فهى تضع بوابات وأسوار تعلوها الأسلاك الشائكة حول منازلها البالغ عددها ١ ١٢٥ منزلا منذ منتصف الثمانينيات ، ويذهب ٧٠ فى المائة من ميزانية المدينة إلى الحراس والبوابات .(٣٩)



□ مدخل جاكراندا بوينت ، بلانتيشن ، فلوريدا

وتسير نحو نفس الهدف مجتمعات مغلقة أخرى فى كاليفورنيا ، ومثالها هيريتيج رانش بمقاطعة سانت لويس أوبيسبو ، وكذلك ليجر وورلد بمقاطعة لاجونا ، والبالغ تعدادها نحو واحد وعشرين ألفا . وهناك مدينة روزمونت خارج شيكاغو بولاية إلينوى ، حيث تم إنشاء نقاط للشرطة تتحكم فى الشوارع العامة المؤدية للمنطقة السكنية الرئيسية فيها ، مخلفة وراءها مناطق الحافة التجارية والفندقية والمهنية ، وبعض العمارات السكنية .(٤٠)

ويؤدى بناء الشخصية القانونية المستقلة إلى دعم وتعظيم سمات الانعزالية والأثرة والانسحاب فى العديد من المجتمعات المغلقة . فمدينة هيدن هيلز حيث تكون الأسوار البيضاء ذات الأوتاد إجبارية ، تزودنا برؤية مهمة لأسلوب عمل الحكومة المدينية وراء الأسوار، إذ اشتكى عمدة إحدى المدن القريبة من عدم تعاون ومشاركة هيدن هيلز مع الحكومات المحلية الأخرى ، فهى تكتفى ــ على سبيل المثال ــ بإيفاد موظف محدود الشأن ليمثلها فى الاجتماعات الدورية لعمد المنطقة . وتحدث أحد المرشحين لعضوية مجلس مدينة هيدن هيلز لمراسل لوس أنجليس تايمز قائلا :

إن السياسة فى المدينة " تشبه السعى لتمثيل أحد الفصول فى مدرسة ثانوية . فالناس يصوتون لصالح من يعرفون أو يحبون . فليست هناك قضايا ذات شأن " .[٤١]

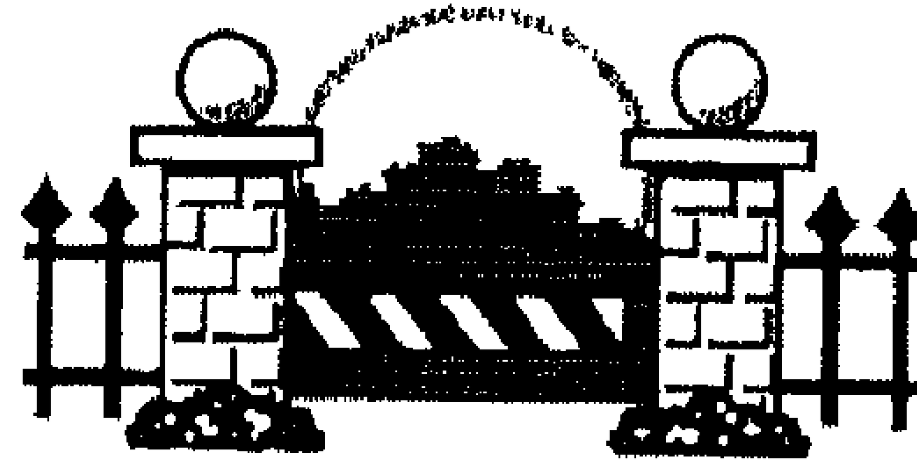
نقاط السيطرة

أصبحت أمريكا ، وبشكل متزايد ، مكانا يفتقر للمساواة . فالمجتمعات المغلقة تعبير عن قوى اجتماعية عريضة خرجت عن السيطرة فى ظروف نظام حضرى غير مستقر . ورغم أن البوابات لا تؤدى بحد ذاتها لعدم المساواة أو لغير ذلك من مشكلات اجتماعية ، إلا أنها تعكس أنماطا واتجاهات مؤثرة فى المجتمع ، فالخصخصة ووسائل السيطرة المادية فى المجتمعات المغلقة تحد أو على الأقل تحيد من علاقتها بالعالم الخارجى .

وخلال السنوات الأخيرة ، ربط بعض المفكرين بين انتشار المجتمعات المغلقة والابتكارات الهندسية والعمرانية الأخرى ، فالأسواق المجمعة والمبانى العامة والساحات العامة التى تعج بآليات الأمن ، والفنادق المخصصة للإقامة الدائمة ، ومراكز المؤتمرات ، إلى جانب الطرق العلوية وشبكة الأنفاق التى أبعدت الأجانب وعمال المدن عن استخدام أرصفة الأحياء السكنية[٤٢] ، أسهم ذلك كله ــ شأنها شأن المجتمعات المغلقة ــ فى خلق بيئة مسيطر عليها بعناية ، وأكثر أمانا بقدر ما هى أكثر انفصالا ، ويمكن عزل كل ما هو غير مرغوب فيه منها . وقد شرح تريفور بودى تأثير هذه البيئة الجديدة بقوله .. " إن الوجود بداخلها يرمز بقوة للأمان ، وبأن هناك من يدعمك بل ويدللك ، بينما الوجود فى الخارج يدعو للإحساس بأنك مستهدف ومعزول وضعيف " .[٤٣] وأكثر من أى وقت مضى ، يتحول الأمريكيون نحو الأماكن المحمية بعيدا عن المكان العام . وازدهار المجتمعات المغلقة هو جزء من هذا الاتجاه .

الفصـــل الثانى

البحث عن مجتمع



يستخدم تعبير " المجتمع " عادة من قبل المخططين وممثلى السلطة العامـــة والســكان للدلالة على المنشآت المغلقة . ويتحدثون عن العناصر العملية التى تسهم فـــى رأيـــهم فى خلق " المجتمع الصالح " : أمن الفـــرد والممتلكـــات ، الســيطرة علـــى حركـــة المرور ، الحماية من التلوث والضوضاء ، وسلامة الأطفال فى لـــهوهم بالشـــارع . كذلك يتحدثون عن الحس المجتمعى ، المجتمع الحميم أو الحيـــاة مـــع جـــيران علـــى شاكلتهم ، بما يعطى الانطباع بأن الإنسان يعيش فى " بيته " . ويتعرضون عنـــد حـــد معين تقريبا ، للمشكلات فى مجاورتهم وفى المجاورات الأخرى القريبة منها أو فـــى العالم الخارجى ، مؤملين أن تبعّد البوابات تلك المشكلات أو تحد منها .

ويعتقد كثير من الأمريكيين بأن مجاوراتهم السكنية مهددة ، وهو اعتقاد ليس وقفـــا على من يعيشون بأكثر أحياء المدن فقرا وتعرضا للجريمة . فالجريمـــة تبـــدو أكـــثر عشوائية واستشراء ، فالاختطاف وسرقة السيارات طالت الضواحى الهادئة ، وتجـــارة المخدرات آخذة فى الرواج حتى فى المناطق الريفية . وانتشرت العصابات فى المـــدن كبيرها وصغيرها على السواء وصارت جرائم الشباب قضية قومية ، وبدأت وســـائل

الإعلام تتحدث عن " جيل مفترس " من المراهقين وحتى من الأطفال الذين بلا ضمير ولا إحساس بالشفقة .

وجانب من التهديد الذى يشعر به الكثيرون ، تعكسه أيضا قابلية بيئتهم للانفجار بسبب زيادة التنوع العرقى ، وعدم الاستقرار الطبقي ، والتغيير الذى ألم ببناء الأسرة ، وذلك مع اتساع الفجوة بين الدخول وعدم الاطمئنان للمستقبل اقتصاديا . والتغيير السريع فى تلك العوامل المؤثرة على أسلوب الحياة يعتبر بدوره خطرا ، حيث يؤدى انعدام الطمأنينة والاستقرار إلى الخوف . وهنا يبدو " للبيت " قيمة نفسية كبرى ، فهو يعتبر الاستثمار الأهم ، وربما الوحيد لمعظم العائلات ، وهو مصدر شعورها بالأمان المالى تجاه المستقبل . ولكى يكون المنزل آمنا فلا يكفى وضع الأقفال على بابه ، فشوارع المجاورة حوله ، والمدينة والمنطقة اللتان يوجد فيهما ينبغى أن تكون آمنة أيضا .

وإذا كانت البوابات وقوة حراسة الأمن الخاصة والمتاريس عوامل مساعدة للسيطرة على البيئة والحفاظ على مستوى الحياة ، فكذلك تفعل حركات تنتظم بعض المقيمين فى التجمعات السكنية شعارها " لا تتطلع إلى فنائى " ، فضلا عن الدور الذى تقوم به اتحادات الملاك . وعلى مستوى أعم ، هناك أولا " القانون والنظام " بأدواته الرادعة مثل الشرطة ، وتغليظ العقوبات ، ونشر المزيد من السجون ، كما أن تحول الأماكن العامة مثل الأرصفة والساحات العامة إلى مثيلتها الخاصة مثل المتنزهات يمثل نوعا من السعى نحو أمن وسيطرة أكبر . وجميع هذه المبادرات يقصد بها الحماية ضد الجريمة وتوفير الفرصة للسكان المحليين للتحكم اجتماعيا وماديا فى مناطقهم . وبينما يحاول البعض توفير الدعم والتماسك لمجتمعهم من خلال وحدته فى مواجهة هذا التهديد ، فإن آخرين يفضلون تحقيق نفس الغاية عن طريق السيطرة على الفئات أو النشاطات الهدامة التى يرونها مصدرا للمتاعب . وهناك فريق ثالث يجمع بين الأسلوبين .

والمجتمعات المغلقة جزء من اتجاه لمباشرة وسائل اجتماعية وأخرى مادية بهدف السيطرة على المكان . بعض الأسوار يقصد منها أن تضم أفرادا بداخلها ، وبعضها لبقاء أفراد آخرين خارجها ، والبعض منها يعتبر علامة دالة على المكان والهوية ، وثمة أسوار للخصوصية واستبعاد الغير . وقد كتب بيتر ماركيوز عن الأنواع

المختلفة للأسوار فى المدينة من المنظور المادى والاجتماعى وأيضا كرمز وحالة نفسية ، وكوضع قانونى . ويسجل أغراضا متنوعة للسور وللبوابات وللمتاريس بالمناطق السكنية . ففى المجاورات الفقيرة يمكن اعتبار البوابات والمتاريس أسوارا " للحماية والتماسك والتضامن " ، وخلافا لذلك ، فهى بالمجاورات الأرقى داخل المدن تؤمن وتحمى الامتيازات للسكان الجدد من ذوى الدخول الأعلى . أما بالضواحى فالأسوار تؤدى وظيفة نفى الآخر لأسباب تتعلق بالمركز والسيطرة الاجتماعية ، مع حماية الامتيازات والثروة من تهديد الاقتحام المادى .(١)

إن بناء المدن ، وتطوير أشكال جديدة للمناطق السكنية يمثلان لحد ما السعى لتوفير نظام حياة أفضل . وإنشاء المجتمعات هو أحد مظاهر هذا السعى . ولسكان المجتمعات المغلقة توقعاتهم ودوافعهم المتباينة بطبيعة الحال . فهم يريدون الأمن والسلامة ، والكثير منهم حريصون على الخصوصية أو حفظ المكانة . ويأمل آخرون بأن تؤدى الشوارع الخاصة ذات النهايات المغلقة خلف البوابات لخلق مجتمع أكثر تماسكا ومودة وانفتاحا .

وفى دراستنا للمجتمعات المغلقة، طرحنا تساؤلات تتعلق بمدى تأثر المجتمع بها، وعن توقعات السكان عن الحياة خلف البوابات ، وأى خبرات حصلوها ، ولأى حد كانت مشاركتهم فى حياة المجاورة ، ومدى علاقتهم بالعالم خارج مجتمعهم ، وعما خلفه تأثير وجود البوابة والسور المحيط على شعور السكان تجاه المجاورة أو تجاه أسلوب عملها .

ذلك أن شكل وخصائص المكان الذى نعيش فيه له أثره الكبير على خبراتنا وعلى تفاعلنا الاجتماعى وسلوكياتنا . وسوف نستكشف أولا فى هذا الفصل موضوع المجتمع وماذا يعنى ومدى علاقته بالحيز الذى نقيم عليه ، ثم نتجه ــ بعد مناقشة خطة البحث ومنهجيته لمعالجة الأشكال الثلاثة الرئيسية للمجتمعات المغلقة وخصائص كل منها .

تعريف المجتمع

كانت مجتمعاتنا وعلاقاتنا داخلها ، محل اهتمام بدءا بألكسيس دى توكفيل وحتى علماء الاجتماع والسياسة المعاصرين باعتبارها عنصرا رئيسيا فيما يعنيه أن يكون المرء أمريكيا . ولكن ما هو المجتمع ؟

في أواخر القرن التاسع عشر ، ابتكر فرديناند تونيس ازدواجيته& Gemeinschaft Gesellschaft والتي مازالت توجه طريقة تفكيرنا إزاء المجتمعات السكنية حتى اليوم .[٢] فالجيماينشافت هو المجتمع " الحقيقي " ، الطبيعي ، والعاطفي ، مجتمع الاعتماد المتبادل . أما الجيزيلشافت فهو المجتمع الحديث ، العقلاني ، مجتمع الاتحادات التي خلقناها لتؤدي وظيفة ما . وقد أصبحت الجيماينشافت شعارا يدل على مجتمع القرية القديم المتجانس والقائم على التعاون والترابط ، في حين استعملت الجيزيلشافت قرينة للمجتمع الحديث ، المجرد ، المغترب ، والقائم على التعددية والذي حل محل الأول .

وفي العقود الأولى من القرن العشرين ، قامت مدرسة شيكاغو للعلوم الاجتماعية بدراسة حول المجتمعات السكانية ، تناولت فيها بالتحديد شكل المجاورات ، في محاولة لفهم المجتمع . فنظر روبرت بارك ورفاقه للمجاورة الحضرية في شيكاغو كمجتمع يؤدي اقتراب السكان فيه لتوليد شعور محلي ، كما اهتموا بالقوى الاجتماعية التي تنشر الفوضى بالمجاورات وتضعف المجتمعات .[٣] وفي رأيهم ، فإن اضمحلال المجتمع ناشئ عن الحضرنة والحداثة . والحراك والتصنيع ، وفصل مكان العمل عن المنزل ، وتعاظم ثقافة العموم ، كلها عوامل نظروا إليها على أنها تضعف صلة الرحم وتقوض التضامن الاجتماعي . وأصبحت الصلات الاجتماعية الثانوية ، تلك المؤسسة على الروابط الاقتصادية النفعية أكثر أهمية من الروابط الاجتماعية الأصيلة القائمة على صلة الرحم والثقافة والانتماء للمجتمع.[٤]

وبدأ علماء الاجتماع لاحقا يتساءلون عما إذا كانت هذه النظرة للمجتمع قد افتقدت في العصر الحديث . فيزعم جيرالد ساتلز بأن فكرة اضمحلال المجتمع تأسست في " عصر ذهبي " لم يوجد مطلقا. وتبنى آخرون نظرية مفادها أن المجتمع لم يفقد وإنما تحول . وأنه بدلا من تحري مثاليات الجيماينشافت ، فأجدر بالباحثين أن ينظروا للوظائف التي يؤديها المجتمع : الإنتاج والتوزيع واستهلاك السلع الاجتماعية ، والرقابة الاجتماعية رسمية كانت أم غير رسمية ، والاندماج بالحياة الاجتماعية ، والمشاركة الاجتماعية ، والتكامل .[٥] وقد لاحظوا أن تلك الوظائف تحققت في المجتمعات تحت أشكال متنوعة. فثمة المجتمع ذو المسئوليات المحدودة حيث الدخول والخروج منه متاحا وفقا لحاجات الفرد .[٦] وهناك المجتمع المحمي ذو الهوية

المميزة له إزاء ما يحيطه .[٧] ثم المجتمع المؤسسة الذى يقوم بدور الوسيط بين الفرد والمجتمع مثل الكنيسة والأسرة والمجاورة .[٨] وكل هذه الأشكال يمكن أن تعمل كمجتمع بالنسبة لأعضائه . وكلها قادر على إلهامنا " بالحس المجتمعى ". وبعض العلماء قاموا بتعريف نوع " جديد " من المجتمعات آخذ بالظهور فى عالمنا الجديد المتغير والمتعدد ، فهو مجتمع تحرر من قيود الجيرة وبنى على الصلات الشخصية فى إستقلالية عن المكان .[٩] وقاس آخرون وقيموا هذه الصلات ناظرين إلى المجتمع الحديث كشبكة مركبة ومتنوعة من الروابط الاجتماعية الأولية .[١٠]

فالمجتمع لفظ غامض ، مثقل بالتاريخ وبالدلالات ، وبالحنين للماضى والرومانسية . وعمق العمل الذى قدمناه للتو يوضح أن الباحثين فى المجتمع لم يكونوا يتحدثون دائما عن نفس الشئ . وبالرغم من ذلك فتعريفاتهم بها بعض التوافق . فالمجتمع يفترض المشاركة ، عادة مشاركة فى الأرض ، وبالتأكيد أيضا مشاركة فى الخبرات أو التفاعل المجتمعى ، وكذلك المشاركة فى التقاليد ، وفى المؤسسات ، والأهداف المشتركة ، وفى البنية الأساسية السياسية والاقتصادية .[١١] فهى لا تتطلب الحس المجتمعى فحسب ، وإنما الإسهام فى الحياة الاجتماعية بمكان ما أيضا، وفى النشاط السياسى والاقتصادى الذى ينمى الشعور بالمصير المشترك داخل الحيز المجتمعى .

ويلخص الجدول (٢-١) عدة عناصر مهمة فى المجتمع . فالأرض المشتركة يمكن تعريفها بالحدود الطبيعية أو المجتمعية . فإذا كانت الحدود رمزية أو غير ملموسة ، فسيكون بوسع السكان تعريف مجتمعهم بشكل متباين . ويجرى عادة استخدام معالم مادية مثل طرز المبانى والطرق الرئيسية والأسوار حول المجتمع المغلق والعنصر الثانى هو القيم المشتركة أو أسلوب تعرف الناس على ما يجمع بينهم وبين أعضاء المجتمع الآخرين، للتوصل إلى بناء هويتهم وهوية مجتمعهم. وقد تتسع هذه لتشمل خصائص عرقية أو طبقية أو عقائدية أو حتى ذات صلة بالتاريخ المشترك. وكل المجتمعات السكنية تضم أماكن عامة مشتركة تسمح للمقيمين بالتلاقى والتفاعل فيما بينهم ، مثل الشوارع والأرصفة والحدائق والنوادى الريفية الخاصة . أما العنصر الرابع أى بنيات التكافل المشتركة فهى المؤسسات التى تمكن المجتمع من توفير التضامن وانتظام السكان فى نشاطات مشتركة ، ومثالها الكنيسة والمنظمات

جدول (٢-١) عناصر المجتمع

العنصر	*الوظيفة*	*أمثلـــة*
إقليم مشترك	التعريف بحدود المجتمع	أسماء تاريخية ؛ نوع الإسكان ؛ اسم التقسيمات الفرعية ؛ الأسوار ، البوابات
قيم مشتركة	التعريف بالهوية والمنافع المشتركة	الخلفية العرقية / الإثنية ؛ طبقة / مستوى الدخل ؛ الدين ؛ الاحتفال بالمناسبات التاريخية والتراثية
النطاق العام والمشترك	أرضية مشتركة للعلاقات المتبادلة	حدائق عامة ؛ أماكن خلوية ؛ الشوارع والأرصفة ؛ تسهيلات خاصة تتعلق بتقسيمات فرعية
هياكل دعم مشتركة	العون المتبادل والاتحاد	منظمات مجتمعية تطوعية ، جمعيات خيرية وترويحية ؛ كنائس ، إدارة محترفة
مصير مشترك	آليات للحماية أو توجيه للمستقبل	جمعيات مدنية ؛ تجمعات المجاورة التطوعية ؛ العقود واللوائح والقيود ؛ اتحادات الملاك

الخيرية والنوادى الاجتماعية والترفيهية بما فيها رابطات الشباب أو رابطات الفتيان ، كما يمكن اعتبار فريق الإدارة المحترف فى بعض اتحادات الملاك جزءا من بنية التكافل المشترك . وأخيرا هناك المصير المشترك ، ونقصد به الآليات التى يجب على المجتمع حمايتها أو توجيهها ، وقد تشمل مجموعات تطوعية للارتقاء بالمجاورة ، والجمعيات المدنية ، واتحادات الملاك . ويمكن أن ندرج بها أيضا عقود التمليك وما يستتبعها من قواعد وقيود يخضع لها السكان .

وسنعالج فى هذا الكتاب مفهوم المجتمع كموطن ، المفهوم المتجذر فى أرض المنشأة السكنية . وإذا اعتبرنا المجاورة مجتمعا فلكونها تتألف من أكثر من مجرد أصدقاء وجيران يعيشون فى مجموعة مساكن داخل أرض لها هوية مشتركة ، فهناك بالإضافة لذلك الشعور المتبادل بالمسؤولية والتفاعل ذو المغزى وروح التعاون .

ويمثل مفهوم المجتمع كما سنتناوله فى هذا الكتاب أيضا ، مدى قوة تـأثير القيم المشتركة كما تعبر عنها الروابط الاجتماعية نحو المكان والناس فيه . ولهذا المفهوم مظهران ، أولهما الطبيعة " الخاصة " للمجتمع ونعنى بها مجتمع المشاعر أو " الأحاسيس الطيبة " العالقة بذهن أكثر الأمريكيين حين يتحدثون عن المجتمع ، فهى بالأحرى مشاعر الانتماء أو الاتصال بمكان وبالناس فيه، وهى الثقافة المحلية المعنية بالتضامن وبالعلاقات الاجتماعية المشتركة . أما المظهر الثانى للمجتمع فهو " عام " ومحله الالتزامات المتبادلة والمصير أو الهدف المشترك ، وممارسة الديمقراطية المباشرة والمشاركة فى شئون المجتمع . إنه اعتراف بمبدأ الاعتماد المتبادل ، والوعى بأن نوعية حياتنا تعتمد على بيئتنا والناس فيها . إنها أكثر من مجرد الحياة فى نفس المكان ، وهى أيضا أكثر من حسن الجوار .

وقد نظر الباحثون فى موضوع اتحادات الملاك ، بعناية أيضا لعلاقة المجتمع بانشاء الحكومات المصغرة الخاصة وما تعنيه الأخيرة بالنسبة للخبرات والممارسات المجتمعية . ولأن المجتمعات المغلقة قد تطورت مع اتحادات الملاك ، فيمكن لتلك الدراسات أن تلقى بعض الضوء على مسألة البوابات والمجتمع . ونظريا ، فاتحادات الملاك أداة ممتازة تؤدى لمجتمعات محلية قوية ، إذ أن لديها بنية قانونية تقدم الخدمات كهيئة شبه حكومية وكآلية للمشاركة والاتصال . وبهذا المعنى فاتحادات الملاك شكل من أشكال الديمقراطية المباشرة ، ووسيلة للسيطرة المحلية وتقرير المصير بما يمكن من ضم الجيران معا حول مصالح مشتركة .

وواقع الحال أن تلك المثالية قلما وجدت. وما ينشر عن اتحادات الملاك ملىء بالشكوى من الفتور والصراعات وعدم المشاركة . والدراسات بشأنها وقعت على النذر اليسير من الدلائل على قدرة اتحادات الملاك على تفريخ مستويات أعلى من المشاركة ومن الحكم الذاتى .(١٢) ويعزى روبرت ديلجر هذا التأثير إلى خلل فى بناء اتحادات الملاك وإلى مشكلة " الركوب مجانا " ، وذلك لأن المشاركة اختيارية بما يجعل القلة فقط من الأفراد تقوم بمعظم العمل ، وطالما لم تكن هناك مشكلات ملتهبة فإن الأغلبية تشعر بالاطمئنان تاركة هذا النفر المحدود يتحمل عبء إدارة الاتحاد .(١٣)

ويرى كل من كارول سلفرمان وستيفن بسارتون أن وجود الصراعات وعدم المشاركة باتحادات الملاك ترجع أيضا إلى التنافر بين حقوق الملكية الخاصة والوظيفة العامة . فالسكان يرون فى اتحاد الملاك أداة لحماية ملكياتهم الخاصة ، وتأمين حقهم فى الاستمتاع الخاص بمنازلهم بدون تطفل الآخرين . ولكون الاتحاد مؤسسا على هذه الأهداف الفردية المتأصلة فى حقوق الملكية الخاصة وحيازتها ، فإن الناس لا تراعى أن هناك التزامات فى بناء اتحاد الملاك تمتد إلى المجتمع كشراكة عامة . وعلق جريج الكساندر على ذلك بأن الأفراد فى العادة وببساطة يفتقرون إلى " الوعى بالمشاركة ".(١٤) ويرى الكساندر الضغوط حول المجتمع فى الحياة الأمريكية كصراع بين نظريتى العقد والجماعية بشأن المجتمع . والأولى منهما تنتمى لفكر الاختيار العقلانى وترى الأفراد كذرات متنافرة لا يرتبطون بعضهم بالبعض إلا إذا ارتضوا ذلك تحقيقا لمكاسب شخصية . أما الجماعية المثالية فإن الأفراد بموجبها منتظمون بالطبيعة فى مجتمع وهم إذ يترابطون معا فليس فقط من خلال إنسانيتهم المشتركة ، وإنما من خلال الهياكل الاجتماعية التى يخلقونها معا ويفيدون منها .(١٥)

وقد يكون المجتمع محليا كمربع سكني فى مدينة ، وقد يكون كبيرا كإقليم ، بل وبوسعنا الحديث عن المجتمع الوطنى ، أو الدولى . ونحن جميعا أعضاء بمجتمعات عديدة مثلنا مثل مجموعة دوائر متحدة المركز أو شبكات متداخلة . والمجتمع الأمريكى أكثر من مجرد منظومة علاقات اجتماعية محلية ، ولكنه أيضا كتلة من البناء السياسى والمثاليات المجتمعية تشكلت فى مكان وعلى الأرض . وبقدر ما يصبح المكان والمجتمع سلعة ، وبقدر ما نشترى البيئة بدلا من أن نخلقها ، فإن مجاوراتنا تتشكل أكثر فأكثر بواسطة مؤسسات اقتصادية وليس اجتماعية . وإن التعبير الأكثر حداثة للشكل الحضرى فى أمريكا ، يبعدنا عن قوة المكان القديم المؤسس على العلاقات ، إلى قوة مكان جديد مؤسس على حيازة الملكية . فالبوابات والجدران التى نعرض لها هنا أكثر من كونها عوائق أمام الدخول ، إنها رموز لنمط اجتماعى جديد قد يلحق آثارا وخيمة على الأمة ذاتها .

منهج البحث

استخدم الفقهاء مجالات متسعة من المناهج للأبحاث ذات الصلة بالمجتمع : أشكاله وآثاره ووظائفه . وتميل الدراسات بشأن المجتمعات الفردية إلى التأثر بعلم الأعراق

البشرية مستخدمة ملاحظات المشارك كمنهج مركزى ، بينما تركزت الأبحاث حول المجتمعات الحضرية على الملاذات العرقية ، الجيتو ، أو على المجاورات . وقد اعتبر إسهام هربرت جانز ذا تأثير ملحوظ فى ذلك ، واستخدم اليجاه آندرسون مع آخرين نفس الأسلوب حتى وقت قريب .(١٦) وعمل بحاثة آخرون على تدعيم ملاحظة المشارك بمصادر قانونية تتراوح بين التقارير الصحفية إلى البيانات الإحصائية والمدونات التاريخية .

أما الفقهاء الأكثر اهتماما بالمسائل الاجتماعية والسياسية عن مجرد التركيز على مجتمعات فردية ، فإنهم يوظفون عادة منهجا يعتمد على ما تسفر عنه المقابلات من مادة . فعلى سبيل المثال ، استخدم ويليام جوليوس ويلسون مقابلات مكثفة بهدف استنطاق السكان عن تجاربهم بشأن قيم المجتمع وأهدافه وغير ذلك كثير ، وقد مكنه هذا من إنجاز دراسة عن الأحياء الفقيرة المعزولة اجتماعيا وليس فقط عن الناس المحبوسين داخلها .(١٧) وقد توسع روبرت بيللاه وزملاؤه فى نفس المنهج بإجراء مقابلات على مستوى البلاد فى دراستهم الكلاسيكية عن المجتمع والالتزام المجتمعى والفردية فى أمريكا والمعنونة " عادات فى القلب " ، والذى أصبح ركيزة ما يطلق عليه " علم الاجتماع كفلسفة عامة ".(١٨)

والأبحاث التى قمنا بها من أجل هذا الكتاب ، مستمدة من كثير من هذه المناهج . ونظرا لكون المجتمعات المغلقة ظاهرة ناشئة والدراسات بشأنها غير متاحة عمليا ، فقد توجهنا بالبحث من منطلق التحريات ، كما استقينا كثيرا من المادة من المصادر الشائعة كالصحف والمجلات ، وجمعنا المعلومات من السكان فى المجتمعات المغلقة ومن المخططين والمهندسين العمرانيين والموظفين العموميين ومجموعات المواطنين والجمعيات والاتحادات الوطنية . وقد بدأنا بتعريف الملامح المادية والسلوكية ذات الصلة بالاتجاه صوب المجتمعات المغلقة ، ولكن كان اهتمامنا الأساسى ينصب على القضايا الاجتماعية المحيطة بهذه المجتمعات . وكان محور اهتمامنا هو كيفية أداء المنشآت المغلقة لوظيفتها كمجتمعات سواء داخليا كمجاورات أم خارجيا أى علاقتها بالمدينة والمقاطعة والإقليم التى تعد جزءا منها . كما سعينا لمعرفة ماذا يمثل بزوغ المجتمعات المغلقة بالنسبة لمجتمعنا .

ــ ماهية شعور هؤلاء في الداخل ومن بالخارج تجاهها ؟ وهل يرون أن البوابات والجدران تستجيب لحاجات السكان المحليين ؟ وما هو رأى السكان ؟ والمخططين ؟ والمصممين ؟ وموظفى الحكم المحلى ؟

ــ أى خبرات لدى سكان المجتمعات ذات البوابات عن مجتمعهم ؟ وإلى أى مدى يبدون روحا مجتمعية ومشاركة مواطنية داخل تلك الملاذات ؟ وهل لديهم إحساس بالترابط والانتماء نحو الناس داخل جدران مجتمعهم أم أنه إحساس نحو المكان فحسب ؟ وبأى معنى يمكن وصف المجتمع المغلق بأنه مجتمع حقا ؟

ــ أية دلالة تعطيها المجتمعات المغلقة لمعنى المواطنة ؟ وكيف يقدر السكان فيها موقعهم داخل المجتمع المحيط بهم والمجتمع الأشمل ؟ وهل يشعرون برابطة قربى نحو المدينة خارج البوابات أم أنها تجاه منشآتهم المسورة فقط ؟ كيف ، ولأى درجة يرتبطون بالمدينة خارج بواباتهم ؟

لقد جمعنا بيانات ذات علاقة بالأجناس مع أخرى إحصائية ، وجمعنا محصلة زياراتنا الميدانية وملاحظاتنا أثناءها كما أجرينا مقابلات مع مجموعات بين المقيمين وأخرى فردية ، وأعددنا بحثنا الخاص عن المجتمعات المغلقة ، واستعنا بمصادر بيانات ثانوية . ولم تكن المشكلة غياب الإحصاءات على المستوى الوطنى أو المحلى عن انتشار المجتمعات المغلقة وعن خصائصها الأخرى فحسب ، وإنما كانت تتمثل فى عدم توافر الأبحاث الجامعية أو من مراكز الأبحاث أو الاتحادات المهنية والتجارية بشأن تلك الظاهرة . وبالتالى كانت خطوتنا الأولى ترمى إلى التعريف بأكبر قدر ممكن من المجتمعات المغلقة، فقد قمنا أولا من خلال البحث المباشر فى بنوك المعلومات فى الصحف ، بتحديد مئات المجتمعات المغلقة وشرعنا فى تحديد إطار الظاهرة .

وأردفنا بحوثنا داخل المؤسسات الإعلامية باتصالات مع صحفيين ومخططين وغيرهم من مصادر المعلومات الذين قدموا لنا مساعدة ثمينة بتوجيهنا للنشطاء داخل المجاورات وللمصممين والمخططين والسماسرة والمسئولين الحكوميين وفى الاتحادات التجارية والاستشاريين فى مجال الأمن وغيرهم عبر البلاد . ومن تلك المصادر أمكننا بناء قاعدة معلومات عن الخصائص الرئيسية للمنشآت التى تعرفنا

عليها ، وبعد زياراتنا الميدانية الأولية فى كاليفورنيا طورنا نموذجا عمليا للمجتمعـــات المغلقة وما يتصل بها من أفكار رئيسية وموضوعات .

ولقد أجرينا العديد من جلسات الاستماع والمقابلات مع مجموعـــات تـــم التركـــيز عليها فى ست مناطق حضرية كبرى تضم نسبة عالية من المجتمعات المغلقة ، وهـــى منطقة خليج سان فرانسيسكو ، ولوس أنجليـــس ، وريفـــر ســـايد ، وبـــالم ســـبرنجز بكاليفورنيا ، ومقاطعة أورانج بكاليفورنيا ، ودالاس ، وميامى . وضمت المجموعـــات المستهدفة سكان هذه المجتمعات ، ومسئولين حكوميين وسماسرة ومخططين ، وروعى أن يمثل السكان المشاركين أوسع نطاق ممكن للعينات ، كما وتم اختيارهم من خـــلال تتبعنا لوسائل الإعلام وعن طريق مصادرنا المحليين ، سواء فى الأوساط الأكاديميـــة أو الصحفية . وكان المشاركون من قطاع الصناعة معروفين بنشاطهم فـــى مجـــالات البناء وتسويق المجتمعات المغلقة ، بينما مثل المسئولون الحكوميون إدارات الشـــرطة والتخطيط والإطفاء ، إضافة إلى المسئولين المنتخبين والمعنييـــن برســـم السياســـات المتعلقة بهذه المجتمعات . وفى أماكن معينة قمنا بمقابلات فردية بغرض التـــأكد مـــن أن أكبر كمية من وجهات النظر تم إدراجها خلال زياراتنا القصيرة لكل منطقة .

وللتأكد أيضا من أن كل الموضوعات تم تغطيتها ، وأن ما قد يكون عالقا بذهننـــا من مفاهيم مسبقة أو تحيزات لن يؤثر على أبحاثنا ، فقد عهدنا إلى متطـــوع مســـتقل بقيادة جلسات الاستماع مع المجموعات المستهدفة . وقد غطت كل جلســـة مجموعـــة من الموضوعات العامة وأخرى محددة ذات مغزى بالنسبة لمنطقة بذاتها .

وقد أجرينا كافة جلسات المجموعات المستهدفة وكذا زياراتنا الميدانيـــة ، داخـــل حزام الشمس حيث المناطق الأكثر تركيزا للمجتمعات المغلقة . وقمنا بجمـــع بيانـــات على المستوى الوطنى من خلال مسح ميدانى أجـــرى بالتعـــاون مـــع معـــهد اتحـــاد المجتمعات السكنية فى الاسكندرية بولاية فرجينيا . وتم هـــذا المســـح عـــن طريـــق المراسلات البريدية مع مجالس اتحادات الملاك الأعضاء بالمعهد بعدد يربو على سبعة آلاف اتحاد ، وإن كان قد وصلتنا ردود أكثر من ألفين منها بنســـبة ثلاثيـــن بالمائـــة تقريبا ، وتسعة عشر بالمائة منها جاءت من مجتمعات مغلقة . وكانت الأســـئلة فـــى المسح تعتمد على ما نشر عن المجتمعات وعلى معلوماتنا عن المجتمعـــات المغلقـــة المستقاة من القسم الأول بالبحث الذى أجريناه ، وهـــى تتعلـــق بـــالدوافع ، ومشـــاعر

الجوار ، ومدى المشاركة فى المجتمع الداخلى ومدى المشاركة فى المجتمع الخارجى ، ومدى فاعلية البوابات .

نموذج المجتمعات المغلقة

ليست كل المنشآت المسورة والمجاورات المشمولة بالحراسة ، متشابهة ، كما أنها ليست فى سلة واحدة من منظور السوق . وفى استكشافاتنا الأولى للمناطق المغلقة مع بدايات عام ١٩٩٤ ، وجدنا طرزا مختلفة تمثل شرائح متباينة فى سوق الإسكان . وهى وإن اتفقت بشكل ما فى نظم السيطرة على الدخول إليها ، فإنها مختلفة جذريا فى كيفية التجاوب مع الحس المجتمعى داخل جدرانها .

وقد تبين لنا أن المدن والمجتمعات المغلقة يمكن إدراجها فى ثلاث فئات رئيسية أطلقنا عليها وصف مجتمعات الحياة المتميزة ، ومجتمعات المكانة ، ومجتمعات المناطق الآمنة . وهذا التقسيم ليس مبنيا على تمييز بينها فى خصوصيات وملامح ثابتة ، وإنما هو بالأحرى ينظر إليها كأمثلة نموذجية تسهل فهم طبيعتها أكثر منه تصنيف جامد . وفى واقع الأمر فبعض المنشآت تعكس خصائص أكثر من نموذج ، ولكن كقاعدة ، فالفئات الثلاث تمثل خصائص مادية متباينة وبواعث مختلفة لدى سكانها ، وكلها مرتبطة بشرائح محددة فى السوق .

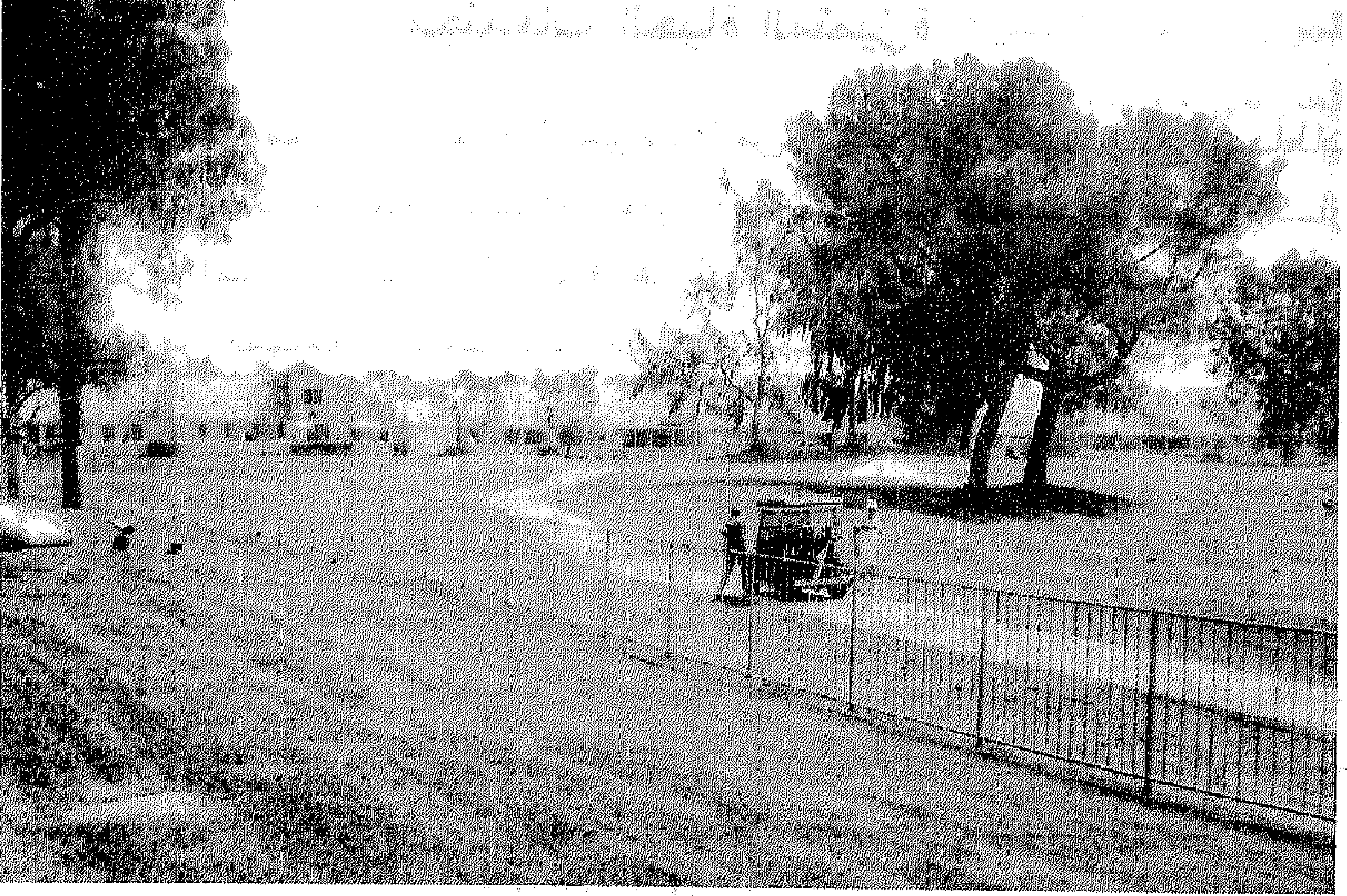
وقد صممت بعض المنشآت الضخمة لتستجيب لأكثر من شريحة فى السوق ، بما تحتويه من مناطق مغلقة مرتبة تنازليا حسب مستوى الدخل وأفضلية أسلوب الحياة . كما وأن المناطق التى نصبت عليها المتاريس ، من أجل سكان موجودين بالفعل وليسوا متوقعين ؛ تضم أحيانا خليطا من الأجيال ومن ثم تواجه متطلبات متعددة لمستوى الإسكان ، وهى متغيرات قد ترتقى بمستواها أو تهبط به . كما ويجرى إعادة تأهيل فى كثير من منشآت الضواحى والمدن الداخلية بما يناسب تقلبات السوق ورغبات الملاك الجدد . بيد أن أكثر المنشآت التى عثرنا عليها ، عبر البلاد كلها ، كانت تقسيمات جديدة صممت خصيصا لزبائن محددين . لكن حتى هذه المنشآت المتجانسة والمحددة الهوية بدقة ، تختلف أيضا فى خصائصها بقدر ما يختلف سكانها فيما حفزهم للعيش بها .

مجتمعات الحياة المتميزة

توفر البوابات فى مجتمعات الحياة المتميزة كلا من الأمـن والخصوصيـة لنشـاطات وقت الفراغ ووسائل الراحة الموجودة داخلها . ومنشأة الحياة المتمـيزة هـى الأكـثر شيوعا بحزام الشمس ، ولكن يمكن توافرها بأى مكان فى البلاد . وهى تضم بدورهـا ثلاثة أنواع من المجتمعات : مجتمعات التقاعد ، ومجتمعات الجولف وتمضيـة وقـت الفراغ ، والمدن الجديدة فى الضواحى . والأولى بينـها ، مجتمعـات التقـاعد ، تـم إنشائها للمتقاعدين من أبناء الطبقة الوسطى والشرائح العليـا منـها الذيـن يتطلعـون للاستمتاع بنوع العمارة وبالاستجمام وبالمناخ الاجتماعى الجاهز فى سـنى تقـاعدهم الأولى . وكثير من هذه المنشآت بدأت كبيوت إضافية لأصحاب منازل فـى جـهات أخرى ، ولم تلبث أن تحولت لمساكن دائمة بعد التقاعد . ومن ثـم نجـد فـى تلـك المنشآت هذين النوعين : المقيمون لبعض الوقت والمقيمون بصفة دائمة . ومن أمثلتـها سلسلة المنشآت المنتشرة فى البلاد وتحمل اسم مؤسسات مثل ليجـر وورلـد وصـن سيتى ، ومجرد الاسم له مغزاه التقاعدى المقصود .

أما مجتمع الجولف وتمضية وقت الفراغ ، والمتجسد فى منشـآت مثـل النـادى الريفى بلاك هوك قرب سان فرانسيسكو ، فساحة الجولـف ونـادى التنـس سـمات مركزية بها . كما أن هيلتون هيد وغيرها من مراكز الاستجمام على سواحل سـاوث كارولينا اشتهرت بتوجهاتها التقاعدية والترفيهية لعدة سنوات . وحتى فـى المنـاطق الشمالية حيث الجليد ، فإن منشآت النوادى الريفية غدت مألوفة بشكل متزايد .

وتمثل المدينة الجديدة مستوى آخر فى مجتمعات الحيـاة المتمـيزة بـالضواحى . وهى ليست القرية الحضرية التى يتحمس لها مفكرو الحضر الجـدد أمثـال أندريـه دوانى وبيتر كالثورب وآخرين .[١٩] فهذه المنشآت التى نعنيها فـى الضواحـى مـن الاتساع بحيث قد تضم آلاف الوحدات السكنية إلى جانب الأحياء التجارية والصناعيـة داخل المنشأة أو ملاصقة لها . والمدن الجديدة ليست جديدة النشـأة ، ولكـن وضـع البوابات على أحيائها السكنية هو الجديد . وتعتبر إرفين رانش الواقعة قـرب ديزنـى لاند فى مقاطعة أورانج بكاليفورنيا من أوائل المدن الجديدة وأكثرهـا نجاحـا ، بمـا تحتويه من مناطق مغلقة وأخرى مفتوحة ، وإثر نجاح نموذج إرفيـن ، انتشـر هـذا الشكل من المنشآت بسرعة فى الولايات الداخلة فى حزام الشـمس مثـل كاليفورنيـا وأريزونا ونيومكسيكو وتكساس .



□ مجتمع الحياة المتميزة : صن ليكس ، بانيج ، كاليفورنيا

مجتمعات المكانة

ومجتمعات المكانة ضمن المنشآت الأسرع نموا على المستوى الوطني ، وبواباتها ترمز للتميز وللمكانة ، وتخلق وتحمى مكانا آمنا له اعتباره فى السلم الاجتماعى ، وهى تفتقر لوسائل الترفيه المعهودة فى مجتمعات الحياة المتميزة ، كما تختلف قليلا عن التقسيمات السكنية النمطية باستثناء وجود البوابات . والباعث وراء تلك البوابات هو الرغبة فى طرح صورة للمجتمع ، وحماية الاستثمارات الجارية والسيطرة على قيمة المساكن . ويتراوح مستواها بين ملاذات الأغنياء وأصحاب الشهرة ، ومنشآت العشرين بالمائة بين الأغنياء ، ومنشآت المديرين التنفيذيين فى الطبقة الوسطى .

ومجتمعات الأغنياء وأصحاب الشهرة هى المجتمعات المغلقة الأصيلة فى الولايات المتحدة ، فهى قائمة لدينا منذ عقود . إنها مجمعات الصفوة والملاذات المغلقة لبالغى الثراء ، وتوجد من تلال هوليوود حتى الساحل الشمالى الشرقى . وهى مغرقة فى



□ مجتمع المكانـــة

الخصوصية الانفرادية متوارية عن الأنظار عادة وموضـــع حراسـة قويـة . إنـها النموذج الذى تتطلع إليه كل المجتمعات المغلقة المنتشرة عبر البلاد .

أما مجتمعات العشرين بالمائة من أهل القمة والمديرين التنفيذيين ، فـترمى إلـى إضفاء بعض من هيبة ملاذات الأغنياء والمشاهير على من يقلون لمعانـا . والقصـد منها أيضا بشكل جزئى السعى لتحويل المجتمع بصـورة مصطنعـة إلـى مجـاورة متجانسة ، حيث يتدعم الأمن المادى والأمن الاجتماعى فيها من خلال تماثل السـكان والسيطرة على مداخلها . وقد صممت هذه المنشآت من أجل رؤساء مجـالس الإدارة والمديرين التنفيذيين وغيرهم من أصحاب المهن الناجحين . وتتميز بواباتـها بـالتعقيد ومداخلها بالفخامة ، ومرافقها الترفيهية بمظاهر الأبهة مثل البحـيرات الصناعيـة أو المعالم الطبيعية المعتنى بها كشطآن المحيط والأنهار والغابات . وتوجد تلك المنشـآت بمعظم المناطق الحضرية الكبرى ، ولكنها تبدو بصورة أكثر وضوحا حـول المـدن التى مرت برواج الثمانينيات مثل دالاس وتكساس .

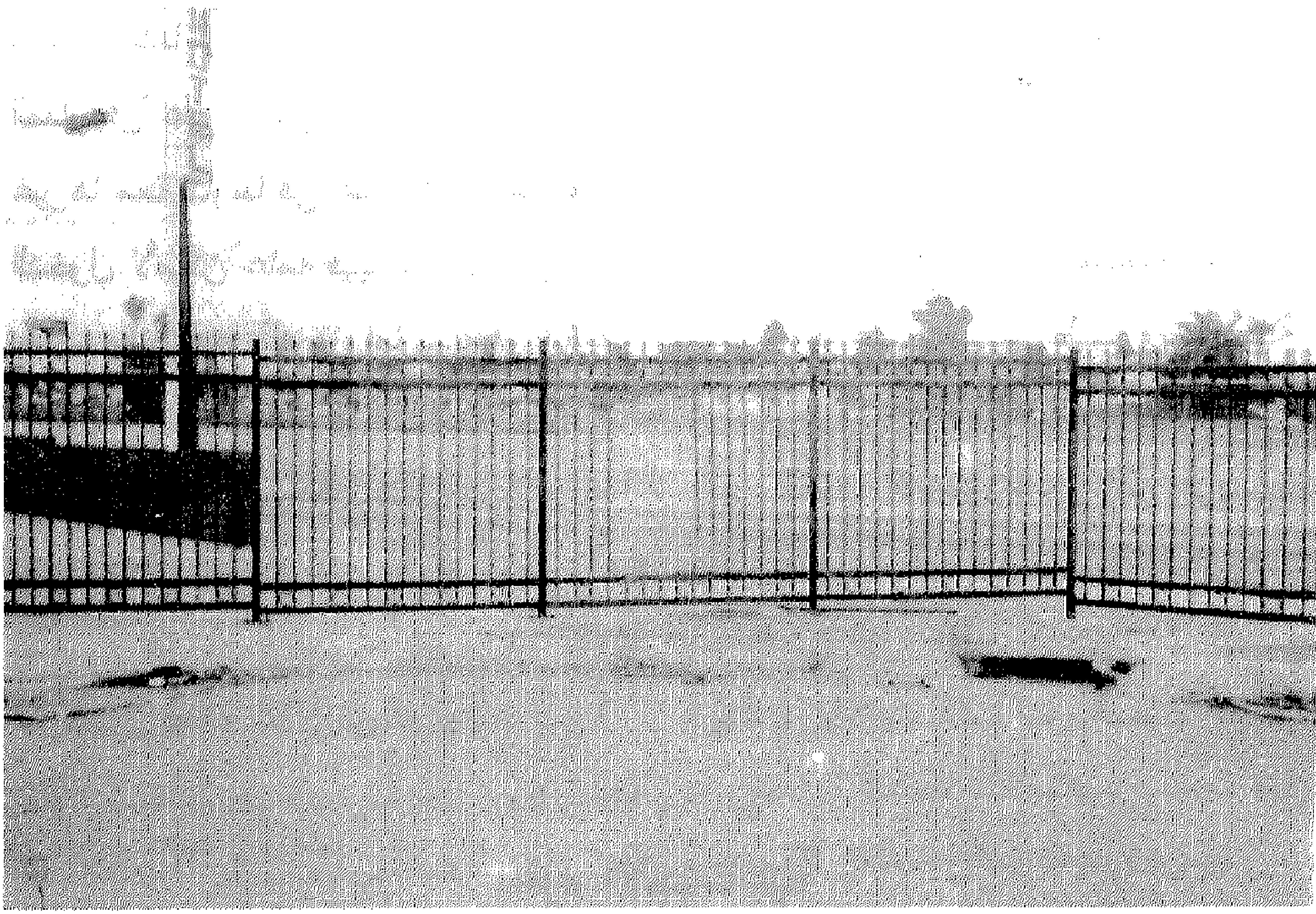
وتعكس مجتمعات المديرين التنفيذيين المقولة الدارجة .. " إنه أنا يا ابـن العـم ". فهى نسخة أدنى من مجتمع العشرين بالمائة . ولئن كـان يتـم تسـويقها باعتبارهـا

مخصصة للمديرين التنفيذيين ، فهى فى حقيقة الأمر مجرد تقسيمات للطبقة الوسطى . إنها النموذج الآخذ بالانتشار وكسب الشهرة فى العديد من مناطق الحواضر الكبرى مثل لوس أنجليس ومقاطعة أورانج بكاليفورنيا وفى ضواحى هيوستن ودالاس وميامى وشيكاغو ونيويورك .

مجتمعات المناطق الآمنة

يمثل الخوف من الجريمة والغرباء أكبر حافز لنشر التحصينات الدفاعية حول مجتمعات المناطق الآمنة . وهذه النوعية تضم ثلاثة طرز : عش المدينة ، وعش الضاحية ، وعش المتاريس . وقد أطلقنا عليها هذه الصفة لأن المخطط لم يكن هو الذى قام بوضع البوابة وإنما السكان أنفسهم ، الذين يسعون بشكل يائس إلى الحفاظ على مجاوراتهم وتهيئتها للسكنى. فهم يقومون بإعادة تجهيزها بالبوابات أو المتاريس وإقامة التحصينات ابتغاء حمايتها من التهديد الخارجي . ومن خلال تثبيت حدود مجاوراتهم وتقييد الدخول إليها ، فإنهم يحاولون بناء ودعم الإحساس وكذلك الوظيفة المجتمعية فى مجاوراتهم . وبناء البوابات وسد الشوارع بغرض توفير الأمن ، ممارسة شائعة على مختلف المستويات سواء بالنسبة للدخل أو المكان . إن المشكلات المترتبة على الجريمة وحوادث المرور والتى يخشاها السكان ، ربما كانت حقيقية أو متصورة ، وربما كانت حالة أو متوقعة . النقطة المهمة ليست كونهم " بحاجة " لمنع الدخول إلى شوارعهم فعلا ، وإنما شعورهم بأنه " يجب " عليهم أن يفعلوا ذلك . وتشهد الحواضر الكبرى من لوس أنجليس إلى نيويورك انتشار هذا النموذج .

ومن أغنى المجاورات لأكثرها بؤسا فى المدن ، فالكل يريد البوابة كوسيلة لوقف الفوضى الحضرية حولهم عند حد . ويصل التهديد أحيانا عند عتبة بيت السكان ويقف أحيانا على مبعدة عدة مربعات سكنية ، وفى كل الأحوال يسعى خالقو أعشاش المدينة لحماية أنفسهم من الجريمة والمرور . فهم يريدون تأمين بيوتهم والسير فى شوارع آمنة ، وحماية أبنائهم من السيارات المسرعة وضوارى المدينة ، ولكونهم إما غير راغبين أو غير قادرين على الفرار إلى الضواحى ، فإنهم يحولون أحياءهم إلى قلاع ، وهذا ما فعله سكان الأحياء الغنية فى لوس أنجليس ، وسكان مشروعات الإسكان الحكومى بواشنطن العاصمة ضمن آخرين كثيرين حيث قاموا ببناء البوابات.



□ مجتمع المناطق الآمنة

وتعتبر أعشاش الضواحى أكثر حداثة ، وإن تكن ظاهرة آخذة بالانتشـــار ، بقــدر تعرض الضواحى للمشاكل التى كان يعتقد أنها ذات طابع حضـــرى فـــى الضواحـــى الداخلة فى نطاق الحواضر الكبرى وفى المدن الأصغر . وفى حالات أخرى ، حيــث الضواحى الواقعة فى نطاق الحواضر الكبرى ، تصيبها الشيخوخة وتتحول هى نفســها إلى مدن، فإن مستوى الحياة الذى ألفه واستمتع به سكانها من قبل يأخذ فى التدهـــور. وفى حالات أخرى يخشى السكان فى تقسيمات الضواحى الأقدم عهدا أن يأتى دورهـــم لمعاينة تلك المشكلات ، فيبادرون بوضع البوابات قبل أن يأتيهم البلاء . ومثلها مثـــل أعشاش المدينة ، فقد يكون خطر المرور عليها أشد من خطر الجريمة ، وما يعكســـه ذلك من مخاوف لدى السكان من تأثير ما تتحمله الشوارع السكنية من أعبـــاء فـــوق طاقتها على نمط حياتهم .

أما أعشاش المتاريس ، فهو النوع الأسرع نموا بين منشـــآت المنـــاطق الآمنـــة . وأعشاش المتاريس ليست مجتمعات مغلقة تماما ولا تحيط الأسوار والجدران بكـــامل

حدودها كما أن مداخلها ليست مؤمنة جميعها ببوابات . وكبديل ، يضع السكان المتاريس على بعض الشوارع لإغلاقها . وقد ضمناها فى هذه الفئة ، لأنها مثل غيرها مما تناولنا فى هذا الكتاب مصممة لتؤدى وظيفة المنشأة الآمنة عن طريق تقييد الدخول لأماكن عامة فيها ، والإغلاق الكامل لأعشاش المتاريس يبدو مستحيلا ، إما بسبب ما يتكلفه ذلك ، وإما ــ وهو الغالب ــ بسبب وقوعها على طرق عامة . وتؤدى المتاريس إلى إدخال نمط الشارع المسدود المعروف بالضواحى ، على شبكة شوارع المدينة ، مخلفة بذلك مدخلا واحدا أو إثنين فحسب للمجاورة . والأثر قريب من الإغلاق الكامل بقدر ما هو عملى . وقد لجأت عشرات المجاورات لهذا الحل فى ميامى وهيوستن ومدن أخرى ، بينما تتزايد قائمة المدن التى تطلب المجاورات فيها الترخيص ببناء المتاريس .

القيم الاجتماعية

إن الفئات الرئيسية الثلاث للمجتمعات المغلقة ، المتميزة وذات المكانة والمناطق الآمنة ، بتفريعاتها التسع المنوه عنها ، كلها تعكس بدرجات متفاوتة أربع قيم اجتماعية (انظر جدول ٢-٢) : الحس المجتمعى أو الحفاظ على روابط حسن الجوار وتدعيمها ، والخصوصية الانفرادية أو الانفصال والاحتماء من الخارج ، والفردية أو الحرص على خصخصة الخدمات العامة وإدارتها ذاتيا ، ثم الاستقرار أى التجانس والحيلولة دون التعرض لمفاجآت . ولتلك الأبعاد علاقة بالعناصر المجتمعية الخمسة التى سبقت الإشارة إليها . وحيث يكون الحس المجتمعى قيمة أولية تلهم السكان فى المجتمعات المغلقة ، فإنها تعكس كل المعالم الخمسة للمجتمع : الإقليم المشترك ، والقيم المشتركة ، والمكان العام المشاع ، والبنية التكافلية ، والمصير المشترك . والخصوصية الانفرادية تساعد فى تحديد المكان المشترك من خلال فصل أعضاء المجتمع عن الآخرين . والخصخصة تعكس الرغبة فى حماية المصير المشترك عن طريق السيطرة المحلية المضاعفة . أما الاستقرار فيستحضر للذهن القيم المشتركة وبنية التكافل ، فضلا عن أن الحفاظ على الاستقرار وسيلة أخرى لحماية المصير المشترك .

جدول (٢-٢) أهمية القيم الاجتماعية فى اختيار السكان الحياة فى المجتمعات المغلقة

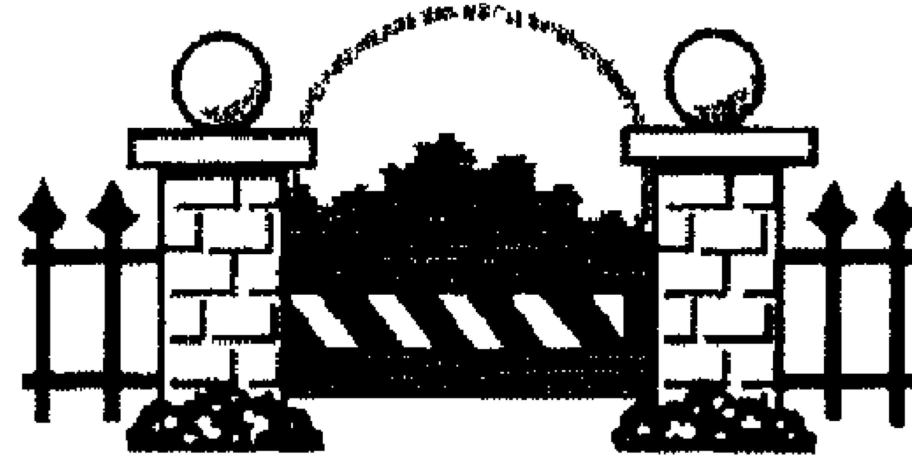
القيمة	*الحياة المتميزة*	*المكانة*	*المنطقة الآمنة*
الحس المجتمعى	مرتبة ثالثة	مرتبة ثالثة	مرتبة ثانية
العزلة	مرتبة ثانية	مرتبة ثانية	مرتبة أولى
الخصوصية	مرتبة أولى	مرتبة ثالثة	مرتبة ثالثة
الاستقرار	مرتبة ثانية	مرتبة أولى	مرتبة ثانية

هذا ، وتجتذب مجتمعات الحياة المتميزة أولئك المتطلعين إلى خدمات ووسائل ترفيهية خاصة ومنفصلة ، والذين يسعون وراء بيئة متجانسة يمكن التنبؤ بمستقبلها . بينما تجتذب مجتمعات المكانة الباحثين عن مجاورة مستقرة تضم أناسا على صورتهم ، وحيث يمكن ضمان قيمة ممتلكاتهم ، بينما تأتي شواغل الخصخصة والانفصال بالخدمات فى مرتبة ثانوية . أما مجاورات المنطقة الآمنة ، فإنها تحاول تقوية وحماية الحس المجتمعى ، ويبقى هدفها الأساسى ، الخصوصية القائمة على استبعاد المكان والناس الذين يعتبرونهم تهديدا لأمنهم ولأسلوبهم فى الحياة . وفى الفصول الثلاثة القادمة سنعرض لكل من هذه الأنواع الثلاثة بالتفصيل .

الفصـــل الثالث

بوابات النعيم

مجتمعات الحياة المتميزة



يرى الكثيرون فى مجتمعات الحياة المتميزة أرقى نماذج المجتمعات المغلقـــــة . إنـــها الصورة التى تتبادر أولا إلى الذهن . وقد كانت أولى المجتمعـــــات المغلقـــة ظـــهورا بأماكن عديدة ، كما كانت الأولى في الإنتشار والتكـــاثر . وكـــانت أمثلتـــها الأولـــى منشآت التقاعد فى ديل ويب ، وتقسيمات الجولف والترفيه فـــى منـــاطق المنتجعـــات الواقعة بحزام الشمس فى فلوريدا وكارولينـاس وجنوب كاليفورنيا وآريزونـــا . وكـــان الهدف الأول للمخططين فى تصميمهم لتلك المنشآت ، هـــو الاســـتفادة مـــن مجتمـــع يتزايد استهلاكه لوسائل الترفيه . فـــالكثير منـــها جـــرى تســـويقه لـــهواة الجولـــف والمتقاعدين ومعتادى التنقل ، وذلك بغرض الاستمتاع " بحياة خالية مـــــن الـــهموم" ، أو " للتذوق الإيجابى للحياة " ، أو بتسهيلات الجولف والنوادى الريفية المقصورة علـــى الأعضاء فقط .

فمنشآت مجتمعات الحياة المتميزة تختلف عن نماذج المجتمعات المغلقة الأخـــرى فى تركيزها على وسائل الراحة . وهى تأخذ أحد أشـــكال ثلاثـــة ، أولـــها المجتمـــع التقاعدى ، وهو يقوم عادة حول ساحة جولف وناد ، وإن ضم كثـــير منـــها مجـــالات

ترفيهية أكثر وبرامج موجهة للنشاطات الاجتماعية . والشكل الثانى ، مجتمع الجولف والترفيه ، وهو يشبه السابق شكلا ولكنه موجه أساسا ويجرى تسويقه لأناس مازالوا فى سن العمل من أصحاب الأسر الصغيرة ومعتادى التنقل ، وهو يضم نوادى ريفية مغلقة وساحات جولف ومساكن خاصة . أما الشكل الثالث ، فهو المدينة الصغيرة الجديدة ، وهى منشآت رحبة محل تخطيط شامل بهدف تزويد سكانها بنمط حياة كامل من تقسيمات سكنية مغلقة ، إلى مدارس ، ومراكز التسوق ، ومكاتب تجارية ، والحدائق ووسائل التسلية .

والأماكن العامة المشاعة فى تلك المنشآت تتسم بالخصوصية كما أنها محل رقابة ذات طابع اجتماعى أكثر منه أمنى . والإجراءات الأمنية مصممة أساسا لتبقى المتطفلين على مبعدة ، ولمراقبة أدوات الترفيه مثل البحيرات وساحات الجولف ، أكثر من أن تكون موجهة ضد الجريمة . وفى واقع الأمر ، فقليل من مجموعات الأثرياء سكان الضواحى التى تحدثنا إليهم كانت لديهم أية خبرات شخصية فى التعامل مع شغب المناطق الحضرية ، فقد انتقلوا لمنشآتهم هذه من الضواحى المترفة والأحياء الغنية بالمدن . إن اهتمامهم بالحياة الاجتماعية المتميزة جمع بينهم ، كما أن مصيرهم المشترك يحدده نشاطهم المجتمعى .

العناية بطبقة جديدة مرفهة

مجتمعات الحياة المتميزة أحد جوانب تحول واسع النطاق فى المجال الاقتصادى الاجتماعى على المستوى الوطنى . ولكى نفهم أبعاد تلك المنشآت يجب أن نلم أولا بالإطار الذى نبعت منه . فالأمريكيون يزدادون ثراء بقدر ما يزدادون فقرا . وبعد الحرب العالمية الثانية تمددت الطبقة الوسطى الأمريكية دون انقطاع حتى منتصف السبعينيات ، وقد أسهم فى ذلك وجود أكبر قاعدة إنتاجية للصناعة أتاحت للولايات المتحدة ـ مع إنحسار إمكانيات أوربا الغربية ـ هيمنة فعلية على الاقتصاد العالمى . لقد كان نموها الاقتصادى السريع غير مسبوق فى التاريخ ، وخاصة بالنسبة لاتساع وعمق تأثيره على النظام الاجتماعى الوطنى . فقد ازداد دخل الأمريكيين بوتائر سريعة وكذلك ثرواتهم الفعلية ، فأصبح أكثر من ٦٥ بالمائة من الأمريكيين يملكون

منازلهم بفضل إسهامات حكومية سخية فى تمويل قروض الإسكان . والسيارة التى كانت حتى عقد واحد قبل الحرب علامة جلية على الثراء ، أصبحت رمزا لمكانة الطبقة الوسطى. كما صار بوسع الأمريكيين ادخار ما يكفيهم عند التقاعد ، من خلال مفاوضات نقابية شاقة وظهور نظام الضمان الاجتماعى . فالعاملان التوأمان للأمن الاقتصادى ، زيادة الأجور الحقيقية وتأمين المعاشات سواء فى القطاعين العام أو الخاص ، مكنا الطبقة الوسطى من توظيف مدخراتهم فى وجوه لم تخطر بالبال فى أزمان سابقة . كما أصبح بإمكان العمال إعفاء أطفالهم من عبء العناية بهم فى شيخوختهم ، وأصبح بمقدورهم اختيار محل سكناهم والتقاعد بكرامة حيث يشاءون .

ورغم أن نمو دخل الأسرة أخذ فى التباطؤ بعد عام ١٩٧٣ ليتجه ، بشكل غير متوازن ، لصالح ذوى الدخول الأكثر ارتفاعا ، فقد استمر التغيير فى مستوى المعيشة كبيرا ، وفيما بين ١٩٧٣ و ١٩٩٣ ، كان متوسط دخل الفرد الصافى بعد استقطاع الضرائب وتثبيت سعر الدولار ، قد تضاعف .[(١)] ورغم أن هذه المتغيرات أخذت ببساطة ـــ كمسلمات ، فإن آثارها كانت عميقة . فلم تكن الدخول المتاحة قد ازدادت وحدها ، وإنما زادت أيضا الظروف الملازمة لذلك ، فأصبحنا نعيش مدة أطول ونستهلك أكثر ونستمتع بحياة صحية أكثر. وأصبحت الطبقة الوسطى الأمريكية لحد ما طبقة مرفهة ، قادرة على ممارسة نشاطات ترفيهية لمدى أبعد مما يتاح لأى شعب فى العالم . وتمكن مخططو الإسكان من توسيع نطاق إنتاجهم لنماذج إسكان مؤسس على الاستمتاع بالوقت ، تضم الجراج وحجرات لممارسة الهوايات وأخرى للتليفزيون والألعاب ، وذلك فى الأحياء العادية . كما وصممت سيارات لأغراض الرفاهية مثل الستيشن واجن وعربات النوم وتلك المخصصة لجر الزوارق .

وهذا الانفجار فى الحياة المرفهة سرعان ما وجد طريقه للمنشآت السكنية بالضواحى ، حيث اجتهد المخططون فى توفير المناطق الخلوية المزودة بالبحيرات الصناعية والغابات المنسقة والجداول المصطنعة . فأسلوب الحياة المتسم بالرفاهية خلق الطلب على المسكن الثانوى بعيدا عن محل الإقامة الأصلى . وتفرع عن هذا الاتجاه نمطان جديدان فى الإسكان : طيور الجليد ، وأرانب التزلج على الماء . فطيور الجليد تم بناؤها لأول مرة بمناطق المنتجعات فى كاليفورنيا وفلوريدا ، والتى ينزع إليها كبار السن من مناطق وسط الغرب والشرق أثناء فصل الشتاء القارس .

أما أرانب التزلج على الماء وقد سميت كذلك كناية عن مواسم التزلج على الجليد شتاء وعلى الماء صيفا ، فقد صممت لتكون مساكن ثانوية للأجازات فى سنى العمر الوسيط ثم إلى مساكن دائمة بعد التقاعد .

وسرعان ما أدرك المخططون الإمكانيات وراء هذه المتغيرات . وتجاوبا منهم لما جد من ثراء على الطبقة الوسطى ، فقد تزايد عدد المنشآت المخصصة للمساكن الثانوية أو حتى للمتقاعدين ، وذلك فى الجنوب والجنوب الغربى وعلى الساحل الغربى . وقد تمايزت هذه المنشآت فيما بينها حسب كل قطاع فى السوق . فبعضها صمم تحديدا لاجتذاب العدد المتزايد من صغار المتقاعدين والقادرين على شغل مسكن إضافى لكل أو بعض العام ، بينما جرى تنسيق مستوى آخر من المنشآت لذوى الميول الرياضية بين أصحاب الياقة البيضاء فى القوى العاملة بالإضافة لأبناء الطبقة الوسطى ، ممن يسعهم السكنى بجوار مصادر الاستجمام مثل الجولف أو التجديف أو الصيد . لقد أصبحت الحياة المتميزة وليس مجرد السكن ، سمة بارزة فى إقامة المنشآت .

وقد استمر تنامى الشرائح العليا من الطبقة الوسطى ، حتى مع انكماش الطبقة الوسطى العاملة . ولئن كان من الصعب قياس هذه الظاهرة بدقة ، فإنها بالفعل قد فرضت وجودها على الساحة الأمريكية فى صورة الأنماط السكنية والاستيطانية التى خلقتها . فمدن ومناطق بكاملها قد خصصت للعناية بنوعيات جديدة من المتقاعدين ومن أصحاب الملايين . وتلك المنشآت تتميز بالانسجام المقصود به تمكين المقيم بها أن يختار المكان والسكان الذين سيعيش بينهم ، أما البوابة فإنها مجرد إضافة للمنشأة الجديدة ذات التوجه الطبقى .

مجتمعات التقاعد

أصبحت مجتمعات التقاعد ، بدءا بسلسلة " ليجر وورلد " المنتشرة عبر البلاد ، وانتهاء بالمنشآت الفردية ، نموذجا لانعزالية الطبقة الوسطى . ففى عام ١٩٩٤ أصبح عدد من تجاوزوا سن الخامسة والستين قرابة الثلاثة والثلاثين مليونا ، أى واحد من كل ثمانية أمريكيين ، وأغلب هؤلاء يعيش مستقلا ، وبينما انخفض متوسط سن التقاعد فقد ارتفع متوسط الأعمار بصورة تجعل من بلغ الخامسة والستين يتوقع أن

يعيش سبعة عشر عاما أخرى . ومن جانبها زادت الدخول الفردية أيضا ، ففى الفترة من ١٩٥٧ إلى ١٩٩٢ تضاعف الدخل الحقيقى من ٦٥٣٧ دولارا إلى ١٤٥٤٨ بالنسبة للرجال ومن ٣٤٠٩ إلى ٨١٨٩ بالنسبة للنساء . ومع وجود اختلافات بين المسنين على أساس الجنس والعرق والحالة الاجتماعية والتاريخ المهنى وغير ذلك ، فكل المجموعات صادفت تحسنا فى المركز الاقتصادى خلال الثمانينيات .[٢] ويعيش المتقاعدون مدة أطول وبشكل أفضل عن أى وقت مضى ، وهم كفئة لديها أفضليات وقدرة على الاختيار ، فلديهم دورياتهم ومجلاتهم ومنظماتهم مثل الاتحاد الأمريكى للمتقاعدين والذى يباشر نفوذا سياسيا واجتماعيا ضخما. وهم منتشرون فى كل أنحاء البلاد ولبعضهم أكثر من محل إقامة . وعلى أية حال فإنهم يفضلون الأماكن الأكثر دفئا ، وحيث تكون الضرائب أقل والأمن متاحا . وكثيرون منهم يعيشون بالمناطق الدافئة بكاليفورنيا وأريزونا ونيفادا وتكساس وفلوريدا . وتقوم بعض الولايات والمدن بحملات دعائية لجذب المتقاعدين بسبب المزايا الاقتصادية الناشئة عن حجم إنفاقهم . وإلى جانب شرط السن ، فإن دوريات الحراسة والبوابات والأسوار تؤدى تقريبا للاكتفاء الذاتى فى ملاذات هؤلاء المسنين .

ويجلس حراس الأمن فى الحافلات التى تطوف أنحاء منشآت ليجر وورلد فى سيلفر سبرنج بماريلاند، للتأكد من عدم وجود " غير المرغوبين " بداخلها ، كما تنتظم حدودها بوابات وأسوار وسياجات وخنادق ومتاريس . وتضم منشآت التقاعد مثل ليجر وورلد آلافا من السكان فى منازل صممت لتناسب أكثر من مستوى للدخل وأكثر من أسلوب للحياة ، مع عشرات النوادى الاجتماعية وأدوات الترفيه . إنها النظير الأرضى لعابرة محيط سياحية : منتج معيارى يتيح صفقة متكاملة دون ثمة مفاجآت، وفى قول لأحد المقيمين بها .. " إننى أحب الأسلوب المنظم للحياة المتميزة ، لقد تم بناؤها وتتم إدارتها بعناية ، وحينما تبلغ عمرى ستكون قد أشبعت كل نزواتك ".[٣]

ويوجد فى سكيداواى أيلاند أمام شاطئ جورجيا عدة منشآت من أجل المتقاعدين الأثرياء . والجزء المنبسط منها ساحة جولف مغلقة ومحظورة ، يتم التسويق بشأنها فى مجلة *نيويورك تايمز* لجذب ذوى النشاط من كبار السن الأثرياء. ومثل غيرها من منشآت المتقاعدين الأغنياء ، فإن بها نسبة كبيرة من مشترى المنازل الإضافية. وتشير إعلانات الأراضى بها عن النشاطات المتميزة أكثر مما تشير للأمن. وحتى فى منشآت التقاعد التى تدرج موضوع الأمن فى مطبوعاتها، فيتم ذلك



□ مجتمع الحياة المتميزة

بطريق ملتف كما نرى ، فى الإعلان عن كريستال ترى ، منشأة التقاعد فى ضواحى شيكاغو .. " منذ اللحظة التى تعبر فيها البوابة ، حيث يرحب بك حراس الأمن الأصدقاء ، يداخلك الإحساس بأن كل شىء هنا آمن دون داع للقلق " .(٤)

الطريق السهل : النادى الريفى ميشن هيلز ، رانشو ميراج ، كاليفورنيا

والنادى الريفى ميشن هيلز منشأة مترامية على حافة ساحة جولف معتنى بعشبها . وتطل كل الشوارع الداخلية الضيقة بها تقريبا على خضرة وأشجار النخيل . أما رانشو ميراج فواحدة من أغنى المدن الصغيرة المجاورة بوادى كوتشيلا فى كاليفورنيا ، وتقع على مبعدة ميل أو ميلين من بالم سبرنجز .

وهناك ثلاث بوابات على جدران المنشأة كلها مزودة ببيوت حراسة مأهولة بالأفراد ، والطريق الرئيسى يمر عبر عدة أماكن خالية من الخضرة فى ساحة الجولف ، ومناطق بها منازل فخمة ولكن بذوق لا يلفت الأنظار وينتهى عند النادى الريفى وهو ذاته لافت للنظر ، وطرازه وواجهته المبنية بالحجر الصناعى يلائم

البيئة الصحراوية ، تحت مدخله أعمدة مرتفعة وأشجار نخيل أكــثر ارتفاعــا . أمــا البهو فزخرفته تشى بالذوق والفخامة وإن تكن أقل تأثيرا من المتعـــارف عليــه فــى سلسلة فنادق الشرائح الأعلى من الطبقة الوسطى .

وقد اجتمعنا ببعض السكان فى قاعة دينا شور ، حــول طاولــة خشــبية كبــيرة بكراسيها المثبتة على عجلات لتوحى بأنك فى قاعة اجتماع أحد مجـــالس الإدارات ، وهو انطباع أكده الحضور أنفسهم ، فكلهم كانوا من الذكــور البيــض فــى الســتين والسبعين من سنى عمرهم ، وبدوا لنا فى صحة وقد لوحتهم الشمس ، وهــم يرتــدون قمصان الجولف والتنس مع سراويل قصيرة حتى الركبــة أزال الكــى تجاعيدهــا . وجميعهم كانوا أو مازالوا أعضاء نشيطين فى مجالس اتحــادات المــلاك بمناطقــهم المختلفة والتى يطلقون عليها اسم " المراحل " ، وهو نفس ما يستعمله المخططــون ، ولا يوجد اتحاد مركزى للملاك فى ميشن هيلز ولكن خمسة عشر اتحــادا مســتقلا . ورغم غياب المركزية واتساع مساحة ميشن هيلز ، فأغلب الرجــال كــانوا يعرفــون بعضهم البعض . كانت مجموعة مريحة ورزينــة وكــانوا يتبــادلون الحديــث عــن مشكلاتهم الصحية وعن أدائهم فى الجولف حين وصلنا .

أفادنا جميعهم تقريبا بأن الأمن كان السبب الرئيسى وراء انتقالهم لــهذا المكــان . وكمتقاعدين ، فإن الجريمة تؤرقهم خاصة حين يتغيبون فى أجازة أو فى محل إقامتــهم الأصلى بمكان آخر . وهم مرتاحون لحياة يركزون اهتمامهم فيــها علــى أنفســهم ، ويحبون اللمسات الجمالية فى منشآتهم ومصادر الترفيه بها وخاصة نــادى الجولــف والتى أجمعوا على أنها عنصر جوهرى . كما اعتبروا ســمعة المكــان ذات أهميــة أيضا ، وهنا قال أحدهم .. " من حيث المكانة ، وجدت أنه حيثما وجدت بمكان وقلــت إننا نعيش فى ميشن هيلز ، فإن الأمر يبدو نقطة فى صالحنا " . وتحدث أحدهم فقــط عن الأمن كعنصر ثانوى .. " كان هذا آخر مكان بالدنيا أفكر بالحياة فيه ، فلم أقتنــع أبدا بفكرة العيش فى مكان مغلق ، إنه يخالف كل فلسفتى الاجتماعية والسياسية .. أمــا الآن فيعجبنى أسلوب الحياة الذى يؤدى ، فيما أعتقد ، للصحة الجيدة وإطالة الحيــاة ". وعن الرياضة التى بدأ بممارستها منذ سكناه فى ميشــن هيلــز ، أضــاف قــائلا .. " لا يمكنك أن تستغنى عنها ، إنها ليست ضرورية ، ولكن ما من شىء آخــر يمكــن أن تفعله ".

وعند سؤالهم عن أية سلبيات فى حياتهم بذلك المنتجع الصحراوى سادهم الوجوم ، ثم أشار أحدهم مترددا إلى أن عقود التمليك واللوائح والقيود المختلفة تؤدى للتنازل عن جانب من الخصوصية والسيطرة على ما هو خاص بك ، وأمن الآخرون على قوله ، ولكن المناقشة لم تلبث أن أبرزت محاسن اللوائح فى المنشأة ومنها لمحاسن ميشن هيلز مولين أكبر قدر فى الحديث للاستجمام ، ومدى قرب الخدمات الصحية المتميزة .

المشاركة : النظرة للخارج فى النادى الريفى ميشن هيلز

مازال سكان ميشن هيلز نشيطين بكل ما تحمله الكلمة من معنى . كانوا كذلك فى مجتمعاتهم السكنية السابقة وحياتهم العملية ، وجاءوا بنفس الطاقة لبيتهم الجديد . والعديد منهم يعد استثناء من الاعتقاد بأن سكان النادى الريفى ميشن هيلز آثروا الانسحاب .. " نحن معنيون بالمجتمع الخارجى " هكذا هتف واحد من أصغر رجال المجموعة بين إيماءات حماسية من الآخرين .. " وأعتقد أننا جميعا متابعون لما يجرى فى وادى كوتشيلا ، ونستفيد بالتسهيلات الكثيرة المتاحة بالوادى مثل أماكن الطعام والتسلية ، وأشياءِ كهذه " . ومرة أخرى أبدت الجوقة موافقتها .

وعن السؤال بشأن السياسات فى المدينة ، ناقش أحدهم الأمر قائلا .. " أتصور أن السكان هنا أكثر مشاركة واهتماما بمدينة رانشو ميراج وبمن يمثلوننا فيها وكيفية أدائهم ، أكثر من أى أحد آخر بالخارج . فلا أعتقد أننا فى عزلة عن المجتمع ". ولاحظ آخر أنهم يشاركون جيرانهم عبر الطريق أمام البوابة " نفس العمدة ونفس إدارة الحريق وكل شيء " . وبالنسبة لعلاقتهم بالمقاطعة .. " حسنا ، عليك أن تسدد ضرائبك ".

وتمتد صلاتهم خارج مجال السياسة، حيث ذكر أحدهم .. " ظنى أننا أكثر فاعلية من مجتمعاتك الأخرى بمجموعاتها المتنافرة ، نحن جميعا متقاعدون ، ولدينا الوقت ، وأعتقد أيضا أن المجموعة هنا جلهم من المهنيين البارزين فى مجال أو آخر ، فأيا كان ما يفعلوه فإنهم يفعلونه بشكل جيد . ومازال لديهم الكثير من الطاقة ، ومازالوا حريصين على أن يقدموا شيئا ". إنه متطوع محلى يقدم دروسا لمحو الأمية . ومع أن الآخرين حول الطاولة ليس لهم نشاط مماثل ، فقد أكد أنه يعرف كثيرين بالمنشأة يفعلون ذلك .

الحكم الذاتى : نظرة فى داخل ميشن هيلز

يبدو أن أكبر قدر من طاقتهم موجه للإدارة والحكم فى ميشن هيلز . إنها مجموعة مميزة بين السكان الأكثر نشاطا بالمنشآة ولديهم ارتباط طويل العهد باتحاداتهم . والأمر ليس هينا باعترافهم .. " إن كان عندك أى شعور بالمسئولية ، فيجب أن تكرس مئات الساعات من وقتك ، وأعنى مئات الساعات ، للجان المختلفة والمجالس ".

وبصفة عامة فالمشاركة تختلف بدرجة كبيرة .. " ففى كل اتحاد للملاك ، هناك شخص أو اثنان يبذلان الكثير من الوقت فى حضور الاجتماعات بصرف النظر إن كانا عضوين فى المجلس أم لا ، وهناك المحرضون والراغبون بالانغماس فى كل قضية ، ثم يوجد من جاء من أجل حياة التقاعد ، صدقنى .. أن تكون بالمجلس ، عمل لا يشكر صاحبه ". وكما هو الحال فى العديد من اتحادات الملاك فإن مشكلة الإدارة الذاتية من خلال العمل التطوعى تؤثر على مصلحة المقيم ومدى مشاركته .. " فالاستمرارية مشكلة ، لأن كثيرا من الناس هنا متقاعدون ولا يرغبون بأن يكونوا محلا للمساءلة مدة تزيد على عامين فى مواجهة اجتماعات الملاك ، واجتماعات لجنة البوابات ، وهذه الاجتماعات وتلك ، إن هذا يؤثر لحد ما على تقاعدهم ".

وقد أبدت المجموعة حرصا للحديث عن المسائل التى تواجههم كأعضاء مجلس ولجان . وأغلب هذه المسائل تنطوى على انقسامات فيما بين اتحادات الملاك فى غياب التحكيم من اتحاد فوقى . وهناك نظام رسوم بيزنطى تأسس على مدى قدم المنطقة وكم الخدمات فيها ، تسبب فى استياء وتنافس .. " يمكن أن يكون الأمر صعبا ومفتقرا للمساواة ، والأمر متوقف على الشخص الذى تتحدث إليه ، حين يتعلق بصيانة البنية الأساسية ، إذ أن بعض المناطق الأقدم لا تختار المشاركة فى جوانب منها ". ومثالا لذلك فأحد المجالس يدفع كامل مصاريف بوابة قريبة من النادى رغم أنها تبعد عن منطقته بمقدار نصف قطر المنشأة ، والسبب أن البوابة أقيمت فى وقت كانت فيه إضافة التكلفة للمنطقة الجديدة التى كان يجرى بناؤها أمرا ممكنا .

وابتداء ، فهناك صعوبات فى حث الاتحادات على العمل معا . وإحدى مؤسسات الحراسة تقوم بأعمال الدورية فى جميع أرجاء المنشأة ، ولكن كل الخدمات الأخرى من إدارة الممتلكات إلى تنسيق المساحات تقدم بشكل متفرق .. " إذا رغبت فى عمل شيء له علاقة بالجميع ، يلزمك أن تحصل على موافقة خمسة عشر اتحادا عليه " . لقد أمضوا عامين لمجرد الاتفاق على صفقة كابلات . كما أن التحالفات الصغيرة بين ثلاثة أو أربعة اتحادات متجاورة شيء ممكن كما يحدث عند الاتفاق مع نفس الشركة لتهذيب الأشجار ، " غير أن الناس هنا تميل لإستقلالية اتحاداتها ، فهذه مؤلفة من أناس ناجحين ذوى خبرة فى مجال الأعمال ، وهم يميلون للاعتقاد بأنهم قادرون على قيادة سفينتهم الصغيرة هذه دون اهتمام بكيفية قيادة الآخر لسفينته " .

ومنذ عدة سنوات ، كونت الاتحادات لجنة للبوابات ، فكانت الوحدة الإدارية الوحيدة التى تخدم المنشأة بكاملها . ومع أنها لجنة خاصة ، إلا أنه وقد تم تشكيلها من ممثلى مجالس الاتحادات المعنية فلها صلاحية مناقشة التقارير المالية وأن تراجع الموضوعات والمشاكل مع المؤسسة الأمنية . وهى تجتمع بصفة غير منتظمة ، مرتين فى الشهر خلال شهور الشتاء ، ولا تنعقد مطلقا فى شهور الصيف .

وليست لجنة البوابات الشئ الوحيد الذى يعمد للبيات الصيفى ، فالنسبة الكبيرة لمالكى المساكن الإضافية وتلك المشغولة على فترات تدل على أن كثيرا من الاهتمامات وحتى بعض الخدمات تهمل خلال شهور الصيف . ومن جانبهم أكد المتقاعدون المقيمون طوال العام شعورهم بالامتعاض إزاء المشاركة الموسمية من جانب شاغلى المساكن بعض الوقت الذين يبدون وكأن مصالحهم أقل فى النهوض بالمكان . ويشكو أحد المقيمين بأنه أجدر بهؤلاء أن يقولوا إلى الجحيم بزهور الصيف " لأنهم لا يوجدون هنا صيفا " .

يبلغ متوسط الدخل في رانشو ميراج نحو ٤٢ ألف دولار ، وهو ما يضعها ضمن الـ ١٥% الأعلى فى ترتيب المدن الأمريكية حسب الدخل . ورغم هذا ، فهناك بين المقيمين من يعتبر الحياة المتميزة فى ميشن هيلز مكلفة بدرجة يطيقونها بالكاد . والبعض يرى فى هؤلاء مصدرا للمشاكل ، ولكن حدث على الأقل بأحد الاتحادات أن مشاعر الجيرة كانت هى الجواب .. " حينما نشرع فى تقدير التزام مالى على الأعضاء ، فإننا نضع دائما فى الاعتبار المجموعة داخل منطقتنا التى

ربما عجزت عن مواجهتها بارتياح ، وهنا نحاول إدخال تعديلات تسمح بتوطئة الأمر للجميع ، إنه أمر جاد جدير بالاعتبار ".

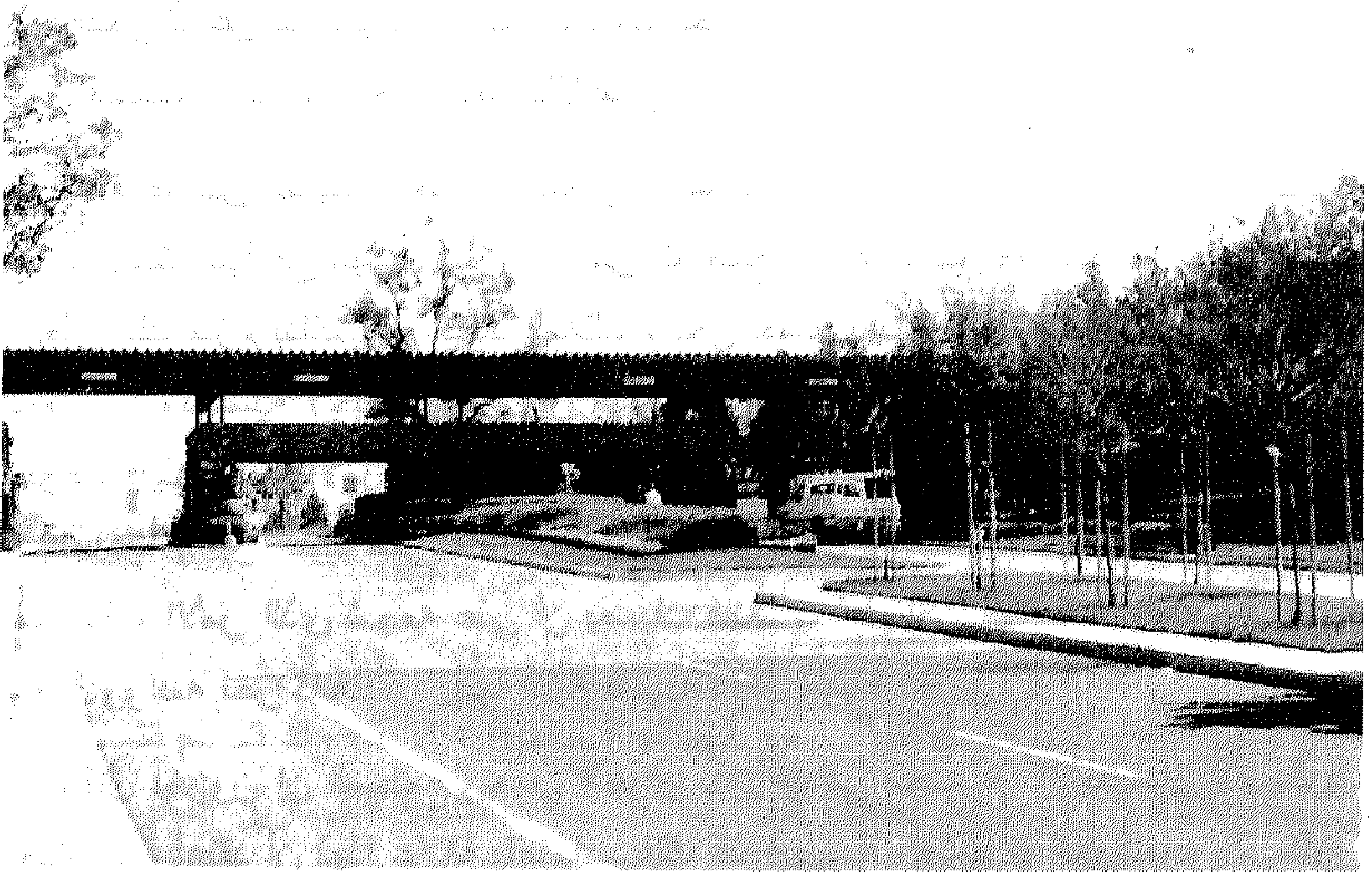
والتفرقة بين المقيمين بصفة دائمة وغيرهم ، وكذلك بين الاتحادات ، لا تمتد إلى الحياة الاجتماعية فى ميشن هيلز .. " من الواضح أن عليك معرفة جيرانك ، لكن لا أظن أنك ملزم بذلك أمام اتحاد الملاك ، نحن جميعا هنا قريبون جدا من بعضنا البعض "، وبالنسبة لأحد المقيمين فإن ميشن هيلز عالم صغير .. " بعد أن تعيش هنا لسنوات قليلة ، يبدأ الأمر فى رأيى كما لو كنت فى بيتون بليس .. " فمن الناحية الاجتماعية يتعين عليك معرفة ماذا يفعل كل شخص ". وضحكت المجموعة على المقارنة ، الأمر الذى شجعه على أن يضيف قائلا .. " لم أكن أقصد النقد بقولى هذا ." ووافقه آخر قائلا .. " إنها أشبه بمدينة داخل مدينة أخرى ".

وقال آخرون إن المجتمع وحسن الجوار يدوران فى مجال الاختيار لأسلوب الحياة .. " أعتقد أن لهذا علاقة باهتماماتك الترفيهية ، فهواة الجولف يشكلون طائفة .. وكذلك يفعل هواة التنس ".

وفى النهاية ، فإن هؤلاء الرجال لم يأتوا لميشن هيلز بحثا عن مجتمع المدينة الصغيرة ، بل جاءوا من أجل الخضرة البالغ تهذيبها ، ومن أجل حياة اجتماعية سابقة التجهيز ، ولوسائل الترفيه المتعددة . إنها قائمة طلبات المتقاعد الثرى : " البوابة ، الجولف ، التنس ، إمكانية التنقل فى عربة الجولف . وقد تمضى أيام عديدة دون أن أحرك سيارتى العادية .. إنه أسلوب حياة مختلف ، وقد اشتريت أسلوب الحياة المتميزة "

مجتمعات الجولف وأوقات الفراغ

رغم أن كثيرا من منشآت التقاعد تضم ساحات جولف ووسائل ترفيه ، إلا أنها تتميز بتركيزها على البيئة الاجتماعية المصممة لكبار السن . وتهدف منشآت أخرى بالضواحى لكسب سوق أكثر حداثة يتمتع بفائض دخل مع الرغبة فى الاستمتاع بساحة الجولف وغيرها من وسائل الترفيه . والكثير منها تأخذ شكل منتجعات تتيح بيوتا اضافية لقضاء العطلات من قبل العدد المتزايد من الأمريكيين القادرين على تحمل أعبائها .



□ مدخل لمجتمع جولف ترفيهي في داف كانيون ، مقاطعة أورانج ، كاليفورنيا

واتباعا للطريق الذى سلكته قبلها تجمعات الصفوة المغلقة ومنشآت التقاعد ذات الحراسة ، يتزايد عدد المنشآت المغلقة المخصصة لتمضية وقت الفراغ والتى تعكس فكرة الأرض المشتركة والقيم المشتركة للخصوصية الانفرادية وليس تلك القائمة على مشاركة الآخرين . إنها مجتمعات الجولف وأوقات الفراغ ، التى تسبب فى انتشارها ازدهار السوق العقارية خلال الثمانينيات ، ومع بنائها أولا بحزام الشمس ، فإن مجتمعات الجولف المغلقة سرعان ما أصبحت شائعة حول شيكاغو وغيرها من المدن الشمالية ، كما يجرى إنشاؤها فى آيوا ومنيسوتا . إن البوابة تعطى الوضعية والمكانة ، بمداخلها المتسعة والمؤثرة والمزخرفة المؤدية لحياة النادى الريفى المتميزة .

إن الحياة فى منشأة قائمة على استبعاد الغير أو تملك منزل لقضاء العطلات أصبحت اليوم جزءا من أسلوب الحياة المتميزة والمترفة . ففى عام ١٩٩٢ كان خمسة وثلاثون بالمائة من مجموع الطبقة الوسطى الأمريكية يفكرون فى منزل مخصص لقضاء العطلات باعتباره عنصرا حيويا فى أسلوب حياتهم ، وذلك بزيادة

عشرة بالمائة عن العقد السابق .[٥] ورغم أن المخططين يجدون صعوبة في بناء منازل في متناول الأمريكيين العاديين ، فالحاصل أنه لا توجد ندرة في السوق لتملك المنتجعات ، ومن أسباب ذلك أن الشرائح العليا من الطبقة الوسطي لديها فوائض دخول كبيرة تتراوح بين ٢٠٠٠ و ٨٠٠٠ دولار شهريا .

ونتيجة لهذا ، فإن الميسورين في بدايات الأربعين من العمر يستطيعون تحمل تكلفة ملكيات ذات وضعية خاصة لمجرد قضاء جزء من العام بها . وبعض مجتمعات الجولف ووقت الفراغ الأكثر تخصصية يمكن إدراجها في إطار المنتجعات المكرسة لمشترى البيوت الإضافية . ومع انتشار وسائل التسلية لملء وقت الفراغ ، تكاثرت تلك المنشآت الواقعة بحزام الشمس مع توفير أنظمة الأمن لضمان حمايتها خلال فترات الغياب الطويلة . والمنشآت المقامة في هيلتون هيد آيلاند بجنوب كاليفورنيا نموذج لهذا الاتجاه ، مثل بعض منشآت رانشو ميراج وبالم سبرنجز في كاليفورنيا . وثمة نوع آخر هو الملاذ الرياضي ، مثل منشأة بولو جراوندز في بوكا راتون بفلوريدا . ويضم هذا النوع ملاعب مهيأة لتنظيم البطولات الرياضية بما توفره من تسهيلات ، وهي تفخر باستضافتها لمسابقات على المستوى الوطني . والغالب على هذا النوع من المنشآت النظام المعمارى المتكلف وبيوت الحراسة ونظم الأمن ، الأمر الذى يجعلها تتصدر قائمة أسعار هذه الشريحة من المجتمعات .

إن لافتة " للأعضاء فقط " تمثل بعدا آخر حين تصبح المساحات الخضراء والنادى والشوارع جميعها محلا لرقابة تمنع الدخول إليها . وفي الكثير من هذه المنشآت أندية خاصة بالتنس ومجمعات سباحة ووسائل استجمام أخرى ، وإلى جانب هواة الجولف ، فإن بعض المتقدمين للشراء يتطلعون لمجرد الاستمتاع بالمساحات المكشوفة وساحات الجولف الخضراء . كذلك تمثل النوادى الفخمة عامل جذب .. " المسألة ترجع للوقت الذى كنا فيه كأولاد نتمنى العضوية في نادى خاص، المكان الذى يشعرك بأنك متميز ولا يتاح لأى كان بالوجود فيه ،.هذا هو الأساس الذى تنطلق منه ، ويستمر كذلك سواء كنت تتحدث عن ناد مثل هذا أو عن البار الذى تحبه في المجاورة " .[٦]

إن المكانة والشعور بالانتماء اللذين تتيحهما الحياة بمنشأة النادى الريفي ، عنصران مهمان في جاذبيتها ، كما تجعلنا نفهم جزئيا السبب في أن نسبة عالية منها مغلقة . وحتى في المنشآت الكبيرة حيث تكون القلة فقط بين المقيمين من ممارسي

الجولف ، فإن جو النادى يبدأ من البوابة ويمتد خلال المنشأة ، والنادى الريفى بلاك هوك نموذج لتلك المنشأة .

النادى : النادى الريفى بلاك هوك ، سان رامون ، كاليفورنيا

بلاك هوك منشأة واسعة تزيد مساحتها على أربعة آلاف فدان تتوسطها ساحة جولف ، وتقع فوق تلال قرب جبل الشيطان على بعد ساعة تقريبا من وسط مدينة سان فرانسسكو . وقد صممت لجذب العدد المتزايد من الرأسماليين الأغنياء الباحثين عن الإثارة ، وكذلك المبدعين فى وادى السليكون وسان فرانسسكو . وقد أرتأى مخطط المشروع كين بيرنج أن هذه الطبقة الجديدة من المديرين التنفيذيين بحاجة لنمط اسكانى جديد يستفيد من الطبيعة المحيطة بالموقع ويتيح وسائل ترفيه إضافية خاصة .

وكانت النتيجة خلق بيئة صحية ومعتنى بأدق تفاصيلها لذوى الدخل المرتفع شاملة النادى الاجتماعى وساحة الجولف ونادى التنس . ويقع مركز بلاك هوك على مسافة قريبة من البوابات وفيه محلات للتسوق المترف والمطاعم ومجمع سينما ومكاتب تجارية ومتحف للسيارات العتيقة . ويتراوح سعر المنزل فى المنشأة المترامية بين ٣٠٠ ألف وأكثر من خمسة ملايين دولار ، وليس الحد الأدنى المذكور منافيا للمألوف فى مقاطعة متوسط الدخل السنوى بها نحو ٥٥ ألف دولار ، لكن غالبية المنازل تباع بأكثر منه بشكل ملحوظ . وبالإضافة للمدخل الرئيسى ببوابته التى يقف عليها الحراس ، فإن ثلاثة من التقسيمات الأغلى سعرا لديها بواباتها الخاصة بحراسها ، بينما تعتمد أخرى على البوابات الالكترونية دون ثمة حراس .

وقد كتبت المجلات المتخصصة فى الإسكان عن بلاك هوك ، كما تناولها جويل جارو فى كتابه " *مدينة الحافة* " . ويسكنها خليط من الرياضيين المحترفين وفنانين ومليونيرات الحاسبات ، مع المديرين التنفيذيين وأصحاب المهن العاديين والمنتمين للشرائح العليا من الطبقة الوسطى . ويعتبرها المقيمون خارجها ، مثل المقيمين داخلها ، مكانا لمحدثى الثراء . وفيما يتعلق بالسكان ، فالأمر يعنى أنهم أقل تعاليا ولا يشتركون فى صفة النخبوية التى تميز سكان الطراز الأقدم من النوادى الريفية . وإن التصور الأقرب للدقة لبلاك هوك هو أنها ناد ريفى خاص يقوم على استبعاد الغير ، وقرابة الثلث فقط من السكان يمارسون هواية الجولف ، وهؤلاء يفضلون

الإقامة على بعد عشر دقائق من ساحة الجولف عن أن يكونوا أقرب بساعة لمحل عملهم . أما الآخرون فإنهم يدفعون مقابل تمتعهم بأسلوب حياة يتمثل في النشاطات الرياضية والنادى والمظهرية ، وأيضا لابتعادهم عن ازدحام المدينة ، وقربهم من مصادر الثقافة والاستجمام .

وقد التقينا ببعض ممثلى أسلوب الحياة فى بلاك هوك فى منزل أحد أهم مصادر معلوماتنا عن المنشأة . وهى مع زوجها قد عاشا فى المنشأة لأكثر من خمس سنوات ولديهما إلمام واسع بالأوضاع فيها . وكانت المجموعة الصغيرة في الصالون ترتدى قمصانا تناسب مقدم الخريف . أما المنزل فلم يكن كبيرا ولكن مؤثثا بذوق يتناسب مع عدم إقامة أصحابه الدائمة فيه ، ولم يكن مطلا على ساحة الجولف ، ولكن كانت هناك فسقية صغيرة خارج حجرة المعيشة . ووصل البعض من أفراد المجموعة المتزوجين متأخرين وفى ملابس بسيطة .

ورغم أن البوابات بشكل ما تستحوذ على أكبر قدر من الاهتمام فى بلاك هوك ، إلا أنها لا تقترن بخاصيتى الخوف والأمن ، إذ لم يكونا ضمن الأسباب الجوهرية عند اختيار هؤلاء السكان لبلاك هوك . فقد اختاروها بسبب تصميم النادى الريفى وبسبب الجولف والتنس ومنظر المكان وما يخلفه من أحاسيس وأخيرا وليس آخرا بسبب سمعته . وعلى حد تعبير آل ، هاوى الجولف الأنيق الذى لوحته الشمس ، فإن البوابة .. " لا علاقة لها بالبيت الذى أعيش فيه .. وما يعجبنى هو تركيبة المكان والناس فى هذه المنشأة ، وهذا هو اختيارى الشخصى ". ووافقته زوجته سوزى على ذلك مضيفة .. " أعتقد أننا كنا سنحب المكان بنفس القدر إذا كان بدون بوابة ، فالبوابة بشكل ما شيء عارض ، وأتصور أننا لو خيرنا لقلنا إن وجودها أفضل ، لكنها مع ذلك ليست عنصرا حاسما، وما كنا لنرفض السكنى هنا إذا لم تكن موجودة ".

وبالنسبة لجورج ولاورا ، فإن بنود عقد الشراء وتوابعها من لوائح وتعليمات كانت العنصر الحاسم فى شراء المنزل . فقد سبق وعاشا لسنوات عديدة فى حى بدون بوابات بضاحية قريبة ، وضايقهما إهمال الجيران لأفنيتهم وكذا حركة المرور بالشوارع . ثم قدم اقتراح بتحويل أحد منازل الحى كملجأ لكبار السن مما أدى لاستنفار أهل الحى ، وكان الفشل فى الحيلولة دون تنفيذ الاقتراح بمثابة القشة

التى قصمت ظهر البعير .. " غياب السيطرة .. هذا هو ما كان الأمر عليه ، لم تكن قادرا على المحافظة على البيئة التى كان فى نيتك الحياة فيها ".

ثم جاء التقدير للبوابات وما تمثله من أمن ، فقد أمن الجميع على قول إحدى السيدات .. " تزداد أهمية الأمن بإطراد خلال السنوات الأخيرة بعكس الحال حين الشروع فى بناء المنشأة ". وعبر أحد الحضور ، وهو صاحب شركة مقاولات ، عن رأيه بوضوح قائلا .. " لا أعتقد أننى أريد التخلص منها (البوابات) إننى أحب فكرة محدودية الوجود ". لقد انتقل للإقامة هنا سعيا وراء أسلوب الحياة المتميز والعقود والشروط والقيود الصارمة ، ولكن وجد بعد إقامته أن الأمن .. " لم يلبث أن بدت أهميته ". والأمن فى مفهوم جورج .. " يتأتى من خلال المعرفة بأن أيا من تراه فى الشارع ، فهو على ما يرام "، أما لاورا فالشئ الوحيد الذى يثير قلقها هى قطط الجبال المتوحشة .. " قارن بين هنا وسان فرانسسكو .. إننى لا أجرؤ على الحديث مع أى إنسان بالشارع هناك فى وضح النهار " .

المجتمع بالنادى

ومثل منشآت الجولف الكبيرة الأخرى التى قمنا بزيارتها ، فإن التعامل يبدو منصبا على وسائل الترفيه ، النادى وساحة الجولف وملاعب التنس . وبالنسبة للبعض فهذا يعنى المجتمع .. " أنت تعيش مع الناس الذين نلعب معهم ، وعليه فلديك الإحساس بالمجتمع ". هذا ما قالته إحدى السيدات مضيفة .. " لقد صادقنا أناسا فى كل أنحاء المجتمع لأننا نعيش فى بلاك هوك ، ولا أعرف إن كان باستطاعتنا مقابلة هذا العدد وأن نصادق هذا العدد من الناس [إن كنا مقيمين فى مكان آخر] " .

وتوافق سيدة أخرى على توفر الشعور بحسن الجوار فى بلاك هوك ، ولكن زوجها يتحفظ على ذلك حين قال .. " لا أعرف إن كان لدينا العديد من الأصدقاء حقا هنا " . ويسود الارتباك والصمت لبرهة ، عاد الزوجان بعدها بسرعة لتوضيح أنهما مشغولان جدا ويتغيبا عادة فى عطلات نهاية الأسبوع .

ومحدودية الدخول ضمان بأنه لا شائبة على كل الموجودين فى المنشأة ، وأن وسائل تزجية وقت الفراغ تتيح التلاقى مع بعض الجيران على الأقل ، وإذا كانت

الحياة خلف بوابتين لا تكفى فبالوسع دائما توفير المزيد من الانسحاب . وكان أحد الحاضرين وقد رفض إبلاغنا بمحل عمله أو حتى بمهنته ، متحمسا بوضوح لأقل قدر من الاتصال فى قوله .. " المجموعة هنا مستقلة بالفعل ، والخلفية تسمح بأن تتصرف لشأنك ، ولست مضطرا بالفعل للإسهام بأى نشاط مجتمعى حتى فى داخل بلاك هوك " .

وبلاك هوك ليست مجرد مجموعة جيران ، فهى من الناحية التنظيمية تعادل مدينة صغيرة باتحاد ملاكها ومجلس إدارته ، بلوائحها وقوة شرطتها الخاصة ، وببنيتها الأساسية التى تقوم بصيانتها . ولكن القيود الصارمة والتخطيط المركزى فى بلاك هوك ، مع الدخول المرتفعة بها تعنى إمكان تجنيبها السياسات الارتجالية فى المدينة الوسط . ولا يحضر اجتماعات الاتحاد سوى عدد محدود ، ويجهل معظم السكان السياسات الداخلية ، ويرى هؤلاء فى تقاعسهم دليلا على كفاءة الإدارة ، وربما يعتقدون أن مجتمعا غنيا مثل بلاك هوك لا يحتاج لكثير من التوجيه بقدر ما يحتاجه غيره من مجتمعات ، وهذا التفسير تطوع به جيم المقاول . وقليل هو الحافز لدى السكان للمشاركة ، فشركة الأمن وشركة إدارة الممتلكات ، وشركات الصيانة ، تم استئجارها جميعها للعناية بالمنشأة بصورة تعفى السكان منها .

وإذا كانت العلاقات الانسانية داخل بلاك هوك تتسم بالسطحية ، فإن هذه العلاقات مع مدينة دانفيل المتاخمة والعالم الخارجى بصفة عامة ، أكثر سطحية . وقد ذكر أحد السكان .. " إننى أشعر بكونى جزءا من بلاك هوك ، ولا أشعر كذلك تجاه دانفيل بصفة عامة . " ومن كان لديه أطفال وجب عليه السعى لمزيد من الاختلاط ، وعلى هذا اتفق الحضور من أعضاء المجموعة ، ولكنهم أنفسهم لا يشعرون بأنهم مضطرون لذلك ، ولا يجدون مبررا للاعتذار عن ذلك . ويشعرون بالامتعاض الشديد تجاه السياسيين المحليين والحكومة المحلية ، وحين أشار أحدهم للتصميم الجذاب والمبنى الأكثر جاذبية وتكلفة لمجلس إحدى المدن القريبة تحدث مطولا عن الأنانية والسفه فى تنفيذ المشروع .

ولم يدعوا بأنهم ضد سداد الضرائب أو الإسهام فى سندات تنمية المقاطعة التى هم جزء منها ، ولكنهم جميعا على استعداد للدفاع عن حقهم فى ألا يفعلوا . إنه " حقك بامتياز " كما قال أحدهم ، مضيفا بأنه وأيا كان مبرر زيادة الضرائب أو

إصدار السند فالحاصل أن المدينة فعلا والخاصة بلاك هوك تقدم خدمات مماثلة داخل حدودها " . والبوابة تتيح حرية الاختيار أمامك ، ولا ينبغى أن تحس بالذنب إزاءها من أى جهة " .

إنهم مقترعون غاضبون ، كارهون للسياسة ، سئموا من كثرة ما دفعوه للمجتمع .. " لقد سئم الناس أسلوب الحكومة فى الإدارة ومن الحرية التى خول الناخبون إياها لتفعل ما تريد .. إنها إدارة فى غاية السوء ، ولكونك لا تملك رقابة فعلية على كيفية إنفاقها للنقود ، فالمرء يشعر وكأنه قد حرم من حق الاقتراع . وإذا قامت المحاكم بإطلاق سراح المجرمين ، وإذا واصلنا إعفاء الناس من إقامة الدعوى ضدهم وإذا استمر إنفاق النقود على النحو الذى ننفقها به الآن ، كل هذا ولا أستطيع التأثير فى المجريات ، وقد سبق أن أسهمت فى الحملات ، فإذا لم يعد عندى أى قدر من الرقابة ، فسأكون فى موقف أشعر فيه بأنى أمتلك قدرا ضئيلا من السيطرة على الحياة التى أعيشها " .

وقالت سيدة تعمل بالحكومة الاتحادية شيئا مشابها .. " أشعر بالإعياء لما أقوم بدفعه ، فعلا أشعر بالإعياء لما أدفعه ، هناك نقطة يجب التوقف عندها والبدء بالتفكير فى أنفسنا وفى وقت تقاعدنا ، لقد اعتدت أن أصوت غالبا من أجل أشياء تخص الآخرين " .

وخلال المناقشة ، دافع زوجها عن موقفها قائلا .. " أنت تنسحب من الصورة الأكبر ومن المشاركة ، وربما من الانغماس فى وضع اقتصادى سيىء أو شىء من هذا القبيل . ولكن بذات الوقت فلو كنت معتادا على التصويت ، فستكون منغمسا فى سياسات الولاية والمبادرات والاستفتاءات . وأنت تدفع الضرائب وربما ساندت " ثلاث خبطات وتكون النهاية " (إشارة لعقوبة السجن مدى الحياة المطبقة فى كاليفورنيا بحق من كانت له ثلاث سوابق جنائية) وربما كنت نشيطا فى الحملة ضد الهجرة ، فهل تكون مطالبا بأن تنغمس فى أمهات المسائل وتتابعها يوما بيوم ؟ إن كنت مدركا لذلك وظللت معنيا بأمور الولاية أو الحكومة المحلية من خلال الانتخابات أو بالمشاركة فى الحملات ، ألا تفعل نفس الشئ ؟ " .

وبينما كانت المجموعة تكرر محاسن الإقامة فى بلاك هوك المعزولة عن مضايقات المنطقة الحضرية خارجها ، كانوا رغم هذا مصممين على إقناعنا بأن لهم

اتصالاتهم وأنهم لم ينسحبوا . وهذا ما قالته إحداهن .. " أنت تخـــرج يوميـا للعـالم الخارجي على اتساعه ، إذن فلست معزولا أو مكرس حياتك كلها لتـدور حـول مـا يوجد داخل البوابات . لا يمكنك أن تنكر ذلك ، وأنت لا تنكر ذلـك ". ولكنـها فـي موضع آخر خلال الأمسية وصفت رد فعلها إزاء العمل فـي العـالم الخـارجي .. " لا أحب الذهاب لسان فرانسسكو ، ولا أشـعر بالراحـة فـي سـان فرانسسـكو ، ولا أغادر المبنى الذى أعمل فيه إلا فى طريقى للمنزل " . أما زوجها فإنـه يغـامر بالخروج من المبنى فى وقت الغذاء ، ويستدرك قائلا .. " إنها لسعادة وراحة أن تعـود لهذا المكان ، إنك تتعامل مع عناصر غير مرغوب فيها أحيانا لحد كبـير ، والأمـر يشبه الخندق القديم والقلعة ، أن تعود لمكانك وتشعر بالأمان " .

وقد أبلغتنا مضيفتنا بأن كثيرا من الناس فى بلاك هوك يعيشون بـالداخل فحسـب ونادرا ما يغادرونها ، وأنه عندما يفعلون فغالبا يكونون متوجهين للمجمـع التسـويقى الواقع قبالة البوابة تماما . وأضافت إنها لم تكن لتنتقل للإقامة أبدا فـي بـلاك هـوك عندما كان لديها أطفال صغار ، لأنها لم تكن لترغب فى هذا القدر المبالغ فيـه مـن البيئة المتجانسة ، ولكن هناك كثير من الناس يفعلون ذلك .

السيطـرة

السيطرة هى مفتاح شخصية بلاك هوك . فالبوابة والحراس والقواعد المرعية تخلـق بيئة لا محل فيها للمفاجآت . ونقطة الجذب فيها " غياب الفوضى " واستحضار المنـاخ الإنشائى . والجميع يوافق على ذلك .. " إنه شعور طيب ، ولو لبعـض الوقـت ، أن تصادف شيئا تعرف ما تتوقعه بشأنه وأن تعتمد على ذلك ، إنه شـيء بـاعث علـى الراحة " .

ويرى أحدهم أن الاتساق والسيطرة الدقيقة على المرافق والمظهر الخارجي تسـبب له راحة يثمنها غاليا .. " لا أعتقد أن المجتمع المغلق هو السـبب فـي ذاتـه ، إنـها الرغبة فى الالتزام ، وأخلاقيات العمل أو ما شئت أن تسميها ، وراء هـذا التماسـك المجتمعى ، وهى التى تنمى فيك الشعور بأنك وسط أناس يجمعهم بك رباط مشـترك بدون اعتبار للجنس أو العرق " . أما زوجته فكانت أكثر تحفظـا ، مشـيرة إلـى أن السيطرة الزائدة تسمح بوجود نوعية الفرد المتصلب إزاء ما يمكن التسـامح بشـأنه ، وضربت مثالا بنباح كلبها الذى تحول لمشكلة تبدت خلالها " وقاحة " جيرانهم .

وفتح ذلك المجال لحكايات المجموعة عما تسببه التعليمات من ازعاج ، ولكنهم أكدوا رغم ذلك أن المزايا من ورائها تفوق ما تسببه من مشاكل .

ويمتد نطاق السيطرة من مظهر الممتلكات إلى سلوك الأفراد . فأوعية القمامة لا يجوز تركها بالخارج إلا فى حدود ساعات معينة ، ولا يسمح بوجود سيارات الرحلات أو السيارات التجارية ، أو انتظار السيارات فى الشوارع ، وغير مسموح إطلاقا بوجود مستطلعى الرأى حول المنازل . وقد سمح بتنظيم حملة لإطعام الفقراء ولكن عند البوابة الرئيسية فحسب ، وحتى فتيات الكشافة من سكان بلاك هوك يقتصر السماح ببيع أشيائهن خارج البوابة حيث يقمن باقتناص السيارات المنتظرة عند البوابة ليبعن شاغليها ما يحملن من أطعمة . ويعلق أحد السكان على ذلك قائلا .. " إنها مسألة خاصة ، ولكل شخص الحق فى التصرف باستقلالية وأن يختار من ومتى يريد الإتصال والتعامل معه ، ولا أحد يملك الحق فى أن يفرض عليك وضعا لا تريد أن تتعامل معه " . إن العالم داخل البوابات قدس الأقداس .

الحنين للمدينة الصغيرة

حكى أحد السكان ممن زاروا مؤخرا ويست فرجينيا ، عن مدى تأثره بالروح المجتمعية فى المدن الصغيرة هناك ، وعبر عن اعتقاده بأن بلاك هوك تشبهها فى ذلك .. " إن تركيبة المكان هنا مصطنعة ولكنك بذلك تخلق البيئة التى تعيد نسخ ما كان عليه حال وسط أمريكا حين كانت هناك المدن الصغيرة ". وكان ذلك مدعاة لحماس باقى المجموعة للتحدث فى مدى مناظرة منشآتهم للمدينة الصغيرة .

تذكر أحدهم نشأته فى مقاطعة مونتيرى الريفية ، حيث لم يغلقوا بابا على الإطلاق ، وكان يعرف الجميع ويشعر بإحساس مجتمعى حقيقى . وتحدث آخر عن منطقة بلاك هوك قبل ربع قرن ، قبل أن تتغير بفعل زحف الضواحى ، وحين كان الإحساس بالمدينة الصغيرة أقوى . وعند هؤلاء فبلاك هوك ببواباتها وخطتها الشاملة تبدو مؤدية بشكل ما للاستمساك بهذا الإحساس . فقد اكتملت حدود نموها ، وعضوية ناديها محدودة ، لذا فلن يشعروا أبدا بالزحام أو بأنهم محاطون بالكثير من الأغراب .

إن صورة بلاك هوك كمدينة صغيرة جزء من القيم المشاعة بين سكانها . إنهم يعرفون ما يمكن توقعه ، وأين يمكنهم أن يتركوا بصمتهم إن هكذا أرادوا . وقالت

إحدى السيدات إنها لم تشارك فى أى اجتماع للمجلس المحلى فى الضاحية التى كانت تقيم بها ، لكنها تحضر بانتظام اجتماعات اتحاد الملاك .. " ربما لأنها أسهل قليلا فى الإدارة هنا ، ولا يحيط الضباب بالمسائل ، بل يمكنك تلمسها بيدك " .

بالنسبة للغريب عنها قد تبدو بلاك هوك كناد خاص ، أكثر منها مدينة صغيرة ، لكن بالنسبة لسكانها فإنها أقرب شيء للمجتمع الذى يظنون أن بمقدورهم العثور عليه فى عالم اليوم .

المدن الجديدة المغلقة : المجتمع كسلعة

حاولت دائما المنشآت الضخمة التى تمت وفق خطة شاملة ، أن تعطى نكهة المجتمع أو المدينة الصغيرة ، حين تقدم لمشترى المساكن " صفقة متكاملة " . فالحاجة تفرض على مخططى الإسكان أن يبيعوا أكثر من مجرد مأوى . إنهم لا يسوقون منازل فحسب فى بيئة مخطط لها بعناية وإنما تجربة حياتية شاملة ، وهذه هى المدينة الجديدة كأسلوب حياة . وكما ينعكس من الإعلانات ومن التصميم ووسائل الترفيه المعقدة ، فإن السلعة التى يبيعونها ليست مساكن فحسب وإنما مجتمع .

وهذا النسق من البناء واسع النطاق يعتبر الآن القوة الأساسية فى سوق الإسكان . فشركتا نيوهول لاند آند فارمنج كومبانى وايرفن كومبانى بجنوب كاليفورنيا كانتا أول من رأى ذلك وشرعتا فى بناء منشآت تأخذ كامل شكل المدن . كما أن شركات القطاع العام الضخمة، مثل مؤسسة مدخرات وقروض الإسكان الفيدرالية ، تستثمر جانبا من مواردها الكبيرة فى بناء مدن كاملة تحتوى على المدارس والحدائق وغير ذلك من خدمات . وفى مقاطعة أورانج بكاليفورنيا ، يقوم كبار المخططين ببناء مدن متكاملة تسع الواحدة منها نحو ٤٠ ألف نسمة . ومن جانبها شرعت ديزنى فى بناء مدينتها الخاصة " سيلبريشن " قرب أورلاندو بفلوريدا . وفى منتصف التسعينيات كانت المئات من مشروعات مشابهة قيد الإنشاء عبر البلاد . وكما أن البيت أصبح سلعة ، فكذلك أصبحت طبيعة المجتمع .

فالبوابة والجدار أو غيرهما من نقاط السيطرة ، جزء من العديد من هذه المنشآت وجزء من صفقة تسويقها . ويزداد عدد المدن الجديدة التى تضم " قرى " فى صورة

تقسيمات فرعية مغلقة ، لكى تتيح صفة الانعزالية لأكثر أشكال الإسكان تكلفة . وهـذه المساحات من ثلاثة أنواع : قرى " حضرية " تتألف من منازل بـأعداد كثيفـة وقـد توضع البوابات عليها . ثم القرى الفاخرة وتصمم حول ساحات جولـف أو بحـيرات صناعية وهى دائما مغلقة ، وأخيرا القرى المنتجعية وهى مصممـة كمنشـآت تضـم منازل إضافية للمقتدرين ومرافق مكلفة ، بما فيها بيوت الحراسة على البوابـات .(٨) وفى كل من كاليفورنيا وأريزونا ، حيث المجتمعات المغلقة أكثر شيوعا ، فإن المـدن الجديدة تشمل البوابات على القطع متوسطة السعر كذلك .

وفى ريد وود شورز بمدينة رد وود فى كاليفورنيا، أقيم مجتمع إسـكانى جـرى تخطيطه ليضم شققا ، ومنازل مجمعة ، وأخرى أسرية مسـتقلة ، علـى الأراضـى الرطبة المطلة على خليج سان فرانسسكو . والشوارع هناك متسعة ومقسمة لحـارات تمر أمام أبراج للمكاتب متوسطة الارتفاع ذات واجهات عاكسـة للضـوء ، إلـى أن تصل للمنشآت السكنية التى بنيت حول جداول وقنـوات . واثنـان مـن التقسـيمات الفرعية برد وود شورز مغلقة ، أحدهما به الفيلات متوسطة السعر والآخر ، واسـمه شور بيرد ايلاند ذو مستوى فاخر وتحيطه المياه من كل جانب ، ولا يمكـن الدخـول للفيلات داخله إلا بواسطة جسر أقيمت عليه بوابة خاصة .

أما جرين فالى على مشارف لاس فيجاس ، بنيفادا ، فمنشأة جرى إنشاؤها بخطـة شاملة لتضم ٦٠ ألفا من السكان بنهاية عام ٢٠٠٥ . وعنيت الخطة بأسـوارها التـى تحيط بكامل أرجائها من حيث خاماتها وشكلها وارتفاعها . كما تم إعداد عقود التمليـك والقواعد والقيود على السكان بما يضمن عدم إجراء أى تغيير وبأى صورة ، بما فـى ذلك منع أى فتحات بالأفنية الخلفية للمنازل . وقد شرح لنا أحد وكلاء التسويق مصـدر جاذبية المنشأة بقوله .. " إنها آمنة ونظيفة وجميلة المـدارس بـها جيـدة ومسـتوى الجريمة منخفض ، إنها تمثل ما يطمح إليه المشترون " .(٩)

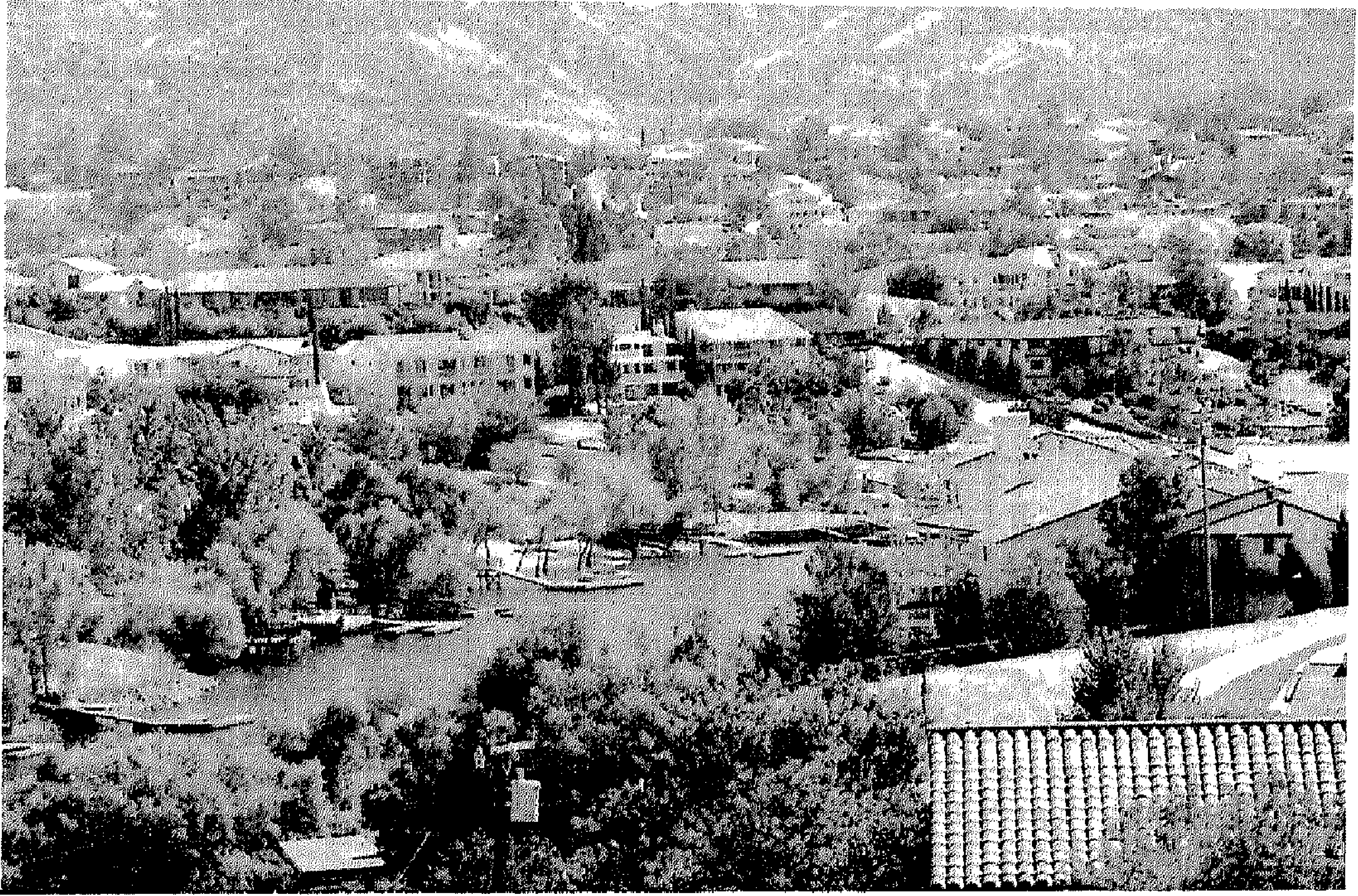
والأحياء الأكثر غنى فى جرين فالى مطوقة بالجدران وتقوم عليها البوابات . وقـد اشتكى طفل فى العاشرة من السكان بأن أصدقاءه لايمكنـهم الوصـول إليـه دون أن يتصلوا أولا " بالشرطى فى بيت الحراسة " . لكن لا البوابة ولا السور قادرين علـى كفالة الأمن التام ، إذ وقعت فى السنوات الأخيرة جرائم اغتصاب وسـرقات وجنايـة

قتل بمنزل ، وتداول المخدرات بالمدارس ، كما تعرضت لسحابة من غاز الكلوريـــن تسربت من مصنع كيماويات مجاور .(١٠)

ويتجسد فى مدينة النادى الريفى سيلفر كريك فالى بسان خوسيه فى كاليفورنيـــا ، نموذج المدينة الجديدة ذات الاكتفاء الذاتى . وقد خططت لتستوعب أكثر مـــن ١٥٠٠ وحدة سكنية مع العديد من وسائل الترفيه ، ووراء بوابة مقام عليها بيت حراسة يعمـــل على مدار الأربع والعشرين ساعة . وتتضمن الخطة إنشاء مدرســـة ابتدائيـــة عامـــة وعدد من المنشآت التجارية داخل المنشأة ولكن بمداخـــل منفصلـــة ، لتســـمح بـــتردد المقيمين خارجها . هذا ، ولا تشير كراسات الدعاية للمدينة البتة للبوابات أو الأمـــن ، وإنما تركز على وسائل الترفيه والراحة . كما وأن العضوية بنادى الجولـــف ونـــادى التنس والنادى الريفى تتم من خلال أسهم مقصور تداولـــها علـــى ســـكان المدينـــة . وتتراوح أسعار القطع بين ٣٠٠ ألف دولار لتلك المخصصة لبناء المنـــازل النمطيـــة إلى ٥٠٠-٧٠٠ ألف دولار لمناطق الفيلات ذات الطـــابع الريفـــى ، وصـــولا إلـــى القطع المحجوزة لزبائن خاصين وتربو قيمتها على المليـــون دولار . ولاثنيـــن مـــن التقسيمات الفرعية بالمدينة بواباتهما الداخلية ، وتحيـــط الأســـوار بـــالقطع الفرديـــة وبالمنشأة ككل . واتخذت إجراءات الأمن الفعالة منذ البداية وحيـــن لـــم يتـــم شـــغل سوى بضع عشرات من المساكن . وعلى طـــالبى الشـــراء تســـجيل بياناتـــهم فـــى جناح الاستعلامات خارج المنشأة مع حملهم بطاقة مرور فى كل وقت يوجـــدون بـــه داخل البوابات .(١١)

" فردوس " على الأرض : كانيون ليك ، كاليفورنيا

كانيون ليك مدينة جديدة جنوبى كاليفورنيا ، ليست ضمن الأحدث ولكنها تقدم لنا مثـــالا ممتازا لهذه النوعية . وقد زودها المخطط بالعديد مـــن وســـائل الترفيـــه والخدمـــات الشائعة بالمدن، بما فى ذلك مجمع تسويقى وحى للمكاتب التجارية. وهى مثل غيرهـــا من المدن الجديدة فيها مجال متنوع من الإسكان متبـــاين الحجـــم والطـــراز ليناســـب مستويات الدخل المختلفة . وكانيون ليك نموذج رائد للاتجاه المـــتزايد فـــى منشـــآت الضواحى المتسعة : فمنطقتها السكنية مغلقة تماما خلف أسوار وبوابات .



□ المدينة الجديدة : كانيون ليك ، كاليفورنيا
تصوير سكوت روبنسون

وكانيون ليك مجتمع مغلق يضم أكثر من عشرة آلاف من السكان ، وهى أيضا مدينة مندمجة ذات ولاية قانونية منفصلة . وهى توصف بأنها " قطعة من الفردوس " رغم أنها ليست المنشأة الأكثر فخامة التى قد يتوقعها المرء فى المدن المغلقة . ومع أن بها عناصر تشى بالفخامة ، إلا أنها كانت دائما ولاتزال مكانا للمجموعات الاقتصادية والاجتماعية المتنوعة ، فنجد بين سكانها ضباط الإطفاء والشرطة والمدرسين والمهندسين ومندوبى المبيعات والمتقاعدين والنجارين والفنيين والسماسرة .

ويعيش السكان فى إطار جميل حول بركة صناعية تمتد شواطئها إلى خمسة عشر ميلا . والمدينة ذاتها تقع على بعد ستين ميلا شرقى مقاطعة أورانج فى الصحراء الجنوبية بكاليفورنيا . وقد أنشأها منذ خمسة وعشرين عاما مخطط فرد لتكون منشأة آمنة لاستجمام أصحاب الدخول المتوسطة من أهل الحضر الذين فروا

من لوس أنجليس . وكانت البوابات عليها ترمى لاجتذاب فئة شاغلى المساكن لبعض الوقت . والواقع أن المنشأة كانت أصلا مسورة جزئيا ، ولكن مع زيادة المساحة المخصصة للسكنى الدائمة ، زادت المطالبة بتسوير أفضل وأمن أكفأ لفصل المنشأة عن المشكلات النابعة من مدينتى السنيور وبيريس المجاورتين والتى يقطنها ذوو الدخول المنخفضة . واعتبارا من عام ١٩٩٠ كان قد استكمل بناء كانيون ليك ، وتزايدت المخاوف ومشاعر الإحباط لدى السكان تجاه الحكومة المحلية . فاعتقادا منهم بأنهم يعيشون فى مجتمع خاص وأن من حقهم تأمين سيطرة تامة على مصيرهم ، فقد أبدوا امتعاضا نحو التدخل المتكرر من قبل حكومة المقاطعة فى مسائل تتصل بتقسيم المساحات فى المنشأة ، كذلك فقد تخوفوا من احتمال سعى مدينتى السنيور أو بيريس لإلحاق كانيون ليك بأيهما . هكذا كان رد السكان إنشاء مدينتهم كوحدة لها شخصيتها القانونية المستقلة .

وأصبحت كانيون ليك مدينة كاملة اعتبارا من عام ١٩٩١ . ولم يكن لديها عندئذ قاعدة ضريبية تقريبا ، ولكنها لم تكن بحاجة لمثلها ، لأن اتحاد أصحاب الأملاك كان يعمل طول الوقت كحكومة فعلية وبميزانية تبلغ سبعة ملايين دولار تم تحصيلها كرسوم من السكان ، منها مليون واحد فقط فى صورة ضرائب . وأصبحت حكومة المدينة مسؤولة عن علاقاتها تجاه الحكومات المحلية الأخرى ، وعن قطعة أرض صغيرة ملحقة بالمدينة ولكن تقع خارج أسوارها ، وعن قوة الشرطة الصغيرة والمتعاقد بشأنها مع مدينة السنيور . أما اتحاد أصحاب الأملاك فصار مسؤولا عن كل ما عدا ذلك ، فمن صلاحياته صيانة الشوارع والحدائق وتخطيط الموقع العام ، وتحديد سرعة السيارات وتحصيل الغرامات ، ومراقبة أداء الشرطة الخاصة ، وضمان تنفيذ ما تنص عليه العقود والقرارات الإدارية ، وإدارة ساحة الجولف وبعض المشروعات الصغيرة . وهكذا ، فداخل الأسوار ، كما يقول مدير المدينة جيف بيرو ، يسرق اتحاد أصحاب الأملاك الأضواء .

مشكلات المدينة بالمدينة المغلقة

كان جون جى عمدة كانيون ليك حين قمنا بزيارتها . إنه شاب ذو شخصية ساحرة دون تكلف وإن بدا مشدودا بصورة ما . إنه معنى بحياة المجتمع بوضوح تام . وهو

إن لم يكن من دعاة الحقوق المدنية ، إلا أنه كان يرى فى كانيون ليك نوعا من محمية الطبقة الوسطى ، وأسلوبه أقرب للمقولة الدارجة " دعها ليعيش فيها القندس " وهو أسلوب حياة ينتمى لعهد سابق . إنه يريد بقاءها على حالها . وهو محب للأرض وللناس والمدينة التى يراها مكانا مناسبا جدا لتنشئة طفليه .

وعلى أية حال ، فكانيون ليك آخذة بالنضج ، ويعرف العمدة جى أنها تمر بنفس مشكلات أى من مناطق الضواحى التى يتقدم بها العمر ، تزايد الجريمة وجموح الشباب ، مع الحاجة لتلبية طلبات متقدمى السن وخدمات اجتماعية أخرى . لقد وقع بالمدينة أربع جرائم قتل فى السنوات السابقة ، كما تعرضت لنفس معدل السرقة فى أى ضاحية مأهولة بالطبقة الوسطى فى مقاطعتى أورانج وريفر سايد . وقد أفسد منظر الأسوار بالكتابة عليها ، فضلا عن أن الأسوار حول المنشأة يسهل اختراقها . وبسبب كبر حجم كانيون ليك ، فإن المرور الكثيف عبر بواباتها الثلاثة يحول دون تأكد الحراس من هوية الداخلين ، إلى جانب التراخى ، فى منع السائقين غير المرخص لهم بالدخول .

أما مارتى هول ، المدير التنفيذى لاتحاد أصحاب الأملاك ، فإنه يلاحظ ما تمثله البوابات من أهمية لدى سكان كانيون ليك ، ويخشى أنه اهتمام زائد عن الحد .. " فالبوابة تعطى الناس إحساسا زائفا بالأمن ، وبعض السكان أبلغونى أنهم يشعرون بالراحة بمجرد عبورهم البوابة . " ، ويرى فى ذلك مدعاة للقلق " لأنه لا يوجد أمان بنسبة مائة بالمائة " . وقد أشار لحوادث القتل وغيرها بالمنطقة ، معترفا بأن المدينة ذات العشرة آلاف نسمة بها نفس المشكلات الموجودة بأماكن أخرى خارج البوابة .. " عندنا مشكلة مخدرات وغيرها يجب التصدى لها هنا أيضا ، فالبوابة لن تمنع العالم الخارجى من الدخول إلينا " .

وقد كشف اجتماع للجنة التنسيقية لكانيون ليك لمواجهة الكوارث عن حقيقة هذه المشكلات . فقد قامت إحدى المتطوعات باللجنة ، تتميز بالنشاط رغم تقدمها فى السن ، بعرض تقريرين عليها ، كان أولهما عن إجراءات الطوارئ والإمدادات العاجلة فى حالة وقوع كارثة . وبعد مناقشة موجزة للمخزون والتكاليف أبلغت اللجنة بسرقة مهمات الطوارئ والمخزون من الأطعمة والتى أوردتها بالسجل المعروض ، حيث قام اللصوص بتبديل الأقفال على المخزن وسرقوا المولد الكهربائى والبطاطين

ومواد أخرى بينما كان المتطوعون يحاولون معرفة من عساه يكون قد قام بتغيير الأقفال . وأثناء المناقشة ذكرت المتطوعة .. " من الواضح أنها كانت عملية من الداخل ، وقد طلبنا من كل المتطوعين فى المجتمع أن يفتحوا أعينهم تجاه هذه المهمات ، ونحن نعرف أن بعض الأولاد يخفون هذه الأشياء ، فطلبت من الآباء إبلاغنا عن أى شيء يستجد حول المنزل أو الجراج " . وبذلك انتهى التقرير الأول .

أما التقرير الثانى فكان بشأن الإسعافات الأولية وتدريب المتطوعين . وبعد مناقشة قصيرة أخرى لعملية تدريب المتطوعين ، أخبرت اللجنة قائلة .. " لن نستطيع الاستمرار حاليا فى تدريب المتطوعين . لقد أخذ أحدهم جهاز الفيديو خارج هذا المبنى ، ونحن نعتمد على تسجيلات الفيديو فى برامجنا التدريبية . لقد سرق من الدولاب " ، وأشارت إلى باب خلفها ، ثم أضافت .. " أما الحصص بشأن الإسعافات الأولية فقد ألغيت أيضا ".

ولا يسع المرء إلا التفكير بأن تقريرين عن حالات سرقة كانا لابد أن يؤديا لمناقشة بل ويسفرا عن خيبة أمل فى مجتمع مغلق ولديه الحراس من رجال الأمن ، بيد أن التقريرين مرا بهدوء ، فمدير الاتحاد رفع حاجبيه ، وهز قائد الشرطة رأسه ، ولكن أحدا لم يوجه سؤالا أو يبدى دهشته إزاء التقريرين ، لقد سرقت مهمات ثقيلة من هيئات مدنية داخل بوابات وعبر حراس أمن ، بدون رد فعل يذكر .

الأطفال خلف البوابة

عرض فريق من تلاميذ المدرسة الثانوية أفكارهم عما يرونه جيدا وسيئا فى مدينتهم ، وذلك أثناء وقوفهم فى انتظار الحافلة . كانوا ممتلئين حيوية فى صخبهم وكانوا فى ملابس الجينز والحقائب على ظهورهم ، مثل نظرائهم بأى ضاحية وفى أى مكان ، ولم يشعروا بالخوف أو الحذر إزاءنا كغرباء ، بل بدوا فضوليين وحريصين على الحديث والذى شرعوا فيه جميعا وبنفس الوقت . وقد اتفقوا جميعا على أن السور حول المدينة ليس حاجزا بدرجة كبيرة وقالت إحدى الفتيات .. " إنه ملىء بالثغرات وأى شخص باستطاعته النفاذ منه " . وأضاف صبى صغير متباهيا .. " وأنا أمر من خلاله جيئة وذهابا طوال الوقت " .

وقالت فتاة داكنة الشعر .. " السور ليس صعبا مثل شرطيي ويلس فارجو الجدد "، وكانت تشير لدوريات الأمن الخاصة باتحاد الملاك . وأضافت إن رجال

الشرطة من ويلس فارجو أكثر خشونة وبدون مبرر من شرطيي بنكرتون السابقين . وقد أجمع الأولاد كافتهم على عدم استلطافهم لرجال الشرطة الجدد ، وعلى أن السور ، وإن كان رادعا بشكل أقل من دوريات الشرطة ، فهو على الأقل يبقى بعض المتسللين بعيدا .

وأكثرهم مرتاحون لوجود البوابات ، ويرونها ضرورية لإبقاء الشوارع في المدينة آمنة .. وقال إحدى الفتيات " إننا لا نريد أن يكون عندنا ما هو موجود في الخارج " . والخارج يعني مدينة السينور التي ينظرون إليها " كمأوى عصابات " تجعل شوارعها غير آمنة . وحين سئلوا إن كانت حوادث سيئة قد وقعت داخل الأسوار ، ارتبك الفتية في البداية ثم أجابوا " بالطبع " وأكد أحدهم .. " حدثت لدينا حتى حوادث قتل " . وأقروا بأنه على الرغم من عدم وجود عصابات في كانيون ليك ، فمازال التجوال بها خطرا " لأن بعض الأولاد انغمسوا في أشياء مشينة " .

وبينما رأى البعض في البوابات والأسوار مصدر إزعاج ، فقد تركزت شكواهم على ما يردده أولاد الضواحي في كل مكان ، " .. لا شيء تفعله ، ولا مكان تذهب إليه ، وشلل مقززة " . ما يريدونه هو مجمع أسواق تجارية يترددون عليه ، ولكنهم غير متأكدين بأنهم يريدون تغيير أي شيء آخر ، إنهم آمنون في كانيون ليك ، وسائر العالم ، الذي ينظرون إليه بتشاؤم وبقدر من الخوف ، يوجد بالخارج .

المجتمع وليس الجيرة

في رأي العمدة جي ، فكانيون ليك مجتمع وليس مجاورة . ويقدم الأسباب قائلا .. " تصميم المكان بالغ في إضفاء صفة الضاحية لدرجة عدم تشجيعه مفهوم الجيرة ، فأنت تلتقي بالناس في المناسبات وليس من خلال الحديث عبر سياج الفناء الخلفي " . إنها نموذج للضاحية قليلة الكثافة السكانية وبدون أرصفة . وتعني الشوارع العريضة والمتعرجة أن التحرك داخل المدينة ، حتى لزيارة جار قريب ، أسهل باستخدام السيارة عن المشي . ورغم هذا فإن عمدة المدينة ومعه المدير جيف بوتسلاف يريان أن الروح المجتمعية تلفت النظر .

ويزعم جيف بوتسلاف أن الناس في المدينة مترابطون بيسر بصرف النظر عن خلفياتهم . ويوجد أكثر من خمسين ناديا وجمعية . فالروح المجتمعية تتولد من خلال

المنظمات والجمعيات أكثر منها من خلال الجيرة ، ويعتقد أيضا أن السبب فى ذلك يرجع فى اعتقاده إلى أن كثيرا من المنازل أصحابها مزدوجو الدخل يقطعون مسافة مائة ميل بأى اتجاه ليصلوا لمحل عملهم فى لوس أنجليس ومقاطعة أورانج أو حتى فى سان دييجو ، ومن ثم فليس لديهم الوقت للتعامل مع آخرين سوى فى أيام العطلات ومن خلال مجموعات منتقاة . ويلاحظ جيف أنه بالرغم من ذلك فهم أناس يعنيهم أمرنا ، فلو احتجت لجنة تحصل على عديد من المتطوعين النشيطين وعادة من المتقاعدين " . ومن الأسباب الأخرى وجود نسبة كبيرة من المتقاعدين المنتمين للطبقة الوسطى الغنية نسبيا فى كانيون ليك ، وحقيقة أن النشاط التطوعى يمثل ركيزة تاريخية بالمدينة ، فقد أسهم فى تطوير ساحة الجولف ، وتقديم العمالة اللازمة لتحسين الشوارع وتهذيب أشجارها . والمشاركة فى الأنشطة المدينية شىء متوقع من السكان ، ولأن العبء هنا محل مشاركة واسعة فإن الناس عادة مستعدون للمساهمة ، لكن وبسبب انتعاش أسهم الإسكان فإن السكان الجدد ، والأكثر ثراء عادة ، لا يشاركون فى نفس المشاعر . واعترف جيف أثناء جولة داخل المنشأة بأن بعض السكان الجدد جاءوا " بسبب الأسوار فقط " .

أما بالنسبة لمارتى هول ، المدير التنفيذى لإتحاد الملاك فهو يرى أن المنظومة الاجتماعية في المدينة هى العنصر الأكثر حساسية ، " فالجانب المادى للأوضاع لا بأس به " ، ويرى أن مهمته الرئيسية هى محاولة تطعيم عدد أكبر من السكان بالروح المجتمعية . ويتفق معه مدير المدينة فى الرأى بأن المجتمع متماسك ويتسم بروح الصداقة والتطوعية ، ولكن ، وكما هو الحال فى كل مكان ، فالبعض مستعدون للمشاركة والبعض ليسوا كذلك مطلقا .

وسكان كانيون ليك أكثر اهتماما كذلك بالمنطقة المحيطة بهم مما قد توحى به الأسوار والبوابات . فهم يتسوقون ويتناولون الطعام فى السينور ، ويشتركون معها فى نفس المنطقة التعليمية ، كما يبدون نشاطا فى الحياة السياسية المحلية ، بل وهيأ كثيرون من رواد كانيون ليك مكانة لأنفسهم على المسرح السياسى المحلى قبل أن تتحول الأخيرة إلى مدينة وظلوا على صلة بهذا المجتمع الأوسع . والعلاقات بين سكان كانيون ليك وسكان المناطق المتاخمة حميمة بدرجة كبيرة . والصراعات تميل لأن تنصب على أشياء مثل استخدام زوارق التزلج بأعلى البحيرة، والقمامة ،

والموسيقى العالية على الشواطئ الملاصقة لحدود المدينة . وتبدو المشكلات أيضا مرتبطة بأوضاع الشبيبة ، شأن أكثر المشكلات داخل البوابات ، وهو ما يسبب قلقا لمارتى الذى يحاول إنشاء مجالات ترفيهية أكثر وغيرها من مصارف الطاقة لدى الأولاد والمراهقين .

والبوابات لا تستطيع إبقاء كل المشاكل خارجها ، كما لا تفعل شيئا لحل ما ينشأ منها داخل الأسوار . ومعظم السكان يضعون ثقتهم فى الحدود المادية ، فى نظام السيطرة على الدخول . لكن مارتى هول يعرف أن المهمة الحقيقية هى إنماء المسئولية المجتمعية والبنية الاجتماعية ، فالأسوار مهما علت والبوابات مهما قويت وتدعمت ، لن تكون كافية .

المجتمع خلف بوابات الحياة المتميزة

تضيف البوابات مستوى باعث على الرضا فى البيئة الاجتماعية المتميزة . فالناس تفترض أن أى أحد يرونه داخل منشآتهم فهو ينتمى إليها . وقد لا يعرف الجيران بعضهم البعض لكن يظلون على توقعهم بأن أى شخص يتصلون به " واحد منهم " . والكثير ممن أجابوا عن أسئلتنا قالوا إن هذا الإحساس المحدود بالجيرة مناسب لمجتمع مرفه . والملاحظ أن الناس وراء البوابات خصوصا فى بلاك هوك وغيرها من منشآت الأندية ينتمون لنفس الفصيلة اجتماعيا واقتصاديا . والثقة ، أحد أسس المجتمع الصالح الذى نحلم به جميعا ، ربما كان العثور عليها أيسر داخل البوابات وليس خارجها .

وربما استطاع المرء أيضا أن يجد السعادة وحسن الجوار خلف بوابات الحراسة. وقد لاحظنا فى معظم المجتمعات المغلقة أن السكان راضون إجمالا عن التنظيم والتمثيل الاجتماعى فى مجتمعهم المغلق ، كما ذكر من قابلناهم أفرادا أو مجموعات بأن التجانس فى أسلوب الحياة قد تحقق . وفى نفس الوقت يشير البحث الذى قمنا به إلى أن الإحساس المجتمعى الموجود سريع الزوال بقدر ما هو مؤسس على المصالح المشتركة ومستوى الدخل ، فأعضاء المجتمع لا يشعرون بالتزامات قوية تجاه بعضهم البعض وهم مشتركون فى المكان الذى يحيون به لأن ما يجمعهم أهداف فردية أكثر منها مجتمعية . ومجتمعات التقاعد والجولف ووسائل الترفيه والمدن الجديدة المغلقة

كلها ابتكارات مصطنعة ، مجتمعات مزيفة ، إنها مجتمعات تم استنباطها وليست عضوية من كل وجه ، بيد أنها رغم ذلك تستجيب لمعظم متطلبات سكانها .

وهناك أكثر من مستوى لحياة الناس فى المجتمع : المربع ، المجاورة ، المدينة صغيرة أم كبيرة ، الإقليم ثم الوطن ، ويزعم بعض سكان المجتمعات المتميزة أن مكان بيوتهم الآمن واتحاد الملاك خاصتهم المنظم ، يتيح فرصا أكثر لتعاملهم مع المجتمع خارج بواباتهم مما لو كان الوضع بخلاف ذلك ، ولم يجدوا الوقت لهذا التعامل . وفى المقابل يصرح آخرون بأنهم يستطيعون تجاهل العالم فى الخارج ويفعلون ذلك بسهولة . لكن الواقع أكثر تعقيدا من أى من وجهتى النظر هاتين . وكما شرح الأمر أحد المسنين من أعضاء مجلس مدينة رانشو ميراج :

" إننى أعمل فى مجتمع يعيش ستون بالمائة على الأقل من سكانه خلف بوابات .. وهذه المجتمعات المغلقة لها شخصية منسجمة ، وتمثل سببا للتقارب بين الناس ، ولها قيادة منتخبة تأخذ على عاتقها حثهم على المشاركة النشيطة ، ولابد أن لدى ما يربو على عشرين من اتحادات الملاك يجب أن أرد عليها يوميا ، من كان لديه برنامج عمل ، ومن يحضر الاجتماعات .. إننىأجدهم مجموعة ممتازة ذات مطالب أكثر تجاه الحكومة عن المجتمعات المفتوحة " .(١٢)

وهو يرد هذه المشاركة جزئيا إلى الخوف من الجريمة ، وجزئيا لاستثماراتهم الاقتصادية . ورغم نشاطهم وتنظيمهم ، فالسكان نادرا ما يكونون ائتلافات فيما بينهم ، فلكل مصالحه الخاصة .

وقد عبر أحد القادة السياسيين من بالم سبرنجز عن نظرة مختلفة قليلا بشأن النزعة المدنية فى المجتمعات المغلقة :

" سبب الحيوية فى رانشو ميراج وإنديان ويلز هو أن سكانهما أغنياء وقد تعودوا أن تسمع كلمتهم ، وهم متقاعدون ولديهم الوقت . كذلك ، فالمجتمع المغلق لديه مصلحة أكبر فى التعبير عن حاجاته لأنها أيضا تعبير عن هوية ذلك المجتمع . وكانت المجاورات تتيح هذا النوع من الولاء فى الماضى ، قبل أن يضيع هذا الإحساس بالانتماء وبالمصير المشترك بين الفرد والمحيط الذى يعيش فيه ، والمجتمع المغلق يقدم البديل لهذا . وإنى لأتساءل إن لم يكن الأمر بمثابة استجابة السوق تجاه هذه الرغبة للانتماء .. فالبوابة والتجانس تدعمان الشعور بالمصير المشترك والمصلحة المشتركة التى تلتقى على قيمة الممتلكات " .(١٣)

لقد استمعنا لتقارير متضاربة عما إذا كان المواطنون فـــي المجتمعـــات المتمـــيزة المغلقة أكثر أو أقل استعدادا للمشاركة فى المجتمع الأشمل عن أى شـــخص آخـــر ـــ لكن بسبب حياتهم فى ملاذات مغلقة مـــع خصوصيـــة وســـائل الترفيـــه والشـــوارع والحدائق والأمن ، فهم أقل حاجة للمشاركة . وكما قال لنا رئيس غرفة التجـــارة فـــي بالم سبرنجز .. " وجدت أن المجتمع المغلق يبعدك عن المجتمع نفسه .. إنـــك تفقـــد قليلا من العلاقة بين ما يجرى خلف البوابات وما يحدث فى المجتمع الأكبر " .(١٤)

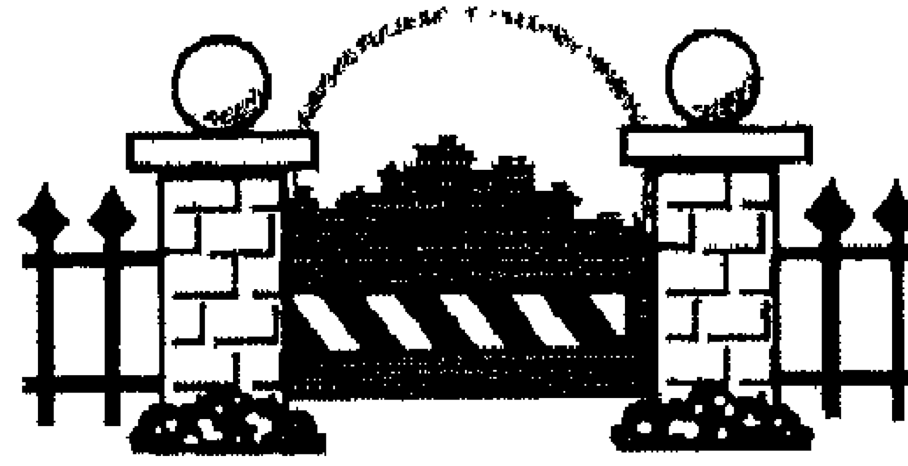
ولقد كان القصد من منشآت المجتمعات المتميزة خلـــق قـــاعدة مثاليـــة للصـــلات المجتمعية . وفى حالة كانيون ليك فهذه الصلات تعتمد على إدارة نشيطة للمقيميـــن . وفى بلاك هوك تنبع من ساحة الجولف ونادى التنـــس . وفـــى ميشـــن هيلـــز فكـــل النشاطات والمزايا تدور فى فلك المصالح المشتركة لكبار السن . وكل نوع من تلـــك المنشآت يطرح فهمه للمجتمع بشكل مختلف . ولكن البوابة تجمع بينها فيمـــا تضفيـــه من الشعور بالانتماء وبالأمان وربما بالخصوصية الانعزالية ، إنـــها تظلـــل وتحمـــى أسلوب الحياة المتميزة داخلها لتكتمل بها دائرة الرفاهية .

ومن الجلى أن المصلحة المشتركة فى قيمة الملكيات ، وأسلوب الحياة الاجتماعيـــة لا يجوز تثبيطها . لكن هل البوابة فعلا مطلوبة ؟ هناك وسائل شتى لتحقيق الصـــلات المجتمعية وقدر من الأمان . إن أنظمة الأمن والأسوار والبوابـــات ، تتيـــح الوســـيلة لخلق الاتحاد ولحماية المنزل والاستثمار العقارى ، ولكنها تفصل وتستبعد ويمكـــن أن تمثل عائقا أمام الانتماء للمجتمع الأكثر رحابة .

الفصـــل الرابع

إنـــى أحلـــم

مجتمعات المكانـــة



فى منشآت المكانة المغلقة ، يكون " المعتاد " مؤسسا بشكل تام تقريبـــا علـــى الطبقـــة الاقتصادية وعلى المركز . وتعود أصول تلك المنشآت لأواخر القرن التاســـع عشـــر حين اجتهد أغنى المواطنين وبارونات الصناعة فى حجـــب أنفســـهم عـــن الســـوقة . وكانت ضاحية توكسيدو بارك واحدة من أولى المنشـــآت العاكســـة للمكانـــة ، وقـــد بنيت عام ١٨٨٥ خلف بوابات وأسلاك شائكة ، على مســـافة ســـاعة بالقطـــار مـــن نيويورك . وقد صممت الضاحية لتطل على منظر بحيرة تحوطـــها الأشـــجار ، مـــع مدخل يثير الإعجاب ، ويديرها اتحاد للملاك " للســـيطرة علـــى النســـيج الاجتمـــاعى وعلى شخصيتها المعمارية " ، وألحق بها قريـــة خـــارج البوابـــات لإقامـــة الخـــدم والتجار المتعاملين مع المنشأة .[1] كما تم فى نفس الوقت تقريبا بناء شوارع خاصـــة مغلقة فى سانت لويس وغيرها من المدن من أجل قصور الأغنياء .

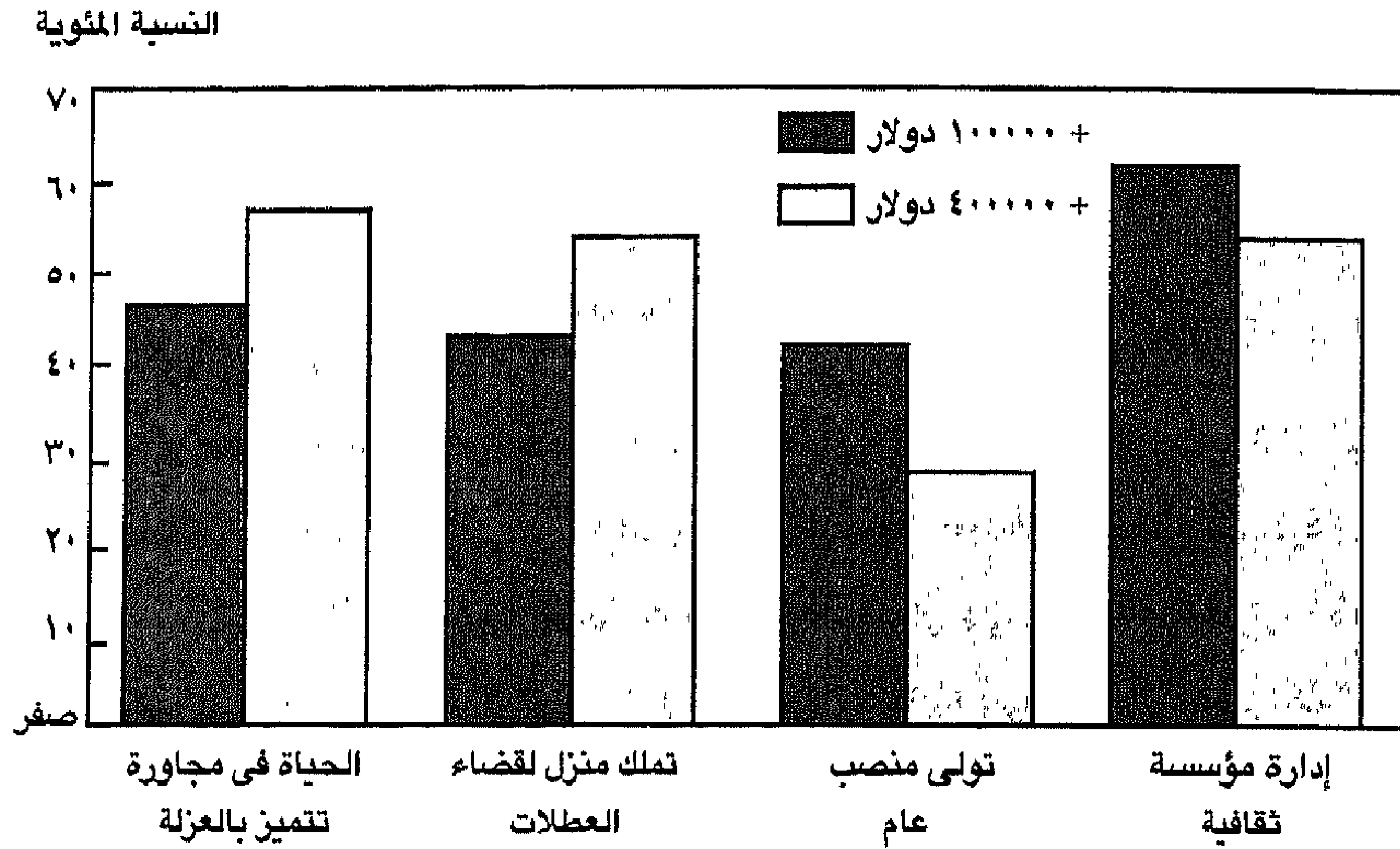
أما اليوم ، فقد صار بوسع مطلق الأغنياء ، خمس الأمريكيين بل وحتى كثـــيرين من الطبقة الوسطى ، إقامة حواجز بينهم وبين الآخرين ، كعلامة على انضمامهم إلـــى الصفوة الأمريكية الجديدة المنفصلة وإن لم تعرف المساواة أبدا .

وتعتمد مجتمعات المكانة على العزلة والانفرادية والتمسك بـالوضع الاجتماعى من جانب الموسرين والمتحركين نحو القمة . وكما هو الحال فى مجتمعات الحياة المتميزة فإن بواباتهم قد أقامها المخططون وليس السكان . لكن مجتمعات المكانة تفتقر لوسائل الترفيه الكثيفة والخدمات المتاحة فى مجتمعات الحياة المتميزة ، حيث إنها بصفة عامة تقسيمات سكنية بسيطة . وسنقسمها إلى ثلاثة أنواع على أساس مستوى الدخل . فهناك أولا ملاذات الأغنياء والمشاهير الذين يقفون أعلى سلم الدخول ، ويأتى بعدها منشآت أصحاب الخمس الأعلى فى سلم الدخول من الأغنياء ، وأخيرا منشآت المديرين من أبناء الطبقة الوسطى. وجميع هذه المنشآت تعكس صورا جمالية مسيطرا عليها بعناية، والكثير منها يزهو بمناظره الطبيعية التى تثير الحسد. ففى بعضها بحيرات ومحميات طبيعية ، والبعض جرى تصميمه للاستفادة من ميزة وقوعه على شاطئ نهر أو على المحيط . وباستثناء الأقدم منها ، فإن مجتمعات المكانة تحرص على توفير مداخل مهيبة وواجهات لافتة للأنظار . وعادة تضيف البوابات أو دوريات الحراسة الجوالة هالة من الخصوصية الإنفرادية . وربما بدا سكانها أكثر اهتماما بمجرد وجود قوة الحراسة ، أكثر من اهتمامهم بما تؤديه من خدمة فعلية ، ففى مجتمعات المكانة يكون " الانطباع " مقدما فى الأهمية على ما عداه ، وتكون بواباتها بمثابة حاجز أمام المكانة .

وللمكانة أهميتها لدى معظم الناس ، سواء كانوا من الطبقة العاملة أم الوسطى أو من الأغنياء ، وإنما تكمن الفوارق فى كيفية تقييم دلالة المكانة وإمكانية بلوغها . فبين الأسر التى يزيد دخلها على مائة ألف دولار سنويا يؤمن النصف تقريبا بأن الحياة فى مجاورة متميزة تعبير عن المكانة أو النجاح ، أما بالنسبة لبالغى الثراء ممن يزيد دخلهم السنوى على ٤٠٠ ألف دولار ، فالحياة بالمجاورة المتميزة أمر مهم فى نظر ستين بالمائة منهم (انظر شكل ٤-١) .[٢]

بيد أن المكانة ومؤشرات الوضع الاجتماعى ليست السبب الوحيد وراء اختيار الأغنياء والطبقة الوسطى المتحركة نحو القمة للمجتمعات المغلقة . فالمجتمعات المغلقة تتيح أيضا الخصوصية والحماية ضد المتسولين والأغراب وكذا التحرر من الخوف إزاء الجريمة . وفى مجتمع يؤدى الخوف المتصاعد فيه من الجريمة إلى تغيير فى أنماط السلوك ، فإن الشعبية المتزايدة للبوابات ليست بالشىء المثير للدهشة .

شكل (٤-١) رموز النجاح : الأشياء التى تعتبر رمزا للمكانة لدى الأسر الأمريكية التى يتراوح دخلها بين ١٠٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠٠ دولار



المصدر : *المدينة والدولة* ، " الثروة فى أمريكا : دراسة فى قيم وسلوكيات الأغنياء المعاصرين " ، ١٩٩٤ .

وقد أبلغنا أحد المخططين من جنوب فلوريدا ، بأن ٩٠ بالمائة من مشروعات الإسكان الجارى إنشاؤها الآن ، تقع خلف شكل أو آخر من البوابات ، وعلى حد تعبيره " فالناس أصبحوا متوترين عصبيا لحد ما ، ومن عانى منهم من جريمة ، أو عرف أحدا مر بهذه المعاناة فإنه يجلس طوال اليوم مثل الدجاج منتظرا أن تسقط السماء على رأسه ".[٣] لكن الأسر فى مجتمعات المكانة تستطيع الحياة داخل مجاورات يندر وقوع الجرائم بها سواء كانت ببوابات أم بدونها. وحتى بدون أى تهديد حقيقى بالعدوان ، فإن البوابات تساعد فى تلطيف الخوف المتخيل من الجريمة العشوائية .

وقد أفادنا أحد المتخصصين فى الشئون العقارية بأن أكثر ما كان يهم عملاءه هو حماية قيمة ممتلكاتهم، وأن الأمن يتوافر عن طريق التشابه فى بنية الجيران والمنازل بالمنشأة. ولأن عملاءه كثيرو الترحال، فإن الأمن الذى توفره البوابات يمثل إغراء لهم .[٤] فغياب الأزواج العاملين لساعات طويلة مع ما قد تقتضيه طبيعة العمل أو

الأجازات من غياب لفترات ، يعنى أن منازلهم ، استثمارهم الرئيسى ، يظل خاليا لفترات طويلة. وتقدم البوابات والحراس تأكيدات مزيفة، فى الغالب ، بأن ملكيتهم مصونة أثناء غيابهم ، وأن الأراضى المشتركة آمنة ، كما تتيح الخصوصية وتحد من مرور السيارات ، وتقف حائلا دون المتسولين ، وتساعد فى خلق مسحة زائدة من السيطرة والعزلة حول منازلهم .

الغنى والشهير ، والغنى فحسب

كان أول المجتمعات المغلقة ، غير العسكرية ، فى الولايات المتحدة ، المجمعات المسورة للمشاهير وبالغى الثراء . وقد وفرت منشآت الصفوة هذه للسكان المكانة والخصوصية من خلال فصلهم ماديا عن المحيط الخارجى ، ومنع دخول الكافة سوى هؤلاء المميزين وضيوفهم . وكان من بينها مجمعات فلوريدا للعطلات لحساب أرستقراطية الساحل الشرقى ، ومجاورات نجوم هوليوود حول لوس أنجليس . وعلى أية حال ، سرعان ما ظهرت وتزايدت بسرعة كبيرة ملاذات جديدة للأغنياء والمشاهير . فهناك على الأقل عشرة آلاف بين نجوم الرياضة يزيد دخل الواحد منهم على المليون دولار سنويا ، يضاف إليهم ألوف المليونيرات الجدد الذين أفرزتهم وول ستريت وصناعة التقنيات العالية خلال الثمانينيات والتسعينيات ، ناهيك بمن دفعت بهم إلى السطح مؤسسات الترفيه والقانون والشركات الكبرى . وهؤلاء الأغنياء الجدد لا يساورهم أدنى حياء بشأن إمكانياتهم . وأكثر من ذلك ، فهم يعيشون بمناطق عديدة ، فالثروة التى كان مألوفا تركزها حول نيويورك ولوس أنجليس امتددت إلى دنيفر ، ودالاس ، ومينيا بوليس ، وسان خوسيه ، وآتلانتا ، وميامى ، وأماكن أخرى كبيرة وصغيرة على اتساع البلاد .

وبالقرب من فنتورا بجنوب كاليفورنيا ، توجد هيدن هيلز ، محل سكنى نجوم السينما والمشاهير من أمثال بو بريدجز ، وتونى أورلاندو وبوب أوبانكس . وقد اندمجت كمدينة مستقلة اعتبارا من عام ١٩٦١ ، وقامت بنقل مجلس المدينة خارج البوابات بقصد الحيلولة دون دخول الغرباء ممن لهم تعاملات مع الإدارة . ويتم نقل اجتماعات مجلس المدينة لكل المنازل عبر الدائرة المغلقة التليفزيونية التى يستخدمها نظام الأمن المرئى بالمدينة . وقد صدر بحق هيدن هيلز حكم قضائى يلزمها بتوفير



□ مجتمع الغنى والشهير : انديان ويلز ، كاليفورنيا

مكان لإسكان محدودى الدخل وفقا لقانون الولاية ، ولكنها ماضية فى المقاومة ، وبلغت فى ذلك حد رفضها إنشاء ملجأ لكبار السن لا يسعى للربح . وأدت المعركة حول إسكان محدودى الدخل ، ضمن أشياء أخرى ، إلى جذب اهتمام الصحافة بهيدن هيلز ، حيث أبدى بعض السكان عدم فهمهم لما يوجه لمدينتهم من انتقادات. وعبر عن ذلك أحد المرشحين لمنصب العمدة حين تساءل .. " لماذا يشعر الناس بالمرارة لا لشئ سوى أن هناك مجتمعا لأناس يعيشون بمنازل مكلفة ويريدون فقط أن ينأوا بأنفسهم عن كل الجرائم وما أشبه المنتشرة بطول المدينة وعرضها " .(٥)

ويدافع أحد كبار مخططى المجتمعات المغلقة فى منطقة دالاس عن الملاذات الغنية بقوله " القضية الأكثر أهمية كما أراها هى أن الناس تريد الإحساس بالمجتمع . وأعتقد أيضا أن للبوابة علاقة بذلك أكثر من علاقتها بالأمن. الأمن جزء من القضية، ولكن الشيء الأساسى هو الرغبة " فى جو المدينة الصغيرة داخل المدينة الكبرى "، وأن يكون المرء جزءا من مجتمع يصادق فيه كل هؤلاء الذين لهم خلفية مماثلة ".

والمنشآت الصغيرة بالغة الثراء والتى تتألف كلية من الأكثر غنى والأكثر شهرة، لا يمكن اختراقها من جانب الغرباء ولا حتى من جانب الباحثين . وعلى كل حال ، فالنموذج الذى نعرضه فيما يلى يصور مستوى عاليا من المجتمعات المغلقة ذات المكانة ، حيث السكان أساسا من المشاهير على المستويين الوطنى والمحلى ، ومن مديرى المؤسسات الكبرى .

جمهورنا ، مدينتنا : كوتن وود فالى ، إيرفنج ، تكساس

كوتن وود فالى أحد المجتمعات المغلقة فى لاس كوليناس المدينة الجديدة فى إيرفنج بولاية تكساس . وإيرفنج ذاتها ليست بالثرية ، فمتوسط الدخل بها يبلغ ٣١٨٠٠ دولارا فى السنة ، وهو ما يزيد بمقدار ٤٥٠٠ دولار عن المتوسط فى مقاطعة دالاس والتى تقع على حدودها ، وأكثر بألف وسبعمائة دولار فحسب عن متوسط الدخل القومى . ورغم ذلك فإن كوتن وود فالى يعتبر من التقسيمات الغنية بها ، ويضم نحو ٣٠٠ منزل فوق تل تحرسه بوابات عليها حراس على مدار الأربع والعشرين ساعة. والمنازل جميعها بالغة الاتساع ولها تأثيرها الذى يفرض نفسه . وكل منها مصمم على حدة ووفقا لطرز معمارية مختلفة، ومحصلة ذلك منفرة لحد ما بسبب اختلاط الطرز الحديثة ذات الواجهات المغطاة بالحجر الصناعى والمتأثرة بعمارة الجنوب الغربى ، مع الطراز الإنجليزى المستعار من الولايات الشمالية بواجهاته المبنية بالطوب . ولكن ذلك يبين أيضا أننا هنا بصدد أناس أثرياء إلى حد رفضهم القبول بمجرد ما هو مقبول فى الضاحية . ويسكن فى كوتن وود فالى عدد من نجوم الرياضة وغيرهم من ذوى الشهرة ، ولكن أغلب سكانها ليسوا من المشاهير، والكثير منهم لا يجد غضاضة فى التنويه بأسماء جيرانهم المعروفين .

التقينا ذات مساء مع مجموعة من سكان كوتن وود فالى فى الصالون الفسيح لمنزل رحب يكسوه الطوب . وكان أغلب الحضور ممن يقضون أكثر الوقت خارج منازلهم ، وبعضهم كانوا أزواجا عاملين خلافا للبعض الآخر ، والأكثرية بينهم من المديرين التنفيذيين لكبرى الشركات . بدت عليهم سمات الثقة بالنفس ، والدقة والأناقة ، ومظاهر الثراء بوضوح ــ وكلهم تقريبا ، رجالا ونساء ، كانوا متحلين بمشغولات ماسية . وأهم من ذلك أنهم كانوا معنيين بمجتمعهم ، فهؤلاء التسعة جميعهم كانوا إما أعضاء عاملين أو سابقين فى مجلس اتحاد الملاك .

ولم يختر أغلبهم كوتن وود فالى ووالاس كوليناس من أجل البوابات ، وإنما بسبب ملاءمة موقعها بجوار المطار ، أو للأثر الذى تخلفه المنازل فى النفس ، وإما بسبب ما يتوقعونه من ضمان قيمة الممتلكات بفضل العقود الصارمة والقواعد والقيود المعمول بها فى المنشأة . وكان اهتمام البعض موجها للمكانة التى تتيحها أسماء الجيران اللامعة ، والسكنى بمجاورة غنية ومميزة . وعلى أية حال فقد قالوا جميعا إنهم ممتنون لوجود البوابات .

هذا، وقد سبق لنحو نصف الأزواج الموجودين فى الغرفة، السكنى فى مجتمعات أخرى مغلقة فى دالاس وغيرها ، ومن بين هؤلاء زوج من الشباب ، بيت وجيم ، وكلاهما يمتهن المحاماة ، عاشا من قبل فى مجتمع مغلق بلاس كوليناس " تركناه وأقمنا فى تجمع مفتوح بأوستن وكنا قد تعودنا على ألا يقترب الناس من باب منزلنا، وعليه قررنا العودة إلى مجتمع مغلق . فالخصوصية والأمان مهمان فعلا لنا ".

وقال آخرون إنهم لم يتطلعوا للمجتمع المغلق بوصفه كذلك ، وإنما لأهمية الأمن بالنسبة لهم . وأكثر السكان من المديرين التنفيذيين الناجحين بالشركات ، وتم نقلهم للعمل فى دالاس حيث عثروا على مجموعة مشابهة من القوم متركزة فى لاس كوليناس يصلحون ليكونوا جيرة لهم . وفى هذا الصدد قالت ليندا ، التى تعمل لدى شركة كبرى .. " فى بوسطن ، ستكون وجها جديدا فى المجتمع ، والناس هناك مهذبون جدا ، ولكنهم هناك منذ مائة وخمسين عاما ، بما يجعل شعورك بالراحة بينهم شيئا صعبا . والأمر بخلاف ذلك تماما هنا ، وربما نكون قد تعرفنا بأناس من نيو انجلند هنا فى لاس كوليناس خلال عامنا الأول أكثر من كل من تعرفنا بهم هناك فى نيو إنجلند ".

وأولئك الذين لم يعيشوا قط فى مجتمع مغلق بمكان آخر ، تعرضوا لأول مرة للبوابات حيث شرعوا فى البحث عن منزل فى دالاس ، ولم يكن الانطباع الذى خلفته عليهم بالشئ الكثير . فيقول أحدهم .. " لم يكن ذلك فى حساباتنا ، ولم تعن (البوابات) أى شىء ، ولا أعتقد أننى كنت أسعى وراء الأمن " . وأضاف بيل ، العضو النشيط بمجلس اتحاد الملاك ، موافقا على ما تقدم .. " توجد فى كافة أنحاء البلاد أماكن تضم منازل جميلة ، وقليلا من المجتمعات السكنية المشتركة ، وساحات جولف ، وقد لا يكون بها بوابات ، ولكنها مجتمعات بكل ما تحمله الكلمة من معنى . لقد عشنا

جميعا فى أماكن كهذه . وعليه ، فإن تقيم بوابة قـــائلا .. " حســنا .. الآن قــد زادت رسوم الاتحاد قليلا كلام ليس له وزن كبير " .

إن الخبرة المتحصلة من الإقامة فى كوتن ودد فالى ، قد غيرت بعــض المواقــف تجاه البوابة . فبسبب موجة من جرائم القتل فى ضاحية نورث دالاس الغنيـــة ، ازداد اقتناع سكان كوتن وود فالى بأنهم يعيشون فيمـــا يشــبه " الواحــة " ، وازداد أيضــا اقتناعهم بأهمية الأمن ، حتى مع انخفــاض معــدل الجريمــة فــى لاس كوليـنـــاس . فانحرافات الأحداث والبلطجة هى فحسب المشاكل المحسوبة على الجريمـــة هنـــاك ، أما الجرائم العنيفة فشبه منعدمة .

التعامل مع " جمهور ما وراء الأسوار "

جاء نفيهم سريعا بأن تكون " واحتهم " منعزلة. والكثير منهم يبذلون نشاطات تطوعيــة ومدنية فى مدينة إيرفنج المحيطة بهم ، من فرقة الموسيقى السيمفونية إلى المستشــفى . غير أنه فى نفس الوقت قال بعضهم إن جيرانهم يميلون لعدم الاتصال بمدينة إيرفنـــج التى تقل ثراء عن لاس كوليناس وتضم نسبة محسوسة من الأقليـــات بيــن ســكانها . وأكثر مبعث للضيق لدى سكان لاس كوليناس هو الســمعة المتدنيــة للمــدارس فــى إيرفنج ، وهو ما يعكسه نتائج الامتحانات ونقص عدد المدرسين الملمين بلغتين .

وتبين أن كل أفراد المجموعة على دراية بموضوع المدارس المحلية ، وبأســـعار السندات والمسائل الضريبية ، رغم أنه ليـــس لأحدهــم طفــل بــالمنزل . ومبعــث اهتمامهم ، هكذا قالوا ، هو أن قيمة ممتلكاتهم تتأثر بالوضع فى إيرفنج ، فضلا عـــن أنهم مازالوا معتمدين على المدينة فى خدمات المطافئ والشرطة والمكتبة وغيرهـــا . وأضاف أفراد المجموعة أنه على الرغم مما عبروا عنه من فهم لمشـــكلات إيرفنـــج واهتمامهم بها ، إلا أن كوتن وود فالى حققت نتائج متواضعة للغاية فى آخر انتخابـــات لمجلس المدينة ، كما يدعون بأن سكان لاس كوليناس ليسوا أكـــثر ولا أقـــل اهتمامـــا بالتصويت عن الآخرين .

إن سكان كوتن وود حساسون للغاية إزاء اتهامهم بالعزلة والانفصاليـــة . ويقـــول بيل .. " سمعت البعض يشيرون إلى جمهور ما وراء الأسوار ويعنون بذلـــك النـــاس خارج البوابة . ولدينا محام هنا يستخدم هذه العبارة طول الوقت ، وقد طلبت منـــه أن

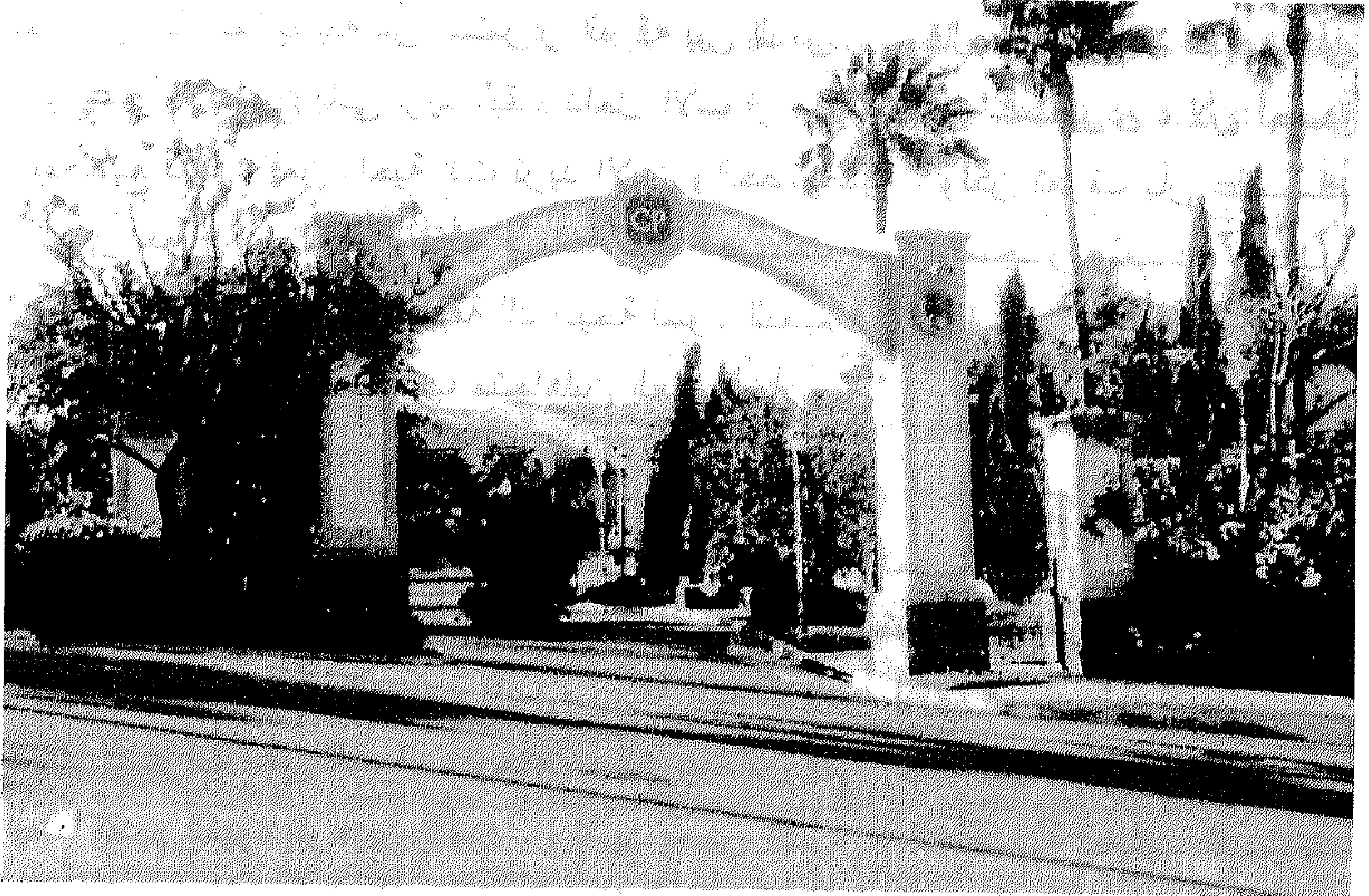
يكف عن ذلك لما يسببه من استمرار الفرقة بين الناس " . وقال جيم .. " لا أحب أن يؤخذ عنى الانطباع بأنى أريد البقاء داخل الأسوار منفصلا عن غيرى ، لأن أحدا لا يستطيع ذلك ، فمن ناحية أنت تريد الأمن والخصوصية ، ولكن تعرف بأن عليك أن تكون جزءا من العالم الأكثر اتساعا . إذا ذهبت إلى المتجر ولقيت واحدا لا يعرف حساب الفكة المستحقة لك نتيجة لسوء التعليم فى المدارس ، فلن تحب ذلك . ليس بامكاننا الحياة هنا فحسب متجاهلين العالم الخارجى ".

المجتمع فى الداخل

والمجتمع داخل المنشأة قضية أخرى . فالتعارف يبدأ ويستمر من خلال الزوجات . وخلق الصداقات وبناء المجتمع يفسره حقيقة أنهم كوافدين لديهم شيء مشترك بينهم . وهناك الدعوات على الشواء ، وحفلات الكريسماس التى ينظمها اتحاد الملاك ، وأيضا تقديم القهوة للوافدين الجدد . وتشهد بعض الشوارع الخاصة أحيانا لقاءات اجتماعية بين السكان المطلين عليها . ولكن تبقى حقيقة أنهم جميعا مشغولون ، كما وأن المعدل المرتفع للتغيير السكانى والناشئ عن التنقل بين رجال الشركات ، يعنى أن العلاقة بين الجيران من الصعب تطويرها والاحتفاظ بها .

ولكن الحقيقة أيضا هى أن المجتمع ليس أكثر ما ينشده هؤلاء الناس من مجاورتهم . فبالنسبة للسكان ، وجلهم نشيطون ومهتمون وقلقون بشأن مستقبل مدينتهم ووطنهم ، فإن كوتن وود فالى تعد واحة . إنها توفر مكونين حاسمين : الأمن والخصوصية ، وإذا أمكن أيضا الحصول على الجيرة ، فخير وبركة ، ولكن حماية نمط الحياة الشخصى وتأمين قيمة الممتلكات يظل أول ما يشغلهم .

ويقول جيم المحامى الناشئ .. " منذ أوائل ١٩٨٤ ، كانت نظرتى للمجتمعات المغلقة أنها شيء ينتمى للمستقبل ، وعندها قلت .. لو توافر لدى المال فسأستثمره فى هذا النوع من المجتمعات . وإنى لأكره أن أقول إن الجريمة مع ذلك تزداد سوءا بدرجة كبيرة ، وهذا مبرر أساسى للقلق ". وإذا كان الأمن هو الحافز للتوجه نحو المجتمعات المغلقة ، فإن الخصوصية مصدر جاذبيتها " ليس بوسعنا منع رنين التليفون فى السادسة مساء ، لكن يمكن منع الناس من دق بابنا لكى يبيعوننا شيئا ما . ذلك جانب من المجتمع المغلق " .



□ مجتمع شريحة العشرين بالمائة الأعلى فى لاجونا نيجل ، كاليفورنيا

مجتمع العشرين بالمائة الأعلى

تنتشر المجتمعات المغلقة للأغنياء بجنوبى كاليفورنيا وفلوريدا ، وتتزايد شعبيتها فى غيرها من أنحاء البلاد . فالملاذات التى تضم منازل غالية الثمن ، بعضها بنى بمواصفات حسب الطلب ، تم عزلها بأسوار تحيط بها . وتسوق هذه المنازل عادة على أساس ما تتيحه من خصوصية ومن مكانة لشاغليها . وفى الغالب تكون تلك المنشآت أصغر حجما عن تلك التى يسكنها من هم أقل ثراء ، إذ قد لا يزيد عدد الوحدات بها على اثنى عشر ، وإن كانت تتجاوز المائة فى بعضها الآخر . وتسند مهمة البوابين أحيانا لحراس الأمن عند البوابات ، فيخطرون أصحاب الشأن بوصول الزائرين ، ويسمحون للخدم ولعمال الحدائق ومقدمى الخدمات بالدخول . ونادرا ما تذكر كراسات التسويق والإعلانات وجود البوابات على وجه التحديد ، وإنما نجد كلمات مثل " الخاص " و " المميز " فى كل مكان بها .

ووجود المجتمعات المغلقة مألوف فى باسيفيك باليسيدز الضاحية الغنية التى تقع على منحدرات مكسوة بالأشجار ، وتطل على المحيط شمالى لوس أنجليس . وقد

تحدث أحد سكان المنشآت الحديثة هناك قائلا : " نحن نعرف أن مكان الحراسة سيبنى هنا ، وهذا واحد من العناصر التى تجعل الأمر أكثر إثارة ، فهى لا تتيح لك الأمن فقط ، وإنما هناك قدر من الوجاهة يلازمها أيضا " .(٦)

ومرت مقاطعة هرناندو القريبة من سانت بيترسبورج بفلوريدا ، برواج فى صناعة بناء المنازل الفخمة بمنتصف الثمانينيات ، فانتقل الأطباء والمحامون والمديرون التنفيذيون للحياة فى تجمعات مغلقة بمنازل مبنية حسب الطلب لتصبح باعثة على التفاخر. وفى منشأة ووترز أوف ويكى واتش ، صرح متحدث باسمها .. " المدخل ذو البوابة ، والأمن طوال الأربع والعشرين ساعة ، والشوارع الخاصة تتمشى كلها مع طابع المنشأة ، وتعتبر لفتة إزاء الثمن الذى دفعه السكان لمنازلهم ". ووفقا لما ذكره مقاول متخصص فى بناء المنازل ذات المواصفات الخاصة فى المجتمعات المغلقة بتلك الناحية ، فإن المشترين يرغبون فى منازل " تعبر بوضوح عن أنفسهم وأسلوب حياتهم " .(٧)

وأصبحت البوابات شيئا مألوفا بضاحية بالتيمور . فجراى روك منشأة جديدة هناك تضم منازل وبيوتا مشتركة، وبها بوابة يقيم عندها الحراس وسور من القضبان الحديدية . والمائتا منزل داخلها يتراوح ثمن الواحد منها بين ١٣٤ ألفا و ٢٦٠ ألف دولار . وقال مدير المبيعات بالمنشأة إن البوابة تعبر عن " إننا مستوى مختلف ، مجتمع متميز ، وأى مجتمع متميز اليوم يجب أن يكون مغلقا وهذا ما يرفع من مستواها " .(٨)

وأحدث تلك المنشآت يجرى بناؤها خارج المناطق الحضرية الكبرى فيما كان سابقا مدنا صغيرة ، وعلى الحافات الخارجية للضواحى الريفية المترفة ، وذلك بأماكن مثل سانتافى ونيو مكسيكو ، بعيدا عن الجريمة وزحام المدن الكبيرة . وهذه المنشآت لطبقة جديدة من المديرين التنفيذيين يتزايد عددها فى مجال ما يسمى " الإدارة المرنة "، حيث أدت ثورة الاتصالات والأشكال الجديدة فى بنية الشركات إلى أن تصبح المؤسسات الأصغر حجما هى القاعدة وليس الاستثناء. وهذه الأماكن يجب أن توفر للطبقة الجديدة قدرا من الجاذبية ومناظر مبهجة مع أفخر مراكز التسوق والمطاعم وإتاحة مراكز ثقافية وترفيهية خارجية. كل ذلك، على حد قول صاحب إحدى الشركات المعنية، تشارلس ليسر، " فى جو المدينة الصغيرة ".(٩)

وسواء كانت في الريف أم الضواحى أو بالضواحى الريفية، فإن مجتمع شريحة العشرين بالمائة الأعلى فى منشآت المكانة ، تخدم أغراض الأعداد المتزايدة من أصحاب المهن الحرة وكبار مديرى الشركات ذوى الأجر المرتفع ، كثيرى التنقل الواعين لمكانتهم. وفى مدينة حديثة جنوبى فلوريدا، قابلنا مجموعة من سكان تقسيمات سكنية مغلقة يعتبرون نموذجا لهذا الاتجاه.

" الفردوس ، ديزنى لاند ، اليوتوبيا " ، ويستون ، فلوريدا

ويستون مدينة حديثة تقع فى أقصى حدود فورت لاودرديل، بنيت مباشرة على يمين حافة إيفر جليدز. وكما هو الحال بالنسبة للمدن الجديدة بكل أنحاء البلاد، فالشوارع متسعة، والمداخل مهيبة، وهندسة المناظر مترفة. وأكثر تقسيماتها مغلقة. وقد تحدثنا مع سكان ثلاث مناطق مغلقة هناك، جميعهم من بالغى الثراء. وكان اللقاء مساء بنادى السباحة فى أحد هذه التقسيمات. وكانوا يرمزون للشريحة العليا من الطبقة الوسطى قاطنة الضواحى. كلهم من البيض، فى الأربعينيات من العمر فما فوق ، حسنو الهندام فى سترات الكاكى والبولو والجولف . وشأن أغلب الناس الناجحين فقد تعودوا أن يقولوا فتسمع كلماتهم. كانوا أصحاب رأى ومدققين ورغم اتفاقهم بوجه عام، فلم يسلم الأمر من مقاطعات بينهم أثناء الحديث.

وكل أعضاء المجموعة يقيمون فى مجتمعات مغلقة بها حراس. والبوابات الألكترونية التى لا يقف الحراس عندها توجد فقط بالمنشآت الأقل حظا من الثراء. ورغم ما يبدو من تمتعهم بأمن مرتفع، فالسكان كلهم واقعيون فى نظرتهم لكم الحماية من الجريمة الذى حققوه بالسكنى فى مجتمع مغلق. وقال هارى أحد أفراد المجموعة من المتقدمين فى السن .. " أحد الأشياء التى تضايقنى ميل الناس إلى افتراض أن البوابة بحراسها تمثل الأمن والحارس ، إنه ليس حارسا ، ليس لدينا حراس مسلحون ، فهو بالتحديد فرد يراقب دخول سيارات غير معروفة لديه ".

ولكن حراس البوابات تمثل عيونا على الطريق ترقب النشاطات المثيرة للشبهة ، وبوسعهم عدم السماح بدخول غير المرخص لهم ، ويمنعون دخول المتطفلين والشحاذين . ويعلق جون أحد الجيران قائلا .. " إنها رادع يحول دون دخول نوعيات من الناس ، ويكون شعورك أفضل لذلك . وفى يومنا هذا ، وفى سننا هذه ، ومع

الكثير جدا من الجرائم ، فإنه شيء يساعدك على الإحساس بالطمأنينة حيث تقيم ، وبقدر أكبر قليلا من الأمان " . وفى الخارج عند نهاية حافة ضاحية برووارد مازالت الجريمة هناك مبعث قلق بعيد . فمعدل جرائم العنف هو الثلث مقارنا بالمنطقة الحضرية الكبرى ، وتمثل السرقات نصفها . ولكن تبقى حقيقة أن أى شخص معرض لأن يكون ضحية جريمة ما . وقد سجل جون واحدا وعشرين حادث سرقة وقعت بمنشأته خلال فترة أسبوعين .

وحتى مع وجود البوابات والحراس والأسوار ، فما يزال الأمن الحقيقى بعيد المنال . وهؤلاء بين سكان المجتمعات المغلقة يسعون وراء أمن مضاعف بقدر شعورهم الدائم بأنهم مستهدفون . وقد استأجرت إحدى المنشآت خبيرا أمنيا سابقا فى وكالة المخابرات المركزية (CIA) من أجل تقييم دفاعاتها ، ونظرا لأن المنشأة متاخمة لساحة جولف ، فقد رأى الخبير أن دوريات إضافية من الحراس لن تفيد ، واقترح بدلا من ذلك دورية " نينجا " تطوف بالساحة فى عربة جولف مجهزة بكشافات قوية .

وتداولت المجموعة حكايات حول الجرائم والحلول المتاحة إزاءها ، ولكن بدا واضحا حرصهم على ألا نأخذ الانطباع بأنهم مبالغون فى التركيز على موضوع الأمن .. " هذه حكومة مدينة ، وفى حكومة المدينة فأنت تلاحظ هذا الموضوع يوميا " . وسواء عولج الموضوع بمعرفة الشرطة المحلية ، أو عن طريق تعاقد اتحاد الملاك مع مؤسسة أمن خاصة ، فستظل الجريمة قضية توحد الجميع .

ورغم البوابات ودوريات الحراسة، فليس الأمن هو أكثر ما يحبب الناس فى محل إقامتهم . فعموما ، السكان يحبون ويستون فحسب ، إنها جميلة ، هادئة ، مخططة بعناية ، وحديثة . وكافة السكان يثمنون عاليا المنظر العام والتصميم العمرانى ، والمستوى الأصيل والنقى لمدينتهم الجديدة. وتحدث واحد من أصغر أفراد المجموعة قائلا .. " لقد ابتاع الناس مفهوما تسويقيا هنا، فلتسمه ما تشاء .. " الفردوس ، ديزنى لاند ، يوتوبيا ". وهى بالفعل تذكر المرء بديزنى لاند ، فتصميمها وصيانتها بلغت حد الكمال ، وكل منظر وفكرة تم تنسيقها والسيطرة عليها، مع حراسة خاصة تتعامل مع أى شخص يخرج على النظام . ويتوقع نصف السكان شيئا قريبا من " جيش " ديزنى لاند ، بملابسه البراقة يلتقط ما يتساقط من أغلفة اللادن وكل ورقة شجر .

ولكن ويستون مكان للإقامة وليست حديقة ملاه . وبعض المنشآت تسعى لخلق مجتمع فى مجاوراتهم الحديثة ، بإقامة الحفلات على أحواض السباحة ، وحفلات الهالوين ، بل واحتفالا بالعيد الوطنى . ولكن ما من أحد يدعى نجاحهم فى خلق هذا المجتمع . وفى واقع الأمر ، فبعض التقسيمات لم تحاول حتى تنظيم نشاطات اجتماعية . وقد ذكرت إحدى السيدات ، من العاملات بنشاط فى مجلس اتحاد الملاك ، أن العديد من السكان غير معنيين بإنشاء المجتمع داخل البوابات .. " فأكثر من قابلت سبق لهم الإقامة فى فلوريدا ، وهناك أغلب أصدقائهم وجمعياتهم ، ونحن نقيم الصداقات هنا مع جيراننا الملاصقين فحسب " . وجدير بالملاحظة أنه فى المنشأة التى عانيت قدرا كبيرا من حوادث السطو ، تم تأسيس جمعية " مراقبة المجاورة " ، وأخذت الصلات الإجتماعية التى نشأت بسببها فى النمو .

وفى كل اتحادات الملاك بالتقسيمات داخل المنشأة ، أفاد السكان أن المشاركة مقصورة على عدد محدود من النشطاء ، فى حين أن الأغلبية لا يتطوعون بأى إسهام فى إدارة مجاورتهم ، ومن الصعب حث الناس على حضور الاجتماعات . وفى نفس الوقت ، قررت ويستون الاندماج كبلدية مستقلة . وكان أغلب من تحدثنا معهم مؤيدين هذا الاتجاه من منطلقين ، أولهما ، أن ويستون تعتبر قطاعا ضرائبيا خاصا تأسس لسداد نفقات البنية الأساسية للمدينة ، ومن ثم يعتقد السكان أن الاندماج سيضاعف من قدرتهم على توجيه حصيلة الضرائب التى يدفعونها .. " إنها أموال ويستون ، ومن حقنا أن نراقب كيفية إنفاقها ". أما المنطلق الثانى فإنه اعتبارا من سنة ٢٠٠١ سيكون المقاول آرفيدا قد فرغ من البناء وانسحب ، ويخشى البعض أنه فى غياب سلطة هيئة عامة قوية وقادرة على المساومة لصالح ويستون ، فسيكونون بلا حول إزاء حكومات الولاية والمقاطعة .

وللحكم الذاتى مشاكله فى ويستون ، فالسكان الجدد يقاومون أو يدعون جهلهم بالقيود المفروضة عليهم بالعقود والقرارات السارية . والموضوعات الخلافية قد تبدو تافهة مثل أماكن انتظار السيارات ، ودرجة حرارة أحواض السباحة ، وسعة شبكات كرة السلة . وجرت مناقشة حامية بأحد التقسيمات حول صرف مبلغ خمسة دولارات من أجل تحديد مكان بعض أحواض الزهور ، وبلغ الأمر أثناء المناقشة لحد الصياح. ولكن الاهتمام ، وهو دائما كذلك ، منصب على " الضرائب " . وهناك أيضا قيمة

الممتلكات والمدى الذى تبلغه اتحادات الملاك لحمايتها من الهبوط . وقد اتفق معظم الحضور مع موقف أحدهم ، يعيش بمنشأة تضم بيوتا مبنية حسب الطلب ، فى رأيه بأنه .. " إذا تعين علينا إرغام الناس على الحفاظ على قيمة عقاراتهم بحيث تستطيع أن تبيع منزلك وتربح ، فهذا شىء رائع " .

الجانب السلبى للبوابات

روى آبرامز من ويستون ، هو صورة هوليوود عن المحامى الشاب الناجح والطموح، حسن المنظر والمتحمس لمعتقداته . لكن روى شىء حقيقى ، لديه الطاقة ، ومخلص ، وجذاب . أدخلنا مكتبه وأشعرنا بالألفة . ويشبه مكتبه مثيله بإحدى الشركات ، فيما عدا شيئين ، المكتب تعمه الفوضى ، والأوراق التى انتشرت فوق الحوائط ، خطابات وجداول مؤتمرات ، وصوره التى يصافح فيها آخرين باعتبار نشاطه فى الحزب الديمقراطى .

وروى فى منتصف عقده الرابع ، ويقيم فى ويستون ، ويمارس المحاماة بالإشتراك مع زوجته حيث يقدمان خدماتهما لاتحادات ملاك مجتمعات مغلقة ومفتوحة ، وللمخططين والمقاولين والبنوك بشأن منشأة فى الناحية . ولم يكن قد شاهد مجتمعا مغلقا قبل مجيئه لفلوريدا . كان يبحث عن الأمن وضمان قيمة ملكيته التى وجدها فى النادى الريفى ويستون هيلز حيث يعيش حاليا ، وهو واحد من مجتمعات الضاحية ذات الأبواب التى يقف عندها الحراس .

ويعرف أن بعض الناس يفكرون بأن الحياة فى مجتمع مغلق قرين على الانتماء للصفوة، وهو اتهام يراه إهانة له .. " أيعنى هذا أن تشعر بالضيق لأنك عملت جاهدا، وشققت طريقك للقمة بغاية الصعوبة ونجحت فى ذلك ؟ هل هذه هى النخبوية ؟ وهل من داع لأشعر بالذنب تجاهها ؟ إننى لا أشعر بذلك . وحين أرجع لمنزلى فإننى أدع جانبا من العالم خارجه ورائى ، ولا أعرف إن كان ثمة خطأ فى ذلك . منزلك هو قدس الأقداس ، وأن تعيش فيه هو حق دستورى مصون لأقصى حد . ويجب تمكينى من دعوة من أشاء لمنزلى أو لمجاورتى أو لشارعى ، إنها مسألة شخصية " .

وبقدر سعادته باختياره العيش خلف البوابات ، فإنه يرى السلبيات . فبشكل ما ، إنهم يخترقون حرمة الخصوصية ذاتها التى يريدون حمايتها ... " أرى بعض

التجاوزات المعقدة هنا ، إلى حد أنه يمكن اعتبارها اعتداء على الخصوصيـة. ففـي كل مرة تعبر البوابة بمفتاحك أو ببطاقتك ، فإن الكمبيوتر يسجل رقمـك الرمـزى ، وحينئذ يعرفون متى جئت ومتى خرجت . وشخصيا فليس لدى مـا أخفيـه ، ولكـن لا أظن أنه من شأن أيا كان معرفة متى أجئ ومتى أذهب ، ولـن أحـب أن يعـرف جيرانى أو اتحاد الملاك شيئا من ذلك ، إننى أجد ذلك عدوانا شخصيا " .

وأكثر من ذلك ، فالبوابات ليست ضمانا للأمن . وقد وقعت عدة سرقات بمنطقـة ويستون ، قام بها لص محترف مر بدراجته ببساطة أمام الحـراس بالبوابـة . كـان أبيض وأنيق وأخذ على أنه أحد المقيمين . وفى التقسيم الذى يقيـم روى فيـه تسـلل أحد اللصوص ليلا باستخدام إحدى القنوات والمجارى المائية المنتشره بتلـك المنطقـة فى جنوب فلوريدا .

ويضيف روى قائلا.. البوابة بشكل ما أكذوبة، يمكنك دائما ، وأكرر دائما اختـراق هذه المجتمعات من عدة مناطق أخرى عبر ساحة الجولف ، أو بقـارب . لا يحتـاج الأمر لعبقرية ذهنية لأن هذه المجتمعات تفتقر للحراسة الجيدة باستثناء البوابـة التـى يقف عندها الحراس ، وفى بعض المجتمعات دوريـات جوالـة ولكنـها أضحوكـة بالفعل ، فأنت تراهم مرة كل خمس وأربعين دقيقة . وأى شخص يفـهم عملـه قـادر على إختراق هذه المجتمعات . وأزعم أن البوابات المشمولة بالحراسة لها مخاطرهـا بقدر ما تعطى من إحساس زائف بالأمن . ودائما أنصح الناس بأن عليهم أن يعرفـوا أن البوابات ذات الحرس ليست بما توحيه من مشاعر أو بمظهرها . فالنـاس لديـهم هذا الإنطباع بأنها تحول دون دخول العالم الخارجى إليهم ".

وبالإضافة لما رآه روى بأن البوابات لا تضمن تلقائيا الخصوصية الحقة والأمـن، فإنه يعتقد أنها لم تخلق أيضا المجتمع الحق ..." ذهبنا ، زوجتى وأنا ، للحفل السـنوى بمناسبة الكريسماس فى النادى الريفى بويستون هيلز ، وأدركنا أنه باستثناء معارفنـا ، فلم يكن الحاضرون يمثلون تلك المجموعة المترابطة التى تدفعك للتحرك نحوها ملقيـا التحية . لم أفعل ذلك ، وهم بالتأكيد لم يفعلوا ، فلم يكـن الحـافز لذلـك موجـودا . والطريف أن الطاولات وزعت وفقا للمجاورات ، ولم يكن ذلك مقصـودا، غـير أن الناس فرزوا أنفسهم على هذا الأساس بصورة جعلت من نصيب شارعنا طـاولتين ، وكان الأمر بالفعل شيئا مضحكا .

ضاحية المديرين ماربل هيد ، سان كليمنت ، كاليفورنيا

حين تدخل المجتمع المغلق ماربل هيد ، فكأنك تدخل عالم الأحلام ، حلم السيد المدير أمريكا وقرينته . إنهم يريدون مدارس جيدة ، ومنازل لطيفة ، وشوارع يلعب فيها الأطفال ، وجيرة حميمة . وماربل هيد ذلك كله بالتأكيد ، مكان جيد ، لتحيا فيه . وليس بها شيء من مظاهر الخيلاء المعهودة بالمنتجعات المتميزة فى بالم سبرنجز . فالمنازل رغم اتساعها تشغل حيزا صغيرا من الأرض . إنها مشروع إسكانى بالضواحى للشرائح العليا من الطبقة الوسطى ، يبدو مثل أى بقعة أخرى بأى مكان آخر ، باستثناء وجود البوابة والحراس عليها .

كان لقاؤنا بمنزل السيد ميل رئيس اتحاد الملاك ، الذى يقع على قمة تل ليتيح منظرا يأخذ بمجامع القلوب للمحيط الهادى ومدينة سان كليمنت التى كانت وادعة يوما ما ، والأمواج المتكسرة على شاطئها . والسيد ميل ضخم البنية ذو صوت قوى وملامح تنم عن الطيبة. وبأسلوبه الودود والصريح شرح لنا أنه قام بترشيح نفسه للمنصب بدافع الرغبة فى العناية بالمجموع وأن تسمع آراءه .

وكانت المجموعة التى التقينا بها فى الفناء الخلفى بمنزل ميل متنوعة نسبيا ، فكان هناك إيد ضابط الشرطة من لوس أنجليس وعقيد ، ومسئول متقاعد بمجلس المدينة ، وإستشارى حكومى ، وجيم من قدامى السكان ويمتلك أيضا منزلا فى بالم سبرنجز . وكانت باربرا زوجة ميل الجديدة حاضرة أيضا ، وكذلك آنا المدرسة المتقاعدة من سان كلمينت . وكان الجميع يعرفون بعضهم بشكل كاف ، لأنهم كانوا أو ما زالوا أعضاء باتحاد ملاك محلتهم .

وقد أوضحوا أن ماربل هيد ليست أكثر حميمية ، ولا مجتمعية ، ولا أمانا ، من أى منشأة أخرى بالضاحية .. " مثلها مثل أى مكان آخر ". وأغلب هؤلاء قد جاءوا ، فيما يبدو ، لهذا المكان بطريق الصدفة ، حيث عثروا على التقسيم وابتاعوا منزلا فيه من أجل منظر المحيط . وقد سبق لميل أن أقام فى مجتمع مغلق به الحراس والدوريات الأمنية المكثفة ، ولم يرق له ذلك على الإطلاق . لقد اشترى منزله من أجل المنظر ولم يلاحظ حتى أن البوابات كانت جزءا من خطة البناء . وكان ، على حد تعبيره ، ضمن المهاجرين من لوس أنجليس ..." لكم أكره لوس أنجليس ، لن

أعيش هناك مطلقا من جديد "، وجفلت زوجته من هذا التعليق ، ثم شرعت فـي قـول شيء دفاعا عن لوس انجليس ، لكن ميل رمقها بنظرة أسكتتها .

أما إيد ضابط الشرطة ، فقد عثر على ماربل هيد أثناء مطاردته لبعض الأشـقياء . وكان يفكر فى ترك المجاورة التى عاش بها لسنوات عديدة لعـدم ارتياحـه إزاء مـا لاحظه عن العصابات وتدهور الخدمات . كان يريد الخروج ثم وجد ماربل هيد ، ولـم تكن البوابة ما جعلت إيد يشعر بكون ماربل هيد أكثر أمانا ، وإنما جاءه هذا الانطبـاع بسبب بعدها عن المشكلات المتفاقمة التى رآها فى كل مكان أخر .. " البوابة لا تعنـى شيئا ، وإذا كان المجتمع المحيط بها يعانى من مشكلة ، فالمجتمع المغلق سيعانى منـها أيضا . ولم يعترض على قوله أحد من الحضور . ولم يكن أحد بينـهم يشـعر بـأن البوابة ضمن الملامح ذات الشأن فى المنشأة ، وإن اعترفوا بأن وجودها يضفى شـيئا من المكانة للمنشأة ، وإن كان ذلك لايعنى كثيرا. إن منظر المحيط أهـم بكثـير جـدا من البوابة .

البوابات كرمز للمكانة

ليست هذه المجموعة من السكان وحدها فى ماربل هيد هى التـى تقلـل مـن أهميـة البوابات بالنسبة للأمن . فحراس البوابات مسترخون ، يراقبون ويبطئون فحسب مـن حركة المرور ، وما من أحد يبدى استعدادا لدفع كلفة تحسين مستوى الأمن . وشـأنها شأن المجتمعات المفتوحة ، فقد حدث بالمجاورة عدة سرقات وغيرها مـن التعديـات البسيطة . ويقول جيم .." نحن نعيش فى مجتمع يتحكم بالمرور ، وليس فـي مجتمـع آمن " .

وتضفى البوابات على المنطقة مكانة تبدو جذابة بالنسـبة للمديريـن الجـدد مـن الشباب . وهذا ما يراه العقيد ، ولكن ذلك لا يرقى لأن يؤثر بشـكل محسـوس علـى قيمة الممتلكات ولكن البوابات مفيدة أيضا فى إقصاء الشحاذين ومنع بعـض أشـكال الجريمة البسيطة .

وكما هو الحال فى معظم مناطق الضواحى ، فإن سأم المراهقين يشكل المصـدر الرئيسى للجريمة . ولكنها ليست مشكلة محلية تماما فى ماربل هيد . فهناك عصابـات من سان كليمنت وجدت طريقها لماربل هيد . ويقول إيد فى هذا الصدد .. " أعضـاء

العصابة يأتون مع الأولاد الذين يسكنون هنا ، لقد رأيتهم ، وسأراهن على أن آباءهم يجهلون انتماءهم للعصابة " . وقد تفاقمت المشكلة بعد إنشاء حديقة جديدة خارج البوابة مباشرة ، إذ يجتمع المراهقون هناك ، وقد هدموا جانبا من السور الذى يفصلها عن المنشأة ليدخلوها.

ويضيف إيد إن الأولاد يرون فى البوابة " شر لا يمكن احتماله " ، وذلك لأنها لا تلائم تحركاتهم جيئة وذهابا، وكذلك بالنسبة لرفاقهم من ماربل هيد والمجتمعات المغلقة المجاورة . فالمدرسة والأنشطة الرياضية والأصدقاء ، كلها تقع فى الجانب الأخر من السور . وتمثل البوابات حاجزا بينهم وبين بقية العالم .

وبدورهم ، أفاد الأكبر سنا أنهم أيضا لديهم صلات خارج البوابة أكثر منها داخلها . فالكثير من المديرين يعملون على مسافة ساعتين أو ثلاث ساعات بوسط مدينتى سان دييجو أو لوس أنجليس ، كما أن أصدقاءهم واتصالاتهم الاجتماعية غير مرتبطة بحدود ماربل هيد ، والقليل بينهم لديه الوقت للاتصال بجيرانه والتعرف عليهم .

ويرجع بعض السبب فى غياب هذا الترابط فى ماربل هيد إلى عدم وجود مركز اجتماعى أو مكان يسمح بلقاءات عامة فى المنشأة . وقد حاول جيم مرة أن يوفر قطعة أرض يقام عليها مبنى إجتماعى لكن المخطط رفض ذلك . ونظرا لقلة الدعم أو الحماس من قبل الجيران ، فقد صرف جيم النظر عن الفكرة.

وهناك عدد قليل من الناس بنفس القدر من الاهتمام الذى يبديه ميل فى اتحاد ملاك ماربل هيد . ويعتبر ميل الاتحاد جزءا مهما فى حياته الشخصية ، ولكنه يدرك أنه لا يعنى الكثير بالنسبة لجيرانه ، الذين يشعرون بالرغبة فى الإسهام بالجهد حين يجد ما يستدعى شكواهم فحسب . ويقول إيد فى هذا الخصوص .. " التقسيم يتألف غالبا من مواطنين غائبين يخرجون ويرجعون لبيوتهم فى الظلام " . وعليه ، فاتحاد الملاك ضعيف نسبيا ووجوده ثانوى فى ماربل هيد . وهناك مشاحنات تتعلق بارتفاع الأشجار وغير ذلك من خلافات مألوفة بالتقسيمات ، لكن أكثر المشكلات سخونة ولا تزال عاجزة عن جذب مشاركة أو حتى اهتمام أكبر ، تتعلق بالسرعة الزائدة وسلامة السكان وذلك لعدم وجود علامات " قف " المرورية .

الشوارع الآمنة

بينما كنا نعبر المنشأة فى سيارة ميل البيك أب القوية ، جذبنا اهتمام وفى نفس الوقت امتعاض مجموعة من الأمهات الشابات كن يداعبن أطفالهن على الرصيف ومسار الدراجات عليه .. وقد هتفن فى صوت واحد .." أبطئ " ، لكن ميل استمر فى طريقه بالشارع المتسع دون أى اعتبار لما قيل .

وأثناء العودة من ذات الطريق ، نزل ميل من سيارته وتحدث إلى أولئك النسوة.. سألهن إن كن على استعداد للخدمة فى لجنة الأمن فردت إحداهن مستخدمة جوارحها لتأكيد ما تقول وهو أنها حضرت مرة إجتماعا لمجلس الاتحاد وانتهت منه إلى أنه " لايفعل الكثير " . أما الأخريات فلم يكن حريصات للتطوع ، وقلن أنهن مشغولات كثيرا بالفعل بسبب المدارس وارتباطات أخرى ، ولم يكن ذلك صادرا عن قناعة كافية ، لكن ميل قرر عدم الضغط عليهن واكتفى بقوله.. " إذا أردتن تهدئة المرور فينبغى أن تتحركن " .

ويبدو حقيقيا أنه مع وجود البوابة ، فالشوارع فى ماربل هيد ليست آمنة . ولأن أفنية المنازل صغيرة ، يتجه الأطفال إلى اللعب فى الشوارع . لكن الشوارع المتسعة صممت لتسمح بالسرعة وليس من أجل الأولاد . وتنبأت أنا.. " يوما ما ، سيقتل أحدهم على تلك الشوارع " .

وأيا كان الأمر ، فالأخطار على شوارع ماربل هيد مختلفة تماما عن مخاطر الشوارع بالمدن والتى تخشاها الأمهات هناك بشكل أكبر. إنهن لم يقطعن المسافة إلى تقسيمات مغلقة بالضواحى هربا من المرور . ولكن مع وجود العصابات على مقربة، ومع نفاذ الجريمة عبر الثغرات فى الأسوار ، فقد لا يمر وقت طويل حتى تنال هذه الشرنقة الصغيرة حصتها من المشكلات القائمة خارج أسوارها . وكما قال أحدهم فى المجموعة .. " يمكنك أن تهرب ، ولكن لا يمكنك الاختفاء ". واكتفى ميل بالابتسام .

مجتمعات المديرين

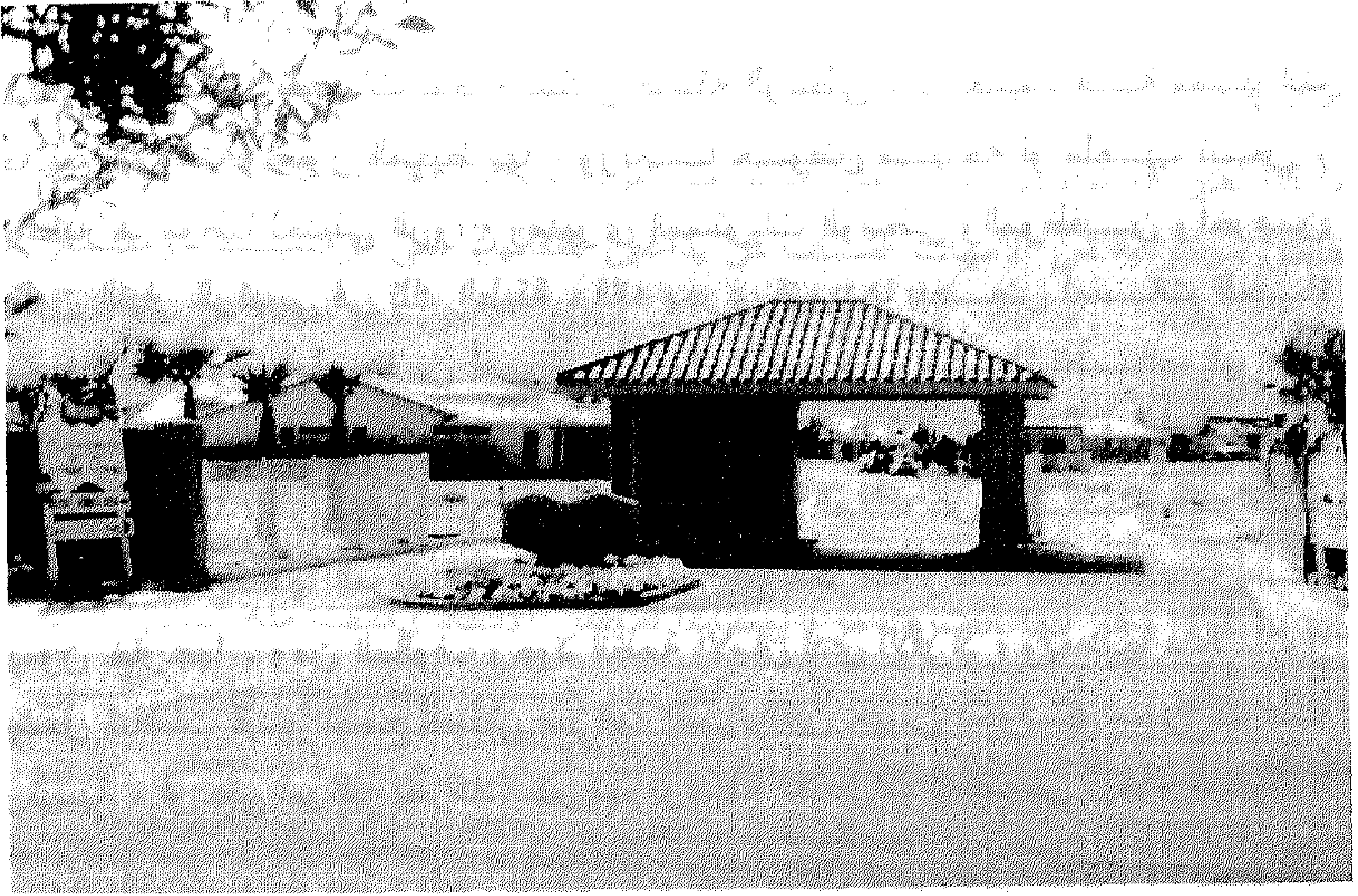
أصبحت المنشآت السكنية المغلقة متاحة الآن للطبقة الوسطى كلها. ويتم تسويقها على أنها مجتمعات " المديرين " و " أصحاب المهن " من قبل المخططين ، رغم أنها فى

حقيقة الأمر مجرد تقسيمات نمطية لسكنى الطبقة الوسطى ، لا تضيف أيـــة ممـــيزات بخلاف البوابات والسور المحيط بها ، وربمـــا حـــوض ســباحة أو ملعـــب تنـــس . وباعتبارها موطنا لحديثي الزواج ومديرى المستويات الوسطى والموظفيـــن وآخريـــن يمثلون التيار الرئيسى فى تلك الطبقة ، فإنه يجرى تزويدها ببعـــض لمســات الحيـــاة المتميزة لترضى من ليسوا من أصحاب الدخول المتميزة . وهكـــذا تضـــاف البوابـــة الالكترونية لبعض التقسيمات ، وبيوت الحراس على البوابة الرئيســـية فـــى البعـــض الآخر . وأحيانا ، ورغم ما تقدم ، فقد تعجز اتحادات الملاك عن اســـتئجار الحراســـة الخاصة بسبب تكلفتها المرتفعة ، وعندها يظل بيت الحراسة رادعا نفسيا فحسب لمـــن يقيمون خارجها . ومن المألوف وجود أنظمة الأمان لدى الأفراد ، وبعضها متطـــور ويشمل شاشات فيديو تسمح للسكان بمراقبة الســـائقين حيـــن دخولـــهم مـــن البوابـــة الرئيسية ، أو حتى لمراقبة تحركات جيرانهم بواسطة الكاميرات المثبتة في أرجاء المنشأة.

وقد أنشئت يونيفرسيتى بليس بإحدى ضواحى سانت لويس وفى الذهن أن يجـــرى تسويقها لنفس النوعية . وهى منشأة ذات كثافة سكنية مرتفعة تضم نحو مائـــة مـــنزل على نسق منازل المدن وبيوت مستقلة للأسرة . ويتراوح ثمـــن الوحـــدة بيـــن ١٧٠ و ٢٣٥ ألف دولار بأسعـــار عـــام ١٩٨٩. وتفتقر يونيفرســـيتى بليـــس للمســـاحات الخضراء عدا القليل منها ، كما يوجد بها مكان مخصص للعب الأطفال . وبـــالنقيض لهذه الميزات المتواضعة نحو العائلات الصغيرة التى عقد المخططون آمالـــهم علـــى جذبها ، فإن المدخل الرئيسى للتقسيم يتباهى ببوابته والنصب الضخم معا .(١٠)

أما ماجدالين ريزيرف ، المنشآة الصغيرة التى تضم تسعا وثلاثون وحـــدة وتقـــع بالقرب من تامبا بفلوريدا ، فقد حصلت على شهادات تقدير بسبب تصميمها الذى أبقـــى على الكثير من الأشجار القائمة ، وترك المساحات المشتركة بحالتها الطبيعية . وقـــد بيعت المنازل هناك بثمن يتراوح بين ١٥٠ و٢٥٠ ألـــف دولار فـــى عـــام ١٩٩١ . وتعتبر الغابة كخلفية للمنشأة جزءا من الجاذبية لدى السكان ، ونفس الشـــىء يصـــدق على البوابة .. " فالبوابة تغلق مساء ويشعرك هذا بالحرية فى أن تتجـــول بالمكـــان ، والناس تغادر بيوتها وترى ما يفعله جيرانهم، إن ذلك باعث على الرضا حقيقة ".(١١)

وتعتبر منشآت المديرين مألوفة لحد كبير بجنوبى كاليفورنيا أيضا . وإحداهـــا ، ستيج كوتـش سبرنجز، صممت عام ١٩٩٣ لتقوم على واد يبعد ستين ميلا شرقى سان



□ مجتمع مغلق للمديرين التنفيذيين ، مونت سيتو ، بالم ديزرت ــ كاليفورنيا

دييجو ، ولتسوعب أربعة وثمانين منزلا على مساحة ٧٥٥ فدانا ، ومتخطية بمسافة كافية منشأة أخرى بالضاحية . وقد قدر المخطط ثمن المنزل الذى تقل مساحته عن ألفى قدم مربع بمبلغ يتراوح بين ١٤٠ و ١٧٠ ألف دولار . وقد صممت ستيج كوتش سبرنجز لتكون " مجتمعا آمنا جدا " بسبب بواباتها ، وكذلك .. " مكانا مناسبا فى الريف للأسر ذات الدخل المتوسط " .(١٢)

لم يعد بوسع العمال الإعتماد على قضاء حياتهم العملية بنفس المؤسسة. إن إعادة بناء الاقتصاد انطوى على تشجيع الدخل المزدوج للأسرة ، وتعدد جهات العمل والوظائف ، وحتى تعدد المهن ، خلال حياة الفرد . والواقع الاقتصادى الجديد لسوق العمل يجد صداه عند اختيار المنزل . فالبيت يجب أن يستجيب لوظيفة الأسرة ومحل العمل معا . فيجب أن يوفر وسائل مواصلات محتملة لزوج من العاملين بأماكن نائية فى الحضر ، ويجب أن يكون المنزل قابلا للتسويق سهل المبيع ومؤمنا وقت انخفاض القوة الشرائية ، ويجب أخيرا أن يتيح الأمن لحماية ما بداخله خاصة فى ظروف غياب كلا الزوجين طوال اليوم . وقد زرنا نموذجين لهذا النوع من يوتوبيا الدخل المتوسط ، إحداها بفلوريدا والأخرى جنوبى كاليفورنيا .

مكان للأسرة : جاكراندا بوينت ، بلانتيشن ، فلوريدا

جاكراندا بوينت مجتمع مغلق يضم ١٣٦ وحدة بإحدى ضواحى فورت لاودرديل . وقد بنيت فى بداية التسعينيات كمحل لسكنى الأسر الصغيرة وبعض العزاب . والمساكن متواضعة تشبه غيرها بالعديد من المنشآت التى تقطنها الطبقة الوسطى مع الاستثناء الوحيد بأنها داخل سور حديدى وعليها حراسة مسلحة. ومنازلها الصغيرة بواجهاتها من الحجر الصناعى أشبه بالجراجات ، فى حين تقف السيارات على ممرات مداخلها . أما الأفنية الخلفية فصغيرة ، ولا توجد سوى قلة من المساحات المشتركة . وكانت مجموعة السكان الذين تحدثنا معهم ودودين ، متفتحين ، ومتحمسين للحديث عن منشآتهم . وقد ضمت المجموعة رجلا أعزب يعمل بالتجارة وبعض الأزواج : ضابط شرطة وزوجته المدرسة ، ورجل أعمال فى قطاع الاتصالات وزوجته مقاولة بناء المنازل ، وزوج من الموظفين بميامى . وقدم مضيفنا الشطائر والمشروبات الغازية بينما تناثرت المجموعة فى ملابس الجينز وقد بدا عليها الإرهاق من عمل اليوم . واصطحب بعضهم أطفاله الذين كان صوتهم مسموعا ، ويمكن مشاهدتهم أحيانا يلعبون خلف المنزل .

ويرى سكان جاكراندا فى مجاورتهم أنها أكثر أمانا من كثير غيرها ، وأنه بوسع أطفالهم اللهو بعيدا عن أخطار المرور . وينبغى أن يكون الأمر كذلك ، فمعدل جرائم العنف بضاحيتهم بلانتيشن يتراوح بين نصف وثلثى مثيله فى المنطقة الحضرية لفورت لاودرديل ككل ، وأقل من الربع مقارنا بالمدينة ذاتها .

ورغم الهدوء والسكينة اللذين يعمان المجاورة ، فإن ما هو أكثر إيجابية فى المنشأة ، كما يراه السكان ، هو المزايا التى تتيحها البوابة . فهى المسؤولة عن الهدوء بجاكراندا بوينت والرادع لحد ما ضد الجريمة .. " بوسعك المشى وحيدا ليلا " . " لن تصدق كم هى هادئة ، شيء جميل " . لم تقع عندنا أية جرائم على الإطلاق ". وعموما، ورغم ذلك فقد كانوا أقل اندفاعا بكثير فى تقديرهم لمجاورتهم، وعبروا عن اختلافات فى الرؤى أكثر من المجموعات الأخرى التى تحدثوا إلينا ، رغم حقيقة أن المشاكل التى أشاروا إليها ليست مختلفة عنها بأى مكان آخر .

وقد تسببت البوابة بحد ذاتها فى الكثير من خيبة الأمل . فهى تعمل بنظام المفتاح البطاقة الرخيص نسبيا ، ورغم وجود بيت للحراس فلم يتم استخدامهم . وتكون

البوابة عرضة للتلف إذا اقتحمها أحدهم ببساطة محطما الذراع الميكانيكية. وقد فصل الأولاد المحليين التيار عنها ورفعوا التليفون من مكانه ، وعمد المراهقون المخربون بينهم لتحطيم نوافذ بيت الحراسة الزجاجية ببنادق ضغط الهواء . ورغم ذلك فإن السكان سعداء ببوابتهم وباستمرارها فى الوجود وبوجه خاص لأثرها على حركة المرور ..." قد لا تعوق المجرمين بالفعل ، ولكنها تمنع أصحابنا الشبان من السير بسرعة ." وهذا هو المكسب الرئيسى لتلك الأسر الصغيرة لحماية أطفالهم من الخطر .

الحكم الذاتى

وكما حدث فى معظم منشآت الضواحى الأخرى التى قمنا بزيارتها ، سرعان ما أثار موضوع القواعد واللوائح مناقشة حامية . فالعقود والقيود والشروط السارية رأى البعض فيها مبالغة تقيد من الحريات ، ورآها البعض تحكمية وتطفلية . وباعتبار مجلس اتحاد الملاك الجهة المسؤولة عن تكييف وتطبيق القواعد ، فليس مستغربا أن يصبح الحكم الذاتى مجالا مشحونا بالشكاوى والانقسامات . وقد ذكر أحد الحضور بامتعاض .. " لقد انسحبت منذ ثلاثة أو أربعة شهور بسبب عدم استطاعتى ببساطة تحمل المزيد من الجدل ، ما من شيء يمكن انجازه ".

ولم يكن وحيدا فى هذا الموقف . فبسبب نقص المشاركة حلت جميع اللجان ، وأصبح من المعتاد ألا يتقدم للمقعد الخالى بالمجلس أكثر من مرشح واحد . وفكر البعض فى محاولة تغيير القواعد التى تحظر الأراجيح وحلقات شباك كرة السلة ولكن لم يتأكدوا من كيفية التوصل لذلك ، فأوقفوا المحاولة . وحين وصف أحدهم مدى مشاركة أغلب السكان بأنها .. " تجاهل نشيط " ، لم يعلق أحد .

البحث عن مجتمع

كان أكثر أفراد المجموعة تعاسة إمرأة من لونج آيلاند جاءت متوقعة أن يكون هذا المجتمع المغلق الصغير مكانا ودودا يسهل فيه الاتصال بين الجيران .. " ولكننى لم أجد الناس ودودين بشكل كاف ، وهم يبقون فى منازلهم فحسب ، لقد كانت توقعاتنا مختلفة ، ومع وجود حوض سباحة مشترك كان الافتراض أن الناس سيكونون أكثر

ترابطا فى رقعة صغيرة كهذه ، لكن لم يكن الأمر على هذا النحو ، ومع أنه مجتمع شاب إلا أن فيه كثيرا من الشد والجذب والجدال " .

تقوم علاقات الجوار الموجودة فى التقسيم ، بين السكان القاطنين بنفس الشارع المسدود أو من اعتاد أطفالهم اللعب معا ، وهو ما يحدث فى معظم المجاورات . وقد بذلت بعض المحاولات بإقامة الحفلات والمناسبات الاجتماعية ، لكن يستجيب للدعوة السكان المعروفين فيما بينهم من خلال وجود أطفالهم حول حوض السباحة .

وتنوى السيدة المكتئبة الانتقال لمدينة صغيرة على جبال يوتاه ، ويرغب أحد الموظفين فى الرحيل بدوره ولكنه يعتقد أن ميزانيته لن تتحمل ذلك . وكان باقى المجموعة سعداء بالبقاء . صحيح أن لديهم ما يشكونه بشأن خدمات الصيانة للمنظر العام ، وحول تصرفات بعض المراهقين ، ومستوى المنازل الجديدة ، وما يبديه السكان من لامبالاة ، ثم المشاكل التى يعانيها اتحاد الملاك ، بيد أنهم سيواجهون نفس هذه الشكاوى فى أى مكان آخر . وبوصفهم أناسا واقعيين وعمليين ، فإنهم لايبالون كثيرا وينظرون للأمر باعتبار أن التقسيم حديث ، إضافة إلى أنه .." لا شىء يبلغ حد الكمال ". ومع ذلك فكلهم سلموا بأنهم توقعوا شيئا اقرب للكمال عما وجدوا .

شواطئ آمنة : ياخت هافن ، نيوبورت بيتش ، كاليفورنيا

ياخت هافن تقسيم قديم مغلق فى ضواحى مقاطعة أورانج بلوس أنجليس . ورغم أنها لاتقع على الشاطئ إلا أنها تحمل دلالة بحرية واضحة ، فشوارعها تحمل أسماء مثل " لفاف اليخت " و " ميناء اليخت " . ويعيش السيد دين وزوجته بمنزل مريح ومؤثث جيدا داخل الأسوار . وهما فى الأربعينيات من العمر . ودين رجل ملتحى تزوج حديثا من زوجته التى يحلو لها التجول حافية القدمين بالمنزل فى بنطلون من الجينز . وقد عاش الزوج الذى يعمل بمكتب لتجارة العقارات، فى ياخت هافن منذ سبعة عشر عاما ، أى منذ إنشاء المجتمع المغلق عام ١٩٧٧ . ويقول إنه أعجب بالتخطيط وبالبوابة .." فلنقلها بصراحة .. كرمز للمكانة الإجتماعية ". كما أن الأمن على مدار الأربع والعشرين ساعة تمثل إضافة لتميز المكان . ويزعم السيد دين أن البوابة لم تقم كمعلم للمكانة فحسب ، وإنما أيضا كأداة للتعامل مع واقع وجود الطريق الرئيسى

غربى المنشأة . وأثناء تأملاته حول البوابة قال .." ليس لدينا فى الواقع مجتمع مغلق به حراسة ، ولكن مجتمع المرور به تحت السيطرة ".

وتتشكك أسرة دين فى أن يكون للبوابة وزن كبير عند اتخاذ السكان الجدد قرارهم بالشراء . وتأكيدا لذلك يشيران إلى منشأة قريبة أكبر حجما " هاربر فيو " بها نفس مستوى السكان دون أن يتوافر بها ثمة حراسة أو بوابات على الاطلاق . وتضيف السيدة بأنه رغم ذلك فسكان هاربر فيو ممتعضون إزاء البوابات فى ياخت هافن، وأن هذه المشاعر القبيحة تمتد حتى لأطفالهم المعروف عنهم نبذهم لأطفال ياخت هافن .

وتذكر السيدة دين أيضا أن أحدث المنشآت التى رأتها قد لجأت لإنشاء البوابات وفرض الحراسة .." إنه أسلوب بناء المنشآت هنا ". فالبوابة ذات الحراسة تبدو منتجا جيد التسويق ، هذا مع اعترافهم بأن بوابة الحراسة بمنشأتهم لاتعود عليهم بنفع يذكر اللهم إلا تعزيزها إمكانية زيادة قيمة الملكية .

السلامة أولا

هناك حارس دائما على البوابة الرئيسية ، نقطة الدخول الرسمية الوحيدة . وهناك بوابات أخرى غير مشمولة بالحراسة على طول الشارع الرئيسى ، وهذه الأخيرة مخصصة للسيارت الخارجة فحسب وإن كان بوسع المشاة استخدامها ، وكذلك أصحاب الحاجة والباعة الجائلين وغيرهم . وتحرص السيدة دين على ألا تترك أطفالها وحدهم فى الشارع لأن البوابات ليست آمنة حقا.. " إنها تعطى أمنا زائفا ، ولكنها فى الحقيقة ليست آمنة على الإطلاق ". وهى ليست وحدها عند هذا الرأى ، فقليل هم الأطفال الذين يلهون بالشارع دون رقابة آبائهم المباشرة .

وأمن المنشأة هو الشغل الشاغل لكل السكان . ويحكى السيد دين عن حادث مروع وقع بمجتمع مغلق مجاور به فتحات ضيقة للمشاة مثل ما عليه الحال فى ياخت هافن ، إذ أن حادث سرقة خارج المنشأة خرج عن سيطرة المجرمين الذين فروا داخل المجتمع المغلق واحتفظوا برهينة هناك . ولقد وقعت بعض أحداث البلطجة فى ياخت هافن، ورغم أنها لم تكن خطيرة بحد ذاتها إلا أن ما خلفته من قلق يرجع إلى أن مرتكبيها فيما يبدو من داخل المجاورة . ويدرك اتحاد الملاك أن المشكلة

الرئيسية هى ما ينتاب شباب التقسيم من سأم . وتعلق السيدة دين قائلة إن الاتحـــاد .. " غير قادر أو غير راغب فى مناقشة الأمر ".

ويجرى حاليا نقاش داخل المنشأة حول إعادة تصميم البوابات ليس بغرض إدخـال المزيد من وسائل الأمن المعقدة ، حيث إن التصميم المقـترح تجميلـي تمامـا بغيـة الحفاظ على المظهر. وعلى حين يرى المعترضون أن الجدوى ضئيلة بالنسبة للتكلفـة، فإن المخططين وبعض السكان يؤمنون بأن شكل البوابة يؤثر على قيمة الممتلكات .

وإذا كان ثمة مجتمع داخل أسوار ياخت هافن ، فبالأحرى أن يكون قدامى السـكان مثل آل دين جزءا منه . بيد أنهما يشعران بأنه توجد علاقة اقتصاديـة فحسـب بيـن الجيران . فالبوابة لاتؤدى، فى نظرهما، إلى زيادة التقارب بين الناس . وهناك حمـام سباحة يجمع بين الناس فى الصيف ، ولكن على حد قول آل دين " نحن نرى النـاس حول حوض السباحة أثناء الصيف ، ثم لا نراهم ثانية حتى العـام القـادم ". والأولاد لا يلعبون معا حتى أولئك الذين يعيشون على مقربة من بعضهم البعض . ونتيجة ذلـك فمعظم المشاركات تتم من خلال جمعيات خارجية مثل أندية كرة القدم . والناس تلتقـى خلال مجموعات اللعب ، والحدائق ووسائل أخرى ومنزلهم لا يعدو كونه عنوانا .

وليس بالمنشأة مكان للقاء سوى حوض السباحة . وهذا الموضـوع كـان قضيـة محورية باجتماعات مجلس اتحاد الملاك خلال السنوات الأخـيرة . فبعـض السـكان يعترفون بأن الأسوار والبوابات غير كافية بحد ذاتها لايجاد الترابط داخل المجـاورة ، وأن الأمر بحاجة للمزيد ، فحديقة مثلا أو مركز ترفيهى قد يسفر عن فـارق كبـير . لكن القوة الدافعة نحو هذا الغرض قليلة فعلا . اتحاد الملاك ضعيـف ، والمشـاركة ضئيلة وكذلك الاهتمام . وقد حضرت السيدة دين بعض الاجتماعات ولكنـها ، شـأن غالبية سكان التقسيمات بكل مكان ، تحضر فقط الاجتماع الذى يعالج أمرا يعنيها .

وبعد مناقشة مستفيضة لما يمكن وما لا يمكـن أن يـؤدى للارتقـاء المجتمعـى فى المنشأة ، قال السيد دين .." إنه مكان طيب لتعيش فيه ، لكنه ليس مكانـا مشـوقا للحياة به ."

المجتمع ، الجريمة ، والمكانة

تعتبر مجتمعات المكانة ، فى أكثر من وجه ، أكثر أشكال المجتمعات المغلقة نقـــاء . وكونها مجردة من وسائل الترفيه الموجودة بمجتمعـــات الحيـــاة المتمـــيزة ، يجعلـــها بالضبط ما تبدو عليه من الخارج : بيوت جميلة خلف بوابات وبها الحراس عادة .إنـــها رمز للمكانة ، وعلامة دالة على أن أحدهم يعمل بنجاح وهذا أمر يهم الأغنياء ومــــن هم على عتبات الغنى . وأن تكون وسط الحشد الصحيح جزءا مـــهما للتعبـــير عـــن المكانة . والبوابات ، بما تعطيه من خصوصية ، وإن كانت متوهمة ،عـــامل جـــذب قوى .

ويؤكد المخطط بعد المخطط ، ممن سألناهم عبر البلاد ، بأن الجاذبيــــة والتمـــيز خاصيتان حاسمتان فى اسكان الأغنياء ، فمظهر المنشأة جزء كبير مـــن جاذبيتـــها ، كما أن البوابة تخلق إنطباعا إيجابيا مرئيا ، ويذكـــر ســـكان المنشـــآت ذات المكانـــة صورتها دائما ، إنها علامة الثروة أو حتى الشهرة التى يحملونها .

ولكن ليست الصورة هى كل شىء ، فبالرغم من الحياة فى ضواح هادئـــة وآمنـــة بمناطق الطبقة العليا ، فإن الجريمة ومشاكل المرور تؤرقهم ، وكذلك التلوث الســـمعى وأسباب الإزعاج الأخرى . وقد تحول البوابة دون دخول أصحاب الحاجـــة وغـــيرهم ممن يراعون القانون ، ولكن يبقى تأثيرها محدودا بالنســـبة للمجرميـــن الحقيقييـــن . وكثيرا من المقيمين بتلك المجتمعات على وعى بالنشاط الإجرامى داخل مجاوراتـــهم ، إما من خلال مراهقى المنشأة ذاتها أو من خارجها .

وفى واقع الأمر ، يمكن أن نعتبر الأسوار درعا ممتازا ضد النشاط الإجرامـــى . لكن تختلف آراء مسئولى الشرطة حول دور البوابة . فما من أحد منهم تحدثنـــا معـــه اعتبرها رادعا يعتد به . وشرح عقيد من شرطة دالاس الأمر بقوله : إن المجتمعـــات المغلقة توفر قدرا من الأمان عن طريق تقييد الدخول ، ولكنها من ناحية أخـــرى قـــد تعيق تطبيق القانون .[١٣] فمثلا قد لا تسمح بعض الجدران أو الاسوار بالرؤية خلالـــها عبر الطريق بما يعنى إفلات المجرمين من مراقبة المارة أو دوريات الشرطة . كمـــا أنه جرت العادة بأن تكون البوابة مفتوحة أثناء النهار وتغلـــق ليـــلا ، وقـــد لا يبـــدأ الحراس عملهم قبل حلول الظلام ، رغم أن معظم السرقات بالأحيـــاء الســـكنية تقـــع

نهارا . وأخيرا ، فإن البوابات تعطى إحساسا زائفا بالأمن من شأنه تشجيع سلوكيات متراخية لدى أصحاب المنازل كترك الأبواب مفتوحة وعدم إغلاق أبواب الجراجات أو عدم تشغيل أجهزة الإنذار . وفى دراسة مقارنة عن المجتمعات المغلقة والمفتوحة ، تبين أن كم الإبلاغات عن الثغرات الأمنية المتقدمة والتى سجلها أعضاء مجالس اتحاد الملاك كانت أكثر فى المجتمعات المغلقة عنها فى تلك المفتوحة .(١٤) وإضافة إلي ذلك ، فهناك دائما علاقة تبادلية بين نظم الدفاع ضد الجريمة والدخول فى حالات الطورئ . فحتى مع نظام ممتاز لتسهيل دخول رجل الإطفاء أو الإسعاف ، فإن البوابة قد تضيع ثوانى ثمينة من وقت التجاوب مع الحادث . ولهذا السبب ، أبلغنا رجل إطفاء فى دالاس أنه يعارض دائما فى وجود البوابات ، مبررا ذلك بأن احتمال الحاجة لإنقاذ الحياة ــ سواء بالإسعاف أو فى حالة الحريق ــ أهم من إمكانية تعرض أحدهم للسرقة . فالتكلفة المحتملة لإنقاذ الحياة والممتلكات أعلى بكثير .(١٥)

وحتى بالنسبة للمرور ، تلك المشكلة الأخرى التى يفترض أن البوابة علاج لها ، فهى ما زالت قضية مثارة فى العديد من المجتمعات المغلقة . وفى كل من جاكراندا بوينت وماربل هيد ، فإن السيارات المسرعة داخل المنشاة قضية مطروحة منذ أمد طويل . وكما قالت زوجة دين من ياخت هافن ، فالمرور ليس أفضل فى شوارعها الداخلية عنه خارجها . ورأيها ليس فريدا فى هذا الشأن .

ولقد تحسر كثير من الناس الذين تحدثنا إليهم على غياب الحس المجتمعى فى منشآتهم . والمشاحنات داخل اتحادات الملاك والفتور فى علاقات السكان أعيد ترديدها مرات ومرات . فالأسوار تبدو حافزا للترابط بين السكان ، ولكنها تفعل ذلك ماديا فحسب . وحيث يتعلق الأمر بالنشاط الاجتماعى والمسؤولية تجاه الإدارة ، فإن الروابط بين سكان المجتمع المغلق ليست أكثر قوة عنها فى المجتمعات المشابهة الأخرى غير المغلقة .

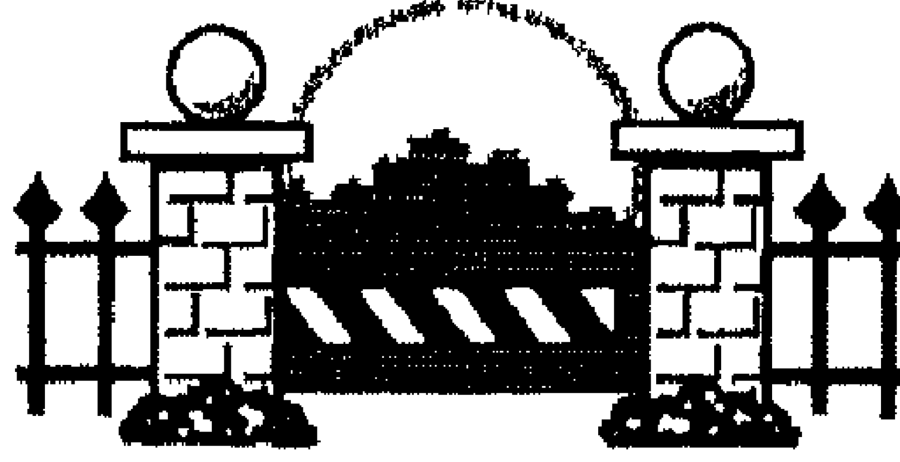
وإلى حد ما ، فالأسباب التى حدت السكان لاختيار المجتمع المغلق هى بذاتها عائق أمام الجيرة . فالبوابات تعطى الإحساس بتأمين الممتلكات ، غير المشغولة عادة بسبب عمل الزوجين والسفر المرتبط بالعمل وساعات العمل الطويلة. وبنفس المنطق فالمجتمعية تتطلب وقتا وجهدا ، بيد أن كثيرا من سكان مجتمعات المكانة لديهم قليل من الوقت يقضونه فيما بينهم ، وأقل من هذا يبذل لبناء المجتمع . وكما اكتشف روى

آبرامز المحامى من ويستون وكذلك زوجته ، فــــلا يمكــن شــراء المجتمـــع بنفــس قدر استحالة توفير الأمان الكامل . وبإمكــــان المـــرء أن يشـــترى أدوات الســـيطرة على المرور ، والإدارة الكفؤة ، وصيانة الأفنية ، أمـــــا المجتمـــع بمـــا يمثلـــه مـــن رابطة مشتركة ، واعتماد متبادل ، واتحاد حقيقى ، فلا يمكن شراؤه بأى ثمن .

الفصــــل الخامس

جيوب معزولة بسبب الخوف

مجتمعات المناطق الآمنة



يشعر المرء فى أنحاء المدن الأمريكية ، على اختلاف مستويات الدخل فيها ، أن ثمــة محاولات حثيثة لمراجعة الحيز المكانى وتأمين حدود المجاورات . ولا يرجع تنــامى المجتمعات المغلقة للمخططين وإنما يرجع إلى حد كبير، إلى سكان المجاورات الذيــن يقيمون البوابات والمتاريس فى محاولة للدفاع عن أسلوب حياتهم . ويتمثل هـــذا فــى مجتمعات المناطق الآمنة ، الشوارع المغلقة فى المدينة ، والضاحية والأعشـــاش وراء المتاريس . وبوسعنا التعرف على هذا النموذج من خـــلال تحديـد أصــل البوابــات والأسوار المستخدمة . فعلى عكس مجتمعات المكانة والحياة المتميزة ، حيــث يقــوم المخططون ببناء البوابات ، فإن سكان مجتمعات المناطق الآمنة هــم الذيــن يتولــون إقامتها بالإضافة لتزويد مجاوراتهم بآليات أمنية . وفى أعشاش المدينــة والضاحيــة ، فإن السكان يحولون مجاوراتهم إلى مجتمعات مغلقة بسد مختلف منافذ الدخول إليــها ، وباستئجار الحراس أحيانا . أما بالنسبة للأعشاش خلف المتاريس ، فيكــون الإغــلاق الكامل غير ممكن ، ومن ثم يقوم السكان بوضع المتاريس أو إغلاق أكبر عـــدد مــن الشوارع للحد من الوصول إليها . وربما كانت عقلية القلعة أكثر وضوحا هنا ، حيــث تقوم جماعات من الناس بالتكاتف لكى يوصدوا الباب فى وجه جيرانهم .

وفى المجاورات الفقيرة بقلب المدن ، وفى مشروعات الإسكان الشعبى ، يتم استخدام حراس الأمن والبوابات والأسوار لمنع تداول المخدرات والدعارة وإطلاق النار العشوائى ، ولاستعادة السيطرة على مكانهم المشترك . وفى مجاورات أخرى أصابها الهلع إزاء تسلل الجريمة لها من مناطق مجاورة ، أو أصابها الضيق من مشكلات المرور ، حصل السكان على ترخيص بحظر شوارعهم على الاستعمال العام ، وقصر استخدامها على السكان فقط . أما بالضواحى الواقعة فى نطاق المدينة ، سواء كانت قريبة أم بعيدة عن مراكز الجريمة ، فإن المجاورات تحصل ضرائب ذاتية لإقامة بوابات أمنية ، أو تتقدم بالتماس للحكومة لنصب المتاريس على الشوارع . وسواء كانت الجريمة سائدة أو غير متواترة ، وسواء كان التهديد حقيقيا أم متصورا ، فإن الخوف بحد ذاته حقيقى تماما .

إن انتشار وسائل الإعلام على المستوى القومى ، وشهيتها النهمة للقصص الإنسانية ذات المسحة الدرامية ، يعنى أن وقوع جريمة ما بمدينة صغيرة فى الشمال الغربى للمحيط الهادئ ، تنتشر من سياتل إلى ميامى . وهذا يغذى الخوف من الجريمة وينمى الشعور بأن الجريمة تزداد سوءا ، وذلك حتى فى فترات كبداية التسعينيات حين انخفض فعلا معدل الجريمة . إن ما يربو على ٩٠ فى المائة من الأمريكيين يعتقدون أن الجريمة قد ازدادت سوءا ، مع أنه خلال الفترة ١٩٨١-١٩٨٩ حدث انخفاض بنسبة ٢٥ فى المائة فى معدلات جرائم العنف بالمدن . وفى حين أن ٥٥ فى المائة يشعرون بالقلق إزاء وقوعهم ضحية للجريمة، وأن نفس النسبة يعتقدون أن الشرطة لا تقدم لهم الحماية الكافية ، فإن ذكر الجريمة لا يجىء إلا على لسان ٧٫٤ فى المائة منهم عندما يسألون عن دواعى قلقهم فى مجاوراتهم .(١)

إن ما يبدو من عشوائية الجرائم ، يعد مسئولا عن تنامى الخوف . فالعصابات بمركز المدينة تؤثر أكثر فأكثر على أولئك الذين يعيشون خارجه ، من خلال سرقة السيارات وإطلاق النار العشوائى . وينظر إلى المدن على أنها مرتع للجريمة ، ولكن ما من أحد على يقين من صحة ذلك . ومع أنه توجد علاقة بين الشباب والجريمة فى ذهننا ، وأن شباب الأقليات يتحمل عبئا ملحوظا من أسباب هذا الخوف المتنامى ، إلا أنه تبقى حقيقة أن الغرباء تحت أى وصف يمثلون باعثا تلقائيا على الخوف وعدم الثقة. وهذا أحد الأسباب التى تجعل من المرور مبعث قلق مساو وربما

أكثر من مبررات لجوء كثير من المجاورات للانغلاق . وفى ضوء المعادلة الحديثة لانعدام الثقة الاجتماعية ، فإن المرور ناتج عن الأغراب ، والأغراب سيئون ، والسيىء يعنى الجريمة .

ومن منظور الواقعية ، فإن الجريمة تمثل مشكلة أبعد مدى بالنسبة لمحدودى الدخل عنها بالنسبة للأغنياء . وتبين إصدارات المكتب القومى للإحصاءات أن الجريمة تشكل أيضا مشكلة أعظم بكثير فى المدن عنها فى الضواحى أو فى المناطق الريفية . فمعدلات كل من جرائم العنف وتلك المتصلة بالمنازل مثل السرقة، أقل بنسبة ٣٥ فى المائة فى الضواحى عنها بالمدن (انظر جدول ٥-١) . وأن سكان المدينة الذين يتعرضون للجرائم العنيفة أو السطو على منازلهم قد يزيدون بمقدار مرة ونصف عن سكان الضواحى .[٢] ففى بلانتيشن ، فلوريدا ، حيث توجد جاكاراندا بوينت ، كان معدل الجريمة عام ١٩٩٣ بنسبة ٩٥ لكل ألف مواطن ، فى حين كان هذا المعدل فى مدينة فورت لودردال ١٧١ لكل ألف . أما فى ضاحية النادى الريفى بلاك هوك دانفيل، بكاليفورنيا ، فكان معدل الجريمة ١٩ لكل ألف مواطن ، يقل كثيرا عن منطقة سان فرانسسكو الحضرية حيث بلغت ٧٣ لكل ألف من السكان .[٣] ومع ذلك فإن السكان فى كلتا المنشأتين شعروا بأنهم فى حاجة للبوابات . وكما بينا فيما سبق ، فإن الخطر الحقيقى من الجريمة ، والخطر الحقيقى من المرور ، ليس بالضرورة ذو علاقة بالخوف إزاء الجريمة . ففى الأماكن حيث ترتفع معدلات الجريمة ، وفى تلك التى تنخفض فيها ، فإن الخوف قد يدفع إلى إقامة البوابة ، بمجاورات كانت قبلا مفتوحة على ما يحيط بها .

الخوف حقيقة . وأيا كان مدى التهديد الفعلى للجريمة ، فإن الخوف بحد ذاته يؤثر تأثيرا سلبيا على العائلات وعلى المجاورات بقدر تأثيره على نوعية الحياة . ومن هنا أهمية التصدى له . وحتى فى الأماكن التى يندر وقوع الجرائم بها ، فإن الآباء لم يعودوا قادرين على ترك أطفالهم بمفردهم فى انتظار حافلات المدارس . ولقد عاين كل شخص الآثار المدمرة التى خلفتها الجريمة بأماكن قريبة منه : فكثير من الناس يشعرون بالقلق ، وبعضهم ينتابه الفزع . ويكون من الطبيعى ومن المفهوم رغبة الناس فى عمل ما بوسعهم لعزل أنفسهم عن التهديد والتخلص من الخوف .

جدول (٥-١) معدل الجرائم ضد الفرد والأسرة لكل ألف نسمة[أ] ، ١٩٨٩

نوع الجريمة	*داخل المدن*	*الضواحى*	*الأرياف*
جرائم العنف	٦ر٤٠	٠ر٢٦	١٠ر٢١
الاغتصاب	٢ر١	٥ر٠	٤٠ر٠
السرقة	٠ر١٠	٩ر٣	١٠ر٢
الاعتداء	٤ر٢٩	٦ر٢١	٧٠ر١٨
النشل	٠ر٨٦	١ر٧٠	١٠ر٤٥
جرائم الأسرة	١ر٢٣٢	٧٠ر١٥٢	٤٠ر١٢٠
السطو ليلا	٣ر٧٩	٢٠ر٥٢	٥٠ر٤٨
سرقة السيارات	٧ر٢٦	٨٠ر١٦	١٠ر٦

المصدر : مكتب إحصاءات وزارة العدل، *دراسة عن ضحايا الجرائم في الدولة* (واشنطن العاصمة : وزارة العدل بالولايات المتحدة ، ١٩٩٣) .

(أ) معدل جرائم العنف والنشل محسوب على أساس ألف نسمة تزيد أعمارهم على ١٢ سنة ، أما جرائم الأسرة فمحسوبة بالنسبة لكل ألف أسرة .

أعشاش المدينة

لم تعد البوابات والأسوار والجدران وقفا على الأغنياء وحدهم . فأغنى المجاورات وأكثرها فقرا تقيم البوابات والأسوار عازلين أنفسهم تماما . وتقوم المجاورات التى يقطنها ذوو الدخل المنخفض بإقامة البوابات فى محاولة يائسة لكبح الجريمة واستعادة السيطرة على شوارعها . أما بأحياء الإسكان الشعبى وذات الدخل المتدنى ، تتكاتف الحكومة مع الشرطة والسكان لإقامة نظام يشمل الأسوار والبوابات ونقاط التفتيش لردع العصابات والحد من انتشار المخدرات وغيرها من الجرائم . وفى الغالب الأعم ، فإن سلطات الحكم المحلى وهيئات الإسكان تتولى دفع نفقات إقامة البوابات والأسوار نيابة عن السكان ، ولكن قد تأتى المبادرة أيضا من الأخيرين . وعلى أية حال فإن تلك الأسوار تختلف عن تلك التى ناقشناها حتى الآن ، حيث ينظر إليها من يقيمها بوصفها ضرورة أكثر منها ترفا .

والمناطق ذات الدخول المرتفعة والتى تقبع خلف بوابات يحيط بها فى الغالب أو تكون بالقرب منها مناطق ذات دخول منخفضة ، وأخرى ترتفع بها معدلات الجريمة. ويحاول سكان تلك المجاورات حماية مساكنهم والحفاظ على قيمة ممتلكاتهم فى مواجهة العنف المتزايد حولهم . وفى أماكن أخرى بالمدينة ، يجرى إغلاق المجاورات حتى ولو لم تكن الجريمة خطرا مباشرا عليها ، حيث يخشى سكانها بالأحرى انتشارها وعشوائيتها . واليوم تجرى العادة أن يتم تزويد المنشآت الجديدة التى يجرى إنشاؤها بالبوابات وهى فى مرحلة التأسيس . وغالبا ما ينتاب سكان تلك المنشآت نفس القلق أو أكثر تجاه زيادة حدة الضوضاء وحركة المرور وغير ذلك من منغصات الحياة بالمدن . وفى كل هذه المواقف يشعر سكان أعشاش المدينة بأن وجود البوابات ضرورة وليس اختيارا .

وتعتبر بوتوماك جاردنز نموذجا لاستخدام البوابات فى مناطق الإسكان الشعبى ، حيث يتم عزل السكان خلف الأسوار دون أن يطلبوا ذلك أو بدون حتى موافقتهم . فإقامة البوابات ومد الأسوار داخل العاصمة واشنطن وحولها ، والتى بدأت فى يونيو ١٩٩٢ أثارت غضب السكان فى بداية الأمر . وعندما وصل رجال المطافئ لإخماد الحرائق الاحتجاجية ، قام حشد من الأهالى برميهم بالحجارة كما قارن الأهالى بتلك المناطق وضعهم بالسجون وحدائق الحيوان ، وعبروا عن ذلك بقولهم للمراسلين .. " إنه شئ لا يبعث على الإحترام .. لسنا حيوانات .. ولسنا بحاجة لأن نوضع فى اقفاص ". وقد تضمنت إجراءات الأمن آنذاك إصدار بطاقات تحقيق الشخصية . وكاميرات مراقبة أمنية وحراس على مدار الأربع والعشرين ساعة.(٤) وكان من شأن ذلك كله أن انخفض بشكل حاد تداول المخدرات وأعمال البلطجة، ولم تمض شهور قليلة حتى كان معظم السكان مؤيدين " للسور ".(٥)

ويشرح أحد سكان مار فيستا جاردنز ، وهى مجمع إسكان شعبى مساحته ٤٣ فدانا فى لوس أنجليس، به نظام مشابه من البوابات والأسوار ، قائلا : إن كثيرا من السكان يريدون مجتمعا مغلقا " لنفس الأسباب التى يبديها الأغنياء لكى يعيشوا فى مجتمعات مغلقة ، وهى القضاء على الجريمة (٦) ". أما أوسكار نيومان الذى أجرى مشاورات مع عدد من هيئات الإسكان من أجل إعادة تصميم المساحات العامة ، فإنه يعتقد أن أسلوب إقامة البوابات والأسوار من شأنه تفتيت المساحات الكبيرة لأماكن أصغر تتيح للسكان التعرف بسهولة ويسر عليها كخاصتهم ، ومن ثم تحمل مسؤولية



□ عش المدينة ، وايتلى هايتس ، لوس أنجليس ، كاليفورنيا

أكبر إزاءها . وأضاف أن مزيدا من الأمن ، وانحسارا فى الجريمة ، وصيانة أكثر سوف تتمخض عن هذا .(٧)

وهناك بعض المتسائلين عن الحكمة فى إقامة الأسوار حول مشروعات الإسكان العام وحول الأحياء الفقيرة . فيقول مارك بالداسار : " هذه المجتمعات المغلقة تثبط من عزيمة السكان فى التفاعل مع العالم الخارجى . إن الأغنياء يريدون ذلك . أما الفقراء فلا يريدونها لأنهم بحاجة إلى الاختلاط بالمجتمع خارج الأسوار بقدر حاجتهم إلى الوظائف والاتصالات والموارد . إن تصميم مشروع إسكانى على شكل قلعة من شأنه أن يزيد من تمزق السكان ". (٨)

ليس هناك من شك فى أن المجاورات الغنية فى المدينة تريد تواصلا أقل مع العالم الخارجى . وإقامة البوابات على الشوارع بالحضر صار أكثر شيوعا بالمجاورات الغنية ، عنه فى تلك الأكثر فقرا . وحينما تشرع إحدى المجاورات فى تحصين حدودها ، بصرف النظر عن مدى تميزها ، فسرعان ما يبدأ الاختلاف فى وجهات النظر . وهذا هو ما حدث عندما قررت مجاورة وايتلى هايتس أن تتحول لمجتمع مغلق .

هاك العدو ، وايتلى هايتس ، هوليوود ، كاليفورنيا

هوليوود باول ، مهد كثير من المعارض الفنية للموهوبين ، هى أيضا على مشارف أحد أجمل المناظر الخلابة فى العالم الغربى . فأعلاها وباتجاه الشمال والشرق والغرب تقوم سلسلة صغيرة من التلال تعرف باسم جبال سانتا مونيكا . وهذه التلال والأراضى المحيطة بها تذكرك بشواطئ دالماسيا اليوغسلافية أو كوستا برافا فى إسبانيا، باستثناء كون هذا المنظر يطل على الطرق السريعة ومساكن وشوارع وليس على شاطئ البحر. وفى الواقع، فإن هذه التلال تقع فى قلب لوس انجليس الجغرافى، وربما كانت بالمثل القلب الرمزى لمدينة الخيال. إن المكان يفصح عن نفسه ويدعو لطراز معين من التوافق المعمارى ، كما أن البيوت فوق التلال تنافس البيئة الطبيعية فى روعتها . وكل منزل منها فريد فى نوعه كما هو الحال فى القرية الإيطالية، بيد أنها جميعها تندرج فى إطار يشبه طراز العمارة فى البحر الأبيض المتوسط .

. ووايتلى هايتس ، هى إحدى المجاورات الواقعة على هذه التلال التى ترتفع فوق هوليوود . وكجزء من هوليوود القديمة ، فإن المنطقة كانت تاريخيا مستعمرة للسينما وللفنانين . فطالما نزل الإلهام على الكتاب من المناظر ودروب السير الممتعة ووجد نجوم هوليوود فيها ملاذا يبتعد بهم عن جمهورهم . ولوايتلى هايتس مدخلان فحسب ، أحدهما من جادة هوليوود جنوبا ، والثانى من موقف السيارات التابع لهوليوود باول شمالا . ونمط الشوارع بها متعرج جدا ومنحدر ، ومثير للارتباك لدرجة أن قليلا من السائقين يخاطرون بالسير فيها . ولكن فى نهاية الثمانينيات كانت الخريطة الاجتماعية لهوليوود آخذة فى التغير بوتيرة سريعة إلى درجة أن السمات الطبيعية للشوارع والتلال وكذا مؤشرات الثراء لم تعد كافية لضمان عزلة المجاورات عن الشوارع الواقعة بأسفلها .

واليوم ، فإن التباين بين الأراضى المسطحة على جادة هوليوود ووايتلى هايتس صار شديد الحدة ، برغم العدد القليل من المربعات السكنية التى تفصل بينهما . فأسفل المجاورة توجد شبكة الطرق السريعة بحاراتها المتعددة، ولوحات الإعلانات والقمامة المبعثرة ، بالإضافة للمشردين ، وبنايات الشقق السكنية تتباين حاجتها للاصلاح . وأعلى ذلك توجد الشوارع المتعرجة ، والأشجار الباسقة ، والقصور . وبمرور السنين ، تحولت جادة هوليوود إلى مرتع للمومسات وتجارة المخدرات وغيرها من

علل الحياة الحضرية ، الأمر الذى دعا سكان وايتلى هايتس للتفكير فى البوابات . ولم يكن على التلال سوى الجرائم البسيطة لكن الخوف من الشوارع المجاورة أخذ بالازدياد ، وكان الجميع مدركين بأن إدارة الشرطة فى لوس انجليس غارقة فى مشاكل الأرض المسطحة أسفل التل .

وبدأ بعض سكان المجاورة يشعرون بالحاجة لإغلاق المنطقة مع بداية الثمانينيات، وذلك إثر مقتل اثنين من المسنين اللذين كان منزلهما فى سفح التل القريب من جادة هوليوود . ومن ثم بات من الضرورى اللجوء إلى بعض أشكال التعزيزات الأمنية . ولم تكن البوابات هى الاقتراح الوحيد الذى طرح أمام اجتماعات اتحاد الملاك . فقد فكر بعض السكان فى الاستعانة بدوريات مسلحة ، وفضل آخرون دوريات تابعة للمجاورة ، أو إغلاق بعض الشوارع جزئيا بما يقلل من حركة السيارات فيها .

ومهما يكن من أمر الخوف والنظرة إلى الجريمة ، فإن السيارات ربما كانت مصدر القلق الأكبر لسكان التل . ونظرا لأن قلة من بنايات الشقق أسفل التل توفر أماكن بها لإيواء سيارات ساكنيها ، ولأن شوارع وايتلى هايتس كانت أكثر أمنا ، فقد لجأ سكان الشقق لإيقاف سياراتهم على التل . وفى بداية عقد الثمانينيات اكتشف بعض مستخدمى السيارات أن التل يختصر المسافة حين تكون الطرق الرئيسية متخمة بحركة المرور. وبدأ سكان التل يلاحظون السرعة الزائدة ، وتولاهم الخوف على سلامة أطفالهم، بل وكان هناك قليل من المطاردة عالية السرعة تقوم بها الشرطة فى الشوارع المحفوفة بالأشجار . وتدريجيا أخذ الناس يكتشفون جمال وسحر المنطقة ، فشرع كثير من الغرباء فى استخدامها كمعبر مختصر للسيارات ، ولممارسة رياضة الجرى ، وفسحة الكلاب ، وكنقطة تجمع غير مكلفة للمناسبات فى هوليوود باول .

وفى عام ١٩٨٦ ، تم اتخاذ قرار بإقامة بوابات حديدية ، ووافق مجلس المدينة على الخطة .

مقاومة البوابات

كان بوب مكدووال رئيسا للرابطة المدينية فى وايتلى هايتس خلال الفترة التى ولدت فيها الخطة النهائية لغلق المجاورة . وهو رجل معتدل البنية عريض المنكبين

ذو شخصية متفتحة وجذابة وإن شابته مسحة إنجليزية . وقد حكى قصة بوابات وايتلى هايتس من أول مدخل منزله المطل على حديقة إيطالية تضم مزيجا من الخضروات والزهور ونافورات المياه .

قدم بوب إلى وايتلى هايتس من نيويورك فى عام ١٩٨٩ ، وقد وجد المنطقة بمحض الصدفة ، وعلى الفور قدر سحرها وجمال عمارتها. وشعر بأن وايتلى هايتس مجتمع حقيقى فيه عبق التاريخ ، ويعبر عن المصير المشترك ، والتنظيم المجتمعى القوى . وكان يقام بها احتفال سنوى بعيد العمال فى الشارع ، ويعقد مزاد لجمع الأموال لهذا الغرض .

كان هذا هو المجتمع الذى قصد حمايته بالبوابات . ويقول بوب : إن " الحافز وراء إقامة البوابات لم يكن نتيجة حدوث زيادة ما فى الجريمة ، ولكن نتيجة الإحساس بأننا لا نستطيع السيطرة ، على مجتمعنا " . وكانت النظرة للبوابات فى البداية أنها إجراء لمواجهة مشكلة المرور بهدف السيطرة على " من يصعدون هناك " وقد أيد السكان هذا الإجراء بقوة بنسبة تزيد على ٨٠ فى المائة . ولم يعارض الخطة سوى شخص واحد كان يعمل محاميا ، وقد أبدى اعتراضه شفاهة وقرر ، بدلا من الحياة فى مجتمع مغلق ، أن يشد الرحال إلى مكان آخر . ولم يحذو حذوه أحد .

وفى عام ١٩٨٨ ، اكتمل جمع المال اللازم لإقامة البوابات وبعد ذلك بعامين حصلت وايتلى هايتس على الترخيص باقامتها وسحب شوارعها من الاستخدام العام . وفى العام التالى عندما شرع فى البناء ، خرجت المعارضة من قبل الجيران القاطنين بالشقق السكنية على الجانب المقابل للبوابة الجديدة ، والذين أطلقوا على أنفسهم اسم " المواطنون ضد البؤر المغلقة " . وقد بذلوا همة كبيرة فى محاربة البوابات ورفعوا دعوى قضائية أدت لأن يصبح الخلاف حول إغلاق الشوارع حديث المدينة بأسرها. ودفع هؤلاء بأن البوابات تمثل صنعة من نخبة مغلقة على نفسها . بينما عقب بوب على ذلك بأن المعارضين هؤلاء إنما ضايقهم سبب بسيط هو حرمانهم من مكان إيواء سياراتهم .

وبعد الشروع فى البناء بوقت قصير ، اكتشف أن إدارة الإطفاء لم توافق قط على خطة بناء البوابة، ومن ثم توقف العمل. وأجبرت الرابطة المدينية فى وايتلى هايتس على أن تعيد تصميم البوابات بحيث تسمح بدخول سيارات الطوارئ ، وذلك بتكلفة

مائة ألف دولار لترتفع بعدها التكلفة الكلية للمشروع إلى ٣٥٠ ألف دولار ، وحتى بعد أن تم البناء ، ظلت البوابات مرتهنة بمصير الدعوى القضائية والتي سارت عبر الدرجات المختلفة . وأخيرا ، وفي يونيو ١٩٩٤ أصدرت المحكمة العليا قرارها بتأييد حكم الاستئناف القاضي بأن إنشاء البوابات على وايتلي هايتس غير قانوني ولا يجوز أن تغلق بحال في وجه الكافة .

وهذا القرار المؤسس على تشريعات المرور بولاية كاليفورنيا قضى بأن الشوارع العامة يجب أن تظل مفتوحة للجمهور . وفي هذا الصدد كتب القاضي وودز بمحكمة الاستئناف بالولاية " نحن نتفهم القلق العميق والمشروع تجاه منع الجريمة وللحفاظ على الطابع التاريخي ، إلا أننا نشك في أن المشرع يريد السماح بالعودة لعهود الإقطاع، حيث تتحول كل ضاحية إلى إقطاعية تحظر على المواطنين الآخرين في الولاية التمتع بحقهم الأصيل في استخدام الشوارع العامة داخل هذه المناطق " .[٩] وبذلك فاز أولئك المنتظمون في حركة " المواطنون ضد البؤر المغلقة " . وفي أكتوبر ١٩٩٤ توصلت وايتلي هايتس إلى تسوية مع مجلس المدينة اقتسما بموجبها تكاليف إزالة البوابات ، وكذا رصف وتجميل الشارع والأرصفة .

موت مجتمع

أدى الضغط والإجهاد الذي دام ثلاث سنوات من الكفاح من أجل إقامة البوابات ، إلى استنزاف مجتمع وايتلي هايتس حيث كان يجري بانتظام جمع مبالغ للإنفاق على المحامين وإعادة تصميم البوابات . ونشأت صراعات داخلية حول كيف ولماذا يجب الاستمرار في النزاع القضائي . وزادت حدة التمزق عندما لوحظ أن المدينة قادت الضاحية في طريق خاطئ ومضلل وأنها استسلمت أمام حفنة من الراديكاليين . ولأول مرة منذ ١٩٢٤ عندما تكونت رابطة وايتلي هايتس تم إلغاء المزاد العلني بها، وكذا الاحتفال بعيد العمال في الشارع .

وحتى قبل انتهاء الصراع المضني ، فإن مجلس الرابطة انهار ، وحلت قيادته . وبينما كانت في الماضي قوة نشيطة في الشؤون السياسية والاجتماعية بهوليوود ، وبوتقة للقيادة الديمقراطية وحليفا للنشاطات الخيرية في المنطقة ، فإن وايتلي هايتس انسحبت الآن من الحلبة . وكما يرى بوب ، فقد كانت الضاحية بمثابة

الخلية الصحية فى مدينة هوليوود . وأضاف قائلا : " إن الضواحى مثل وايتلى هايتس عندما تظل صحية وقابلة للنمو ونشيطة داخل المجتمع ، يكون بوسعها إعادة بناء مجتمع آخذ فى التآكل سياسيا واجتماعيا ". وبالنسبة له فمعركة البوابات أفسدت ذلك كله ، مخلفة آثارا عميقة ومتصلة ، على سائر منطقة هوليوود . وقد شرع مجتمع الضاحية فى الإصلاح الداخلى ، باتحاد ملاك جديد مؤلف من عناصر وافدة على مجلسه ، ورغم ذلك فقد كانت القضية عملية استنزاف ، وحتى لو كانت قد كسبتها افتراضيا ، لكان نصرا بثمن باهظ جدا .

ويضيف بوب قائلا " كانت البوابات ستصبح كابوسا إداريا على أية حال ، بقدر ما كانت ستكلف أعباء مالية لا تنتهى ". ولقد سبق أن اقترح مجلس الإدارة أن تستمر البوابات مفتوحة نهارا وتغلق ليلا لتسهيل تدفق الإمدادات ، وكان على استعداد للسماح للسكان أسفل التل بترك سياراتهم فى أماكن محددة . غير أن حل الخلاف وديا خارج المحكمة لم يكن فى الحقيقة بالأمر الممكن . فبالنسبة للذين فوق التل كان الصراع من أجل إنقاذ مجتمعهم ، بينما كان بالنسبة لأولئك أسفله من أجل منع سكان التل من تقسيم هوليوود بالأسوار. وأثناء احتدام الخلاف ربما كانت وايتلى هايتس قد خسرت أثمن ما تملكه ، الإحساس بذاتها كمجتمع قوى . وهذه كانت رؤية بوب . لقد ترك المكان بعد وقت قصير من إجرائنا الحوار معه . وفى ذلك المساء الذى جرى فيه الحوار كان شعور بوب بالفجيعة باديا فى دموعه وهو جالس يرقب مغيب الشمس .

أعشاش الضواحى

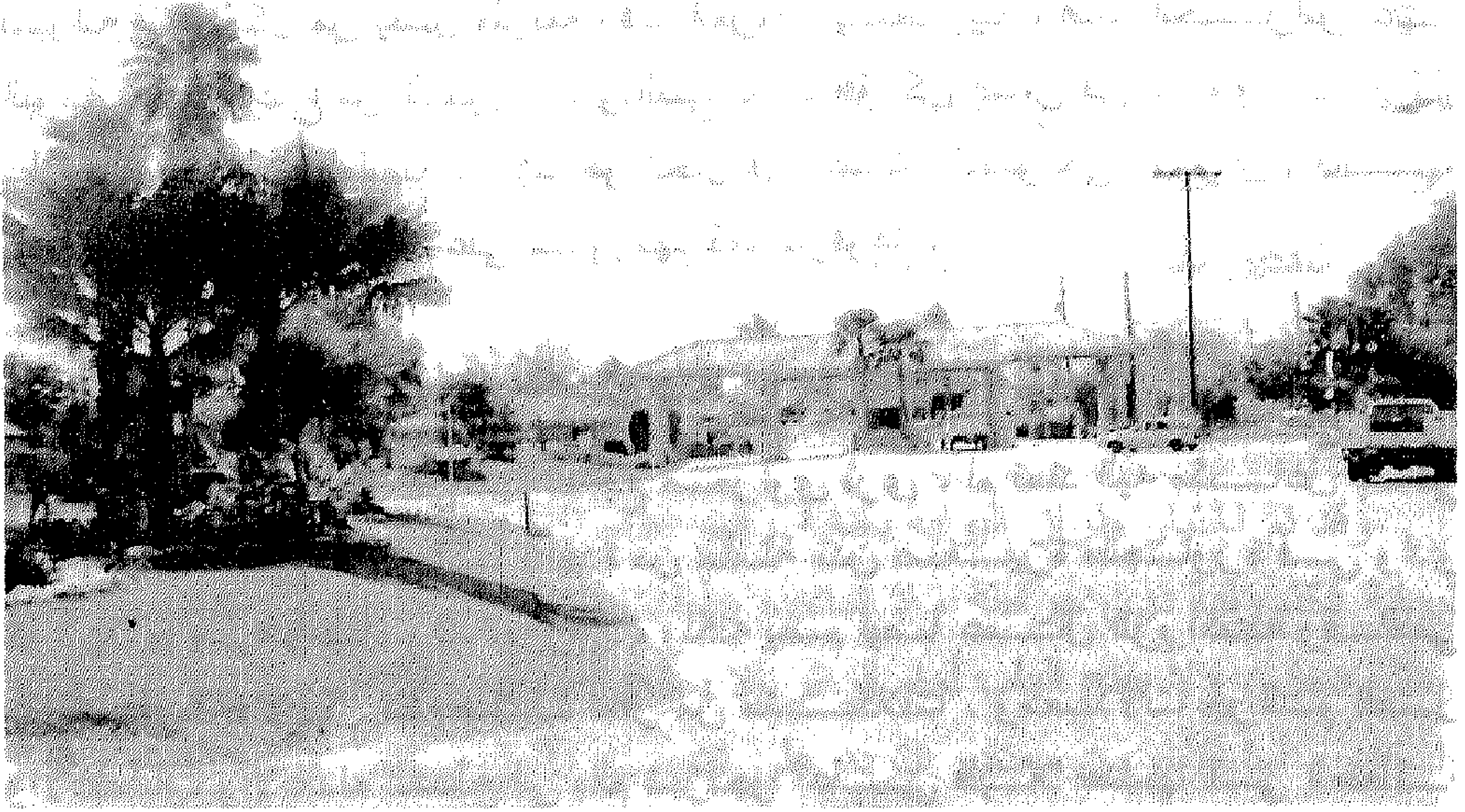
بدورهم ، أخذ أصحاب المنازل من أبناء الطبقة الوسطى فى قلب الضواحى والمدن الصغيرة يتجهون لإقامة البوابات . وقد يكون الدافع وراء ذلك خوفهم من معدلات الجريمة المرتفعة فى الأحياء المجاورة ، كما قد يرجع ببساطة إلى الخوف من أن يفاجأوا ، يوما وقد وصلت المتغيرات الديموغرافية وأعمال العنف إلى أبوابهم . وفى حالات كثيرة فإن المتغيرات الدرامية أحدثت بالفعل تحولات فى ضواحيهم التى كانت آمنة ومتجانسة . ويعتقد كثيرون أن أمامهم اختيارين ممكنين فقط : إما أن يتركوا

المكان أو أن يقدموا على تأمين ضواحيهم ببناء البوابات كمحاولة أخيرة للمحافظة على موقعهم بالسلم الاجتماعي والاقتصادى .

وفى ضواحي نيويورك ، ولوس أنجليس ، وواشنطن العاصمة ، وشيكاغو وميامي، وأتلانتا ، وغيرها من المدن ، توجد تقسيمات فرعية تضم منازل أسرية وأخرى مجمعة تتجه نحو إغلاقها ، خاصة تلك المخططة بشوارع خاصة ، ويتوافر بها إتحادات الملاك ، وبها مدخل واحد أو مدخلان . وفى مثل هذه المنشآت ، فإن إقامة البوابة مسألة هينة لا تتطلب أكثر من التصويت فى جمعية ، وتحصيل ضريبة إضافية، ثم تركيب البوابة . وفى ضواحي فورت لاودردال وبوليفار وودز الشمالية ، بدأت التقسيمات الفرعية بها تتجه للغلق إثر اختطاف امرأة شابة واغتصابها داخل المجاورة . ومع تسليم السكان بأن المنطقة ليست محلا لجرائم كبيرة ، فقد أرادوا أن يتحركوا لضمان بقائها آمنة .[١٠] وفى سيل بيتش ، وهى ضاحية أخرى بمقاطعة أورانج ، فإن منشأة كوليدج بارك الغربية تم إغلاقها كرد على مشكلة تزايد المجرمين والعاطلين الذين تدفقوا عليها من لونج بيتش .[١١] أما ضاحية ثاوزند أوكس الغنية بلوس أنجليس، فقد أغلق سكان برايمر جاردنز منشآتهم ذات الوحدات المجمعة للمحافظة على مجاورتهم الهادئة وردع الجريمة .[١٢] وذهبت ضاحية هيدن فالى بجنوبى كاليفورنيا إلى حد إنفاق ٥٠ ألف دولار لإقامة نظام الكترونى مضاد للإرهاب، وهو من نوع ما يستخدم فى السفارات ومقر نائب رئيس الجمهورية . وقد أتلف هذا الجهاز عدة سيارات حاولت الدخول بدون إذن .[١٣]

ومهما تكن المخاوف والضغوط التى تؤدى إلى إغلاق مجاورة ما ، فإن الهدف النهائى هو السيطرة . فالخوف ينتج عن الشعور بالعجز والانكشاف للمخاطر، أما إقامة البوابات ، كمحاولة لممارسة السيطرة على البيئة ، فإنه يخفف من هذا الشعور بالعجز والانكشاف للمخاطر ، بصرف النظر عن حقيقة التهديد وعن فاعلية تلك البوابات .

وقد سارت ضاحية روز مونت بشيكاغو ، باتجاه إنشاء البوابات إلى مدى متطرف. فتلك القرية التى يقطنها أربعة آلاف نسمة قد أقامت بوابات ملحقا بها نقاط تفتيش عند المدخلين المؤديين لأكبر منطقة سكنية بها . وتسمح بيوت الحراسة والبوابات لرجال تابعين لشيكاغو، ويتقاضون مرتباتهم منها ، بتسجيل أرقام



□ عش الضاحية : برمودا ديونز ، كاليفورنيا

السيارات وتوقيت دخولها واستجواب السائقين . أما عن الجرائم القليلة في روز مونت، فغالبا ما تقع بمنطقة تجارية تضم بنوكا ومكاتب ومحلات تخدم مطار أوهار القريب ، دون أن تتأثر بها المنطقة السكنية . ولم يمنع ذلك من كون الجرائم هى التى عجلت بإقامة البوابات ، فالسكان يخشون تدفق الغرباء . ومما يلفت الانتباه أن نصف سكان روز مونت تقريبا يعيشون خارج تلك البوابات الحامية فى ثلاث عمارات سكنية . وتزعم المدينة أن إضافة مستأجرين من ذوى الدخل المحدود إلى المنطقة الآمنة التى يسدد دافعو الضرائب نفقاتها سيكون مكلفا للغاية. (١٤)

وأحيانا ، قد لا تكون الجريمة هى القضية لكى تقام البوابات . ففى حى برنتوود الثرى والمتميز بخصوصيته بلوس أنجليس ، نجح سكان مجاورة برنتوود سيركل فى الحصول على ترخيص بإقامة أسوار ، وخصخصة شوارعها ، وبناء مدخل تحت الحراسة على مدار الأربع والعشرين ساعة .(١٥) أما المبرر الرئيسى لذلك فكان التزايد فى كثافة حركة السيارات نتيجة بناء متحف فوق تل يطل عليهم بشكل مباشر. ومع أن شوارع المجاورة غير متصلة بطريق المتحف ، إلا أن السكان خافوا

من اعتقاد الزوار ذلك . وبطبيعة الحـــال فـــالمفترض أن تـــؤدى البوابـــات لزيـــادة الأمان والخصوصية وحماية قيمة الممتلكات . وقد عبر أحد الســـكان عـــن ســـعادته بالبوابة قائلا " كل من يضل طريقه وقت الغروب يصعد إلينا ، فليقم الحـــراس عنـــد البوابة بمنع الرعاع من الدخول " . وبالطبع لن يوافق كل إنسان فى برنتوود ســـيركل على تلك العبارات الملتهبة . وكما هو الحال فى أعشاش الضواحى الأخرى ، فإنـــهم ببساطة ــ يريدون الحفاظ على مجاورتهم كما عرفوها .

ليس بعيدا بما فيه الكفاية : صن رايز بالمز ، بالم سبرنجز ، كاليفورنيا

إن صورة بالم سبرنجز هى أنها منتجع صحراوى ثرى ، لم تمتد اليه مشـــاغل بـــاقى أنحاء البلاد . وفى الواقع فإنها واحدة من سلسلة مدن صغـــيرة متجـــاورة فـــى وادى كواشيلا موطن الأغنياء والمشهورين ، ولكنه يضم أيضا عمـــال الزراعـــة وقـــاطنى عربات الرحلات وكل ما يصاحب الفقر من مشـــكلات . ومعـــدلات جرائـــم القتـــل والاغتصاب والاعتداء المسلح فى بالم سبرنجز أعلـــى قليـــلا عنـــها فـــى المنطقـــة الحضرية الكبرى ، والتى تزيد هى الأخرى قليلا عن باقى البلاد . فمعدل السرقة مثلا يزيد بنسبة ٥٠ فى المائة عن المركز الحضرى ريفرسايد . وفى مدينة لا يزيد سكانها على ٤١ ألفا ، وقعت سبع جنايات قتل خلال عام ١٩٩٣ .

أما صن رايز بالمز ، فهى منشأة متواضعة تتألف من ٣٦٠ منزلا مجمعا علـــى هيئة عنقودية ، وتقع على الجانب الشمالى لبـــالم ســـبرنجز . وإلـــى جـــانب البوابـــة المجهزة الكترونيا والتى يجرى الزائر اتصاله هاتفيا منها ليسمح له بالدخول ، يوجـــد ملعب تنس وحوض سباحة وموقف للسيارات . وعلى مسافة قصـــيرة مـــن الملعـــب يوجد مكتب مدير المنشأة يستخدم أيضا لاجتماعات اتحاد الملاك . وفى هـــذا المكـــان قابلنا ثمانية من السكان والمدير المقيم ليحدثونا عن الحياة فى مجتمع مغلـــق ومركـــب من الطبقتين الوسطى والعاملة .

ولدى وصولنا ، قدم المدير القهوة لأعضاء المجموعة والذين كان معظمـــهم قـــد سبقنا فى الحضور ، وجلسوا حول طاولة على كراســـى مـــن البلاســـتيك . وكـــانوا يتحدثون فى حميمية ويتبادلون النكات فيما بينهم ومع المدير . ولم تكن هنـــاك حاجـــة للتعارف، فقد كانوا يعرفون بعضهم جيدا . وكان معظمهم قد تعدى الخمسين ، وفيمـــا عدا هذا فكانوا مختلفين ، رجالا ونساء واثنين من الأوروبيين المقيمين وواحـــدا مـــن أصل لاتينى .

تجهيزات لراحة البال

لم تكن صن رايز بالمز مغلقة منذ بنائها عام ١٩٨٣ حتى عـــام ١٩٩١ . وقــد لقــى الاقتراح بإنشاء البوابات تأييد مائتين من أصل ٣٦٠ مالكـــا فيــها ، وجــاء تركــيز المعارضين للاقتراح على تكلفة الإنشاء وما يستتبعها من مصاريف صيانة مســتمرة . وكان السكان يشعرون بالقلق إزاء الجريمة والطبيعة العشـــوائية للاعتــداءات. كمــا شغلهم التفكير بأنه بقدر نمو منتجع بالم سبرنجز ، فسوف يربكهم طوفان من حركـــة المرور، كما سيتركون عرضة للمجرمين ، ومن ثم فإن وضع البوابــات علـــى كــلا المدخلين بدا وكأنه أسلوب مثالى للمحافظة على نوعية حياتهم .

وقد تم اختيار طراز البوابة بعناية ، فهو نظام أكثر تطورا مـــن النظـــام الوســط لبوابة الكترونية دون حراسة ، إذ تستخدم بطاقات ممغنطة وحاسب آلى يســـجل مــن ومتى دخل . ولا يفتح الباب أمام الزائر إلا بضغطة زر من قبل مــــن ينتظــره مــن السكان . أما الآخرون معتادو التردد على التجمــع مثــل بــائعى الصحــف وعمــال الزراعة ، فتصرف لهم بطاقات خاصة يسمح لحاملها بالدخول فقط من البوابة الخلفيــة والتى تغلق من العاشرة مساء حتى السابعة صباحا . وفى كلا المدخلين بوابة حديديــة تجرى على عجلات وكذلك ذراع تتحرك إلى أعلى وأسفل . والأولـــى لمنــع دخــول المشاه والسيارات، والثانية لإيقاف السيارات غير المصرح لـــها بــالدخول إن كــانت البوابة الحديدية قد فتحت لدخول سيارة تتقدمها . ولم يسبق لنا رؤية مثل هــذا النظــام المزدوج فى البوابات ، كما يبدو أن أغلب التجار المحليين كانوا كذلـــك ، لأن كثــيرا منهم وقع فى قبضة الذراع عندما حاولوا المرور فى أعقاب سيارة أخرى فتحت لـــــها البوابة ، وذلك خلال الشهور القليلة التالية لتركيب هذا النظام .

وحدثت مشكلات أخرى فى الشهور الأولى بعد تركيب البوابـــة . إذ أن قطعــان المراهقين كانت تنتظر عند البوابة ثم تندفع فى أثر السيارات المارة بالبوابة ليمضـــوا سهرة نهاية الأسبوع ، وعلى العموم لا توجد الآن ســوى حفــلات قليلــة . وبعــض السيارات كانت تحاول الدخول من بوابة الخروج ، وهو مــا فعلــه بعــض الأطفــال بدراجاتهم . غير أنه ما إن تعودت المنطقة المحيطة على أن شوارع المنشـــأة مغلقــة حتى تقلصت المشاكل . وقد يتجاهل أحد الحراس هذه المشاكل لكــن الثمــن ســيكون باهظا. وقد أقام معظم من تحدثنا معهم من السكان فى المنشأة قبل تزويدها بالبوابـــات،

لكن كل السكان بالمجموعة التى جلسنا إليها كانوا إيجابيين جدا تجاه هذا النظام ... " إنه نعمة من النعم خاصة لو كنت أرمل أو أرملة ، فأنا لم أعد أشعر بالخوف هنا بينما اتجه لمنزلى ، إنه أكثر من مجرد شعور بالأمان " . " قبل إغلاق المنشأة كنت أحافظ على كل شئ مقفلا ، إذ كان الرعاع يجيئون ويتسكعون فى الشوارع ، وما كنت أستطيع أن أسألهم عما يفعلون هنا ، لأنها شوارع عامة أو كانت كذلك ، أما الآن فلدى شعور طيب بالأمان " .

وقد سبق وأن مر كل فرد فى المجموعة بتجربة سطو أو سرقة فى الماضى وقضوا بضع دقائق للتحدث عن الجرائم التى وقعت فى الماضى . وهم الآن يشعرون بقدر أكبر من الأمان بعد إدخال نظام البوابات ، والأمر ليس مجرد تأثر نفسانى . ومما له دلالته ، أن كثافة المرور انخفضت بعدها بنسبة ٧٥ فى المائة . وهذا وحده يعنى أن عدد الغرباء قد هبط . ورغم ذلك فمن الممكن الدخول للمنشأة قفزا فوق السور ، هكذا تحدثت إحدى السيدات مضيفة " أن اثنين من المكسيكيين تعودا المجيء إلى الحديقة حوالى الساعة الحادية عشرة مساء لشرب البيرة بجوار حوض السباحة ". ولم يسمع المدير بهذا الأمر رغم استمراره لمدة أسبوع تقريبا . وقد وعدت السيدة بأن تراقبهما هذا المساء وأن تستدعى الشرطة (حيث لا يوجد بالمنشأة دوريات متحركة أو حراس). ولاحظت السيدة أيضا أنه ما من منشأة تستطيع ضمان " الأمن "، مما حدا بأحد الرجال للرد عليها قائلا : " توجد سجون فيدرالية تزعم أن بها أقصى درجات الأمن ، ومع ذلك يهربون منها ".

المشاركة المجتمعية

حوالى ستين فى المائة من الوحدات بمنشأة صن رايز مساكن ثانية إضافية لأصحابها ، وباقى الوحدات مقسم بين مستأجرين دائمين وملاك . وهذه المجموعة من السكان خليط متشابه ويريدون منا أن نعرف أنهم يرحبون ويساعدون كل من يعيش فى صن رايز ولو لجزء من السنة . وقد ضم المستأجرون ـ عن قصد ـ لاتحاد الملاك رغم أنه ليس لهم حق قانونى فى إدارة المنشأة . وفى الوقت الحالى تبذل محاولة ودية لتمثيل المستأجرين ومستأجرى بعض الوقت فى مجلس الاتحاد جنبا إلى جنب مع الملاك المقيمين .

وهذا المجهود يعبر عن مستوى من المشاركة يتعدى بكثير ما جرى بـــه العمـــل فى اتحادات الملاك . وبالفعل ، فالمشاركة بالانتخابات السنوية تصل إلـــى ٨٠ أو ٩٠ فى المائة ، كما أن الاجتماع السنوى يجب أن يعقد بأحد الفنادق المحليـــة لاســتيعاب عدد الحضور ، ولا توجد ثمة مشكلة فى ملء مقاعد المجلس ، وتجرى مناقشة معظــم بنود جدول الاجتماعات ، وهو أيضا أمرغير مألوف باتحادات الملاك .

وإذا كان مستوى المشاركة مرتفعا ، فهذا لا يعنى بالضرورة توافر الوحدة داخــل المنشأة . فمطروح الآن للبحث مشروع تعلية الأسوار المحيطة بصن رايــز . وهــى حجرية ، أما الأسوار الداخلية فبمرور ١٣ عاما انتهى عمرها الافتراضى وأصبحــت الحاجة تدعو إلى تغييرها . وحين جاء وقت التصويت على ميزانية كل مــن الســور الخشبى والآخر المحيط بالمنشأة ، تباينت النتائج ، فالمقيمون عنـــد الحافــة صوتــوا لصالح تعلية الحائط وعدم إحلال السور الداخلى ، أما القريبون من الداخل فقد صوتــوا بالعكس .

ومثل هذه القضايا تعالج من خلال نشرة إخبارية تصدر عـــن المنشــأة ، ومــن خلال اللجان رغم أن معظمها توقف عن العمل بســبب قلــة المشــاركة . فباســتثناء لجنة الكوارث النشيطة ، فإن باقى اللجان ، كلجنـــة حــوض الســباحة ، والهندســة المعمارية ، والتجميل قد حلت " لأنه يصعب أن تبلغ جارك بأن يقوم بتغيـــير شــىء ما ". فالكل يفضل أن تترك مثل هذه المهام ، ومنها الإلزام بالتنفيذ إلى مدير المنشأة .

هذا المزج العجيب بين الإقبال والتراجع ، ملاحظ أيضا فى علاقتهم بمدينة بـــالم سبرنجز . فالسكان هنا لا يشعرون بوجه خاص أنهم مرتبطون بالمدينة التى هم جـــزء منها . ولكنهم لا يتجاهلونها ببساطة. " لا أعتقد أننا نعطى أهمية كبيرة لذلـــك . ومــع هذا فأنا على استعداد للمراهنة بأن مشاركتنا هنا أكبر بكثير ممـــا كــانت عليــه فـــى الأماكن التى جئنا منها . إننا نعطى أهمية ورعاية أكبر هنا ". وقد يرجـــع هـــذا إلـــى النسبة الكبيرة من المتقاعدين وبالتالى كثرة من يبدون استعدادا للتطوع . فكل الســيدات اللاتى شاركن بالاجتمـــاع متطوعـــات فـــى برامـــج محـــو الأميـــة ، وبالمتـــاحف والمستشفيات ، وأكد الرجال أن زوجاتهم يفعلن نفس الشيء .

وفى نفس الوقت ، فإن النشاط السياسى محظور داخل البوابات كما هو الحال فـــى معظم اتحادات الملاك . والمرور على المنازل للدعوة لتأييد المرشـــحين لانتخابـــات

عامة محظور أيضا ، وكذلك تعليق لافتاتهم . وفى رأى المجموعة التى التقينا بها ، فمثل هذه النشاطات تؤدى إلى الانقسام والجدال وربما التشابك نظرا للطبيعة السياسية للأمر ، وربما إلى مضايقات إن كان الموضوع متعلقا بنشاط تجارى . وعن قيام فتيات الكشافة ببيع الكعك والحلوى داخل المنشأة لحساب الفرقة الموسيقية بالمدرسة ، فهو محظور أيضا طبقا للوائح ، ولكنه يتم على أية حال ، لأن أحدا لا يعترض على ذلك . أما الدعاية الانتخابية فإنها تثير هاجسا أمنيا ، فمن يقوم بها غرباء ، والغرباء قد يكون بينهم مجرمون ، وترك المنشورات الدعائية على مقابض الأبواب قد يكون علامة على خلو المنزل من السكان .

الجيرة

كان ذكر تلك المخاطر ، دافعا للمجموعة التى جلسنا إليها ، للتأكيد على مراعاتهم شئون بعضهم البعض ، فالواحد منهم يحفظ بريد وأوراق جاره الغائب . وبالفعل يوجد أحد المعاقين بأحد التقسيمات الفرعية يلقى المساعدة من أكثر من ١٢ شخصا. ويزعم السكان أن التضامن هنا أكثر مما هو موجود بأى شارع عمومى مجاور . فيقول أحدهم " إننا نعرف احتياجات الجيران لأننا نتبادل الحديث أكثر مما يحدث بالشارع العمومى".

ويضيف آخر " ما نناقشه يرجع إلى أننا نشكل اتحاد ملاك وفى أى اتحاد للملاك أعتقد أنه ستكون الروح المجتمعية أكثر مما يوجد فى مجرد مربع سكنى ". ومنذ نصب البوابات لم يشعر أحد بأى تغيير حقيقى بالمشاعر المجتمعية . صحيح أن حوض السباحة كان أكثر ازدحاما وحتى وقت متأخر ، ولكن من ناحية أخرى فإنه تجرى الآن استعدادات واسعة على مستوى الجماعة للاضاءة بمناسبة أعياد الكريسماس .

ويسهم ساكن آخر بالحديث قائلا : " أعتقد أن البوابات جعلت منا أسرة واحدة ". ضحك الجميع ولكن وافقوه . وبسبب البوابات " صار بوسعك أن تميز أى شخص لا ينتمى لهذا المكان ". فقد اعتاد الغرباء الدخول واستخدام موقف السيارات دون أن يتأكد أحد ما إذا كانوا من المقيمين أو غيرهم . أما الآن ، وبفضل البوابات ، صار من السهولة بمكان التعرف على الناس من وجوههم . ورغم أن المقيمين لبعض

الوقت ليسوا معروفين جيدا ، فإن كل إنسان سيعرف أيا منهم عندما يعود فى الشتاء . وتعتبر مسألة الانتماء هذه مثيرة لبعض الحساسية ، فأقفال حوض السباحة وملاعب التنس يتم تغييرها دوريا ، لأن سكانا سابقين يعودون أحيانا لاستخدام هذه المرافق .

وتقع بعض المشاحنات بين حين وآخر بين الأفراد ، بخصوص مكان انتظار السيارات ، أو الضوضاء ، أو ترك الكلاب طليقة ، ولكنها أشياء عارضة وغير ذات بال . وعن السلام النسبى السائد فى المجتمع ، قالت إحدى السيدات " لو كنا نعيش بمربع سكنى فى الخارج وحدث خلاف ما بيننا ، فلن يلتئم شملنا لأننا لن نرى بعضنا البعض بعد ذلك . أما هنا فيرى أحدنا الآخر، وعليك أن تبذل جهدا لكيلا تكون طرفا فى أى مشكلة ". ووافقت أخرى على هذا الرأى مضيفة " أن تعيش عند طرفى شارع مفتوح ، يعنى أن تسير موليا ظهرك للآخر ". وهم يعتقدون أن البوابة فى حد ذاتها قد تساعد على " فرض " الصداقة فيما بينهم ، فمعرفة الواحد بالآخر تقود للتعامل فالاهتمام فالعناية بين بعضهم البعض . ويقول أحدهم بالمجموعة " نحن قد نختلف على بعض الأمور ولكن نبقى أصدقاء " وذكر مثالا لذلك أنه حين يذهب لشراء البيض الطازج من إحدى المزارع ، فإنه يشترى أيضا لأناس آخرين بعضهم ضمن الحضور معنا . ويبتسم الجميع اعترافا بما يقول .

ومثل كل التقسيمات الفرعية ، مغلقة كانت أم مفتوحة ، هناك دائما مشاكل . والمشكلات قد تحدث بين الجيران . لكن سكان صن رايز بالمز قد اختاروا ، مثل أسلافهم الزاحفين نحو الغرب الأمريكى ، أن يرصوا عرباتهم فى دائرة ضد ضوضاء ومشكلات المرور وجرائم العالم الخارجى ، ويعرفون أنهم بحاجة للعناية بمجتمعهم داخل تلك الدائرة .

الأعشاش وراء المتاريس

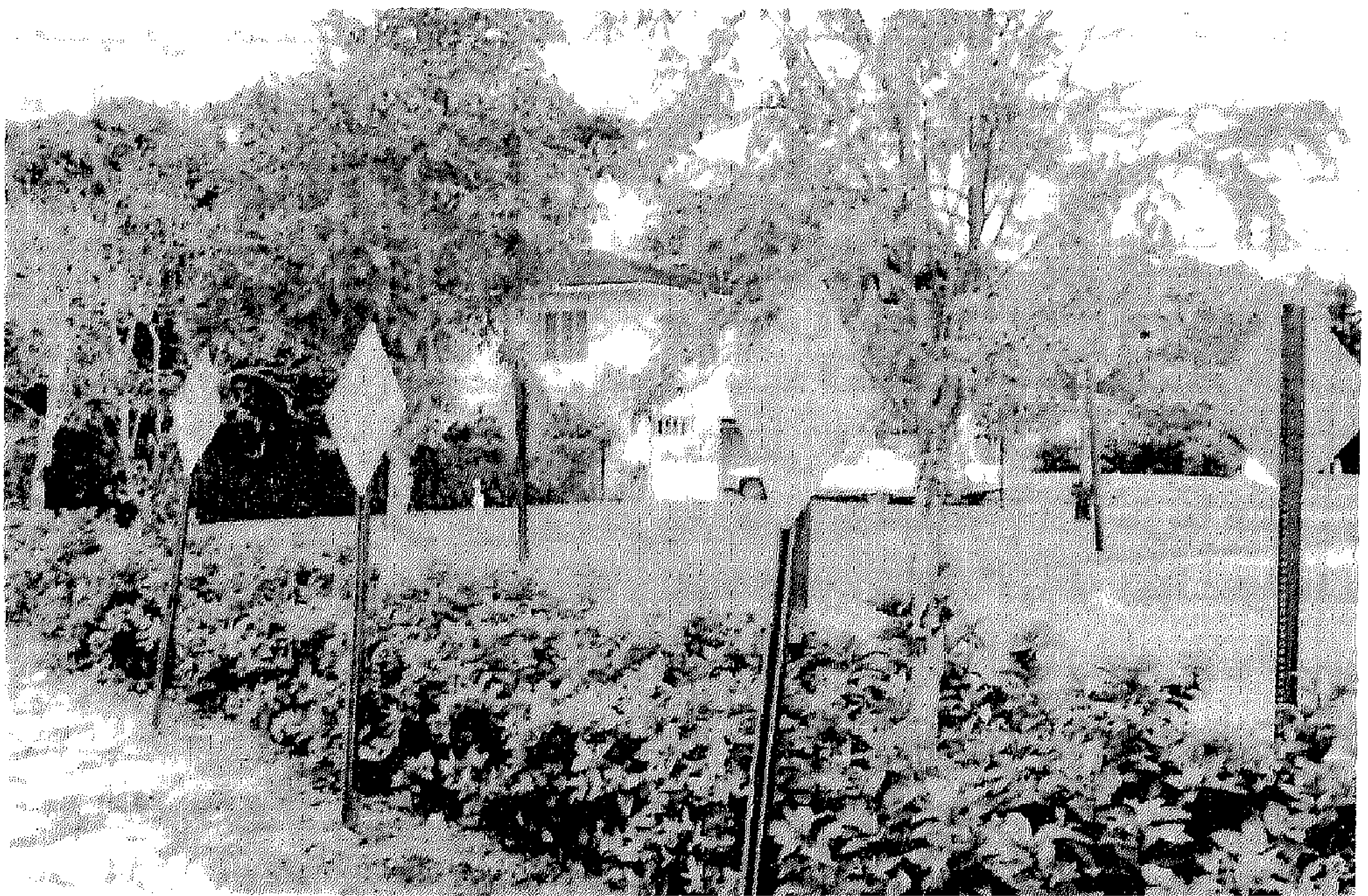
عندما حاول ملاك المنازل من أبناء الطبقة الوسطى ، تأمين استثماراتهم العقارية فى الضواحى القديمة وفى المجاورات داخل الضواحى ، لم يلجأوا إلى دوريات الأمن ومتطوعى المراقبة فحسب ، وإنما للمتاريس والأبواب الحديدية بقصد إغلاق شوارعهم . إن الإغلاق الكامل لكل مداخل مجاورة ما بأسوار وبوابات عادة ما يكون صعب التحقيق . فحيث تكون الشوارع عامة ، فإن المشاكل القانونية كتلك التى حدثت

فى وايتلى هايتس عادة ما تثار ، صحيح إنه يمكن خصخصة تلك الشوارع ، بيد أن التكلفة تكون عادة فوق احتمال أو استعداد السكان أو حكومة المدينة . والتكتيك المتبع فى مثل هذه المجاورات هو إقامة المتاريس على الشوارع مع إغلاق معظم نقاط التقاطع ، وترك نقطة أو نقطتين للدخول . والأثر المطلوب تحقيقه هو نموذج الضاحية ذات شبكة الشوارع مسدودة النهايات وغير الموصولة بشوارع المدينة خارجها . وتلك هى الأعشاش وراء المتاريس . وهى مثلها مثل النماذج الأخرى للمناطق الآمنة ، تكون المبادرة بشأنها من السكان وليس المخطط .

ورغم أنها ليست مسورة تماما ، ولا مداخلها مزودة ببوابات ، فقد أدرجناها فى نطاق مجتمعات المناطق الآمنة لأنها أقرب ما تكون لفكرة الإغلاق ، وكذلك لأن القصد من الخصخصة والخصوصية المانعة هو سواء بسواء . وكغيرها من الأشكال الأخرى التى نوقشت فى هذا الكتاب ، فإن الأعشاش وراء المتاريس لا تخرج عن كونها منشآت مؤمنة جرى تصميمها بعناية لتحد من الدخول لأماكن عامة أصلا . والنتيجة قريبة جدا من الإغلاق الكامل بقدر كونها تتم على أساس عملى . ففى ميامى وهيوستن وغيرهما من المدن ، لجأت عشرات المجاورات إلى الأخذ بهذا الحل ، بينما مجاورات أخرى تنتظر دورها للترخيص لها بإقامة المتاريس .

وقد قمنا بزيارات لشوارع تم إغلاقها فى لوس أنجليس ، وميامى ودالاس وبالم سبرنجز ؛ ويوجد تحرك مماثل بالمدن عبر البلاد بما فيها شيكاغو ونيو أورليانز وهيوستن وفورت وورث ، وبوسطن وبريدجبورت وكونكتيكت ، والقائمة فى زيادة كل سنة . وفى فلوريدا يسمح " قانون سلامة المجاورة " للمجاورات بالتفاوض مع الحكومات المحلية من أجل إغلاق الشوارع العامة أو خصخصتها أو تعديل حق المرور فيها . (١٧)

وتتراوح الأسباب بدءا بالعصابات والمشاكل الملحة للجريمة داخل شوارعهم بالتحديد ، إلى الجريمة الوافدة وكثافة المرور ، وانتهاء بمن يشغل الشارع لاختصار المسافة ، وهذا بالإضافة إلى توفير الأمن بصفة عامة إزاء تهديدات لا يمكن التنبؤ بها نشأت من الفوضى الحضرية . والمتصور أن إغلاق الشوارع يمثل رادعا فعالا ضد الجريمة ويساعد فى الحفاظ على مستوى المجاورة وقيمة المنازل بها . ويحد من هجرة البيض وأبناء الطبقة الوسطى إلى الضواحى .



□ عش المتاريس : ميامى شورز ، فلوريدا

فى سكرامنتو بكاليفورنيا ، توجد مجاورة فرانكلين فيلا ، والتى تقطنها غالبية من ذوى الدخل المنخفض ، وتتكون من شقق ومجمعات سكنية مشتركة . وتعانى المجاورة من مشاكل خطيرة بسبب العصابات والمخدرات وجرائم العنف . وبعد سنوات من مطالبة سكان المجاورة وافقت المدينة عام ١٩٩٣ على إغلاق الشوارع فيها ، كجزء من خطة تبلغ تكاليفها ٣ر٢ مليون دولار لإنعاش المجتمع .(١٨) وبسبب قضية وايتلى هايتس ، فقد وضعت الحواجز بصفة مؤقتة ، وهو نفس ما جرى بالنسبة للشوارع الخاصة الأخرى فى كاليفورنيا . وطالما كانت المتاريس قائمة ، فهى محل ترحيب . وقبل ذلك كانت المجتمعات السكنية تحاول السيطرة على الجريمة بوسائلها الخاصة ، وقد أنفق أحد اتحادات الملاك بالمجاورة أكثر من مائتى ألف دولار على إقامة سور حديدى وعلى دوريات حراسة مسلحة تستعين بالبنادق والكلاب .(١٩)

وهناك حالة آثنس هايتس ، المجاورة التى تضم خليطا ينتمى للطبقتين الوسطى والعاملة ، وتقع فى جنوبى وسط لوس أنجليس ، وهى على مرمى حجر من كل من نورماندى وفلورنس مركزى الهياج والاضطرابات بلوس أنجليس . وتضم المجاورة بعض المنازل القديمة والعريقة ، والعديد من البيوت المتواضعة من طابع واحد بنى

معظمها فى الخمسينيات ، ولأكثرها حدائق ومشايات معتنى بها . ويحيط بالمجاورات أفقر المربعات السكنية المنكوبة بالجريمة فى لوس أنجليس . وقد بدأ ملاك المجاورة يطلبون الموافقة على إغلاق شوارعها عام ١٩٨٧ ، وتمكنوا أخيرا عام ١٩٩١ من نصب بوابة حديدية دائمة مع عدد من المتاريس الخشبية بصفة مؤقتة. وكانت الخطة الأصلية تقتضى إقامة عشر بوابات مع ترك شارع واحد مفتوحا ليؤدى للحى المجاور . ويؤكد السكان أن معدلات الجريمة قد انخفضت بعد وضع البوابة والمتاريس. وقال أحد سكان أتنس هايتس معلقا على العزلة والافتقار للمجتمعية اللتين سببتهما البوابة " الأولاد فى طريقهم للمدرسة ذهابا وإيابا يسلكون الآن طريقا تنتشر على الحوائط المطلة عليه كتابات ورسوم تشوه المكان، وأعتقد أنهم لو تجولوا هنا لرأوا مشاهد جميلة بدلا من ذلك . وإنه لأمر يدعو للأسف أن الأولاد ممنوعون من ذلك ، فلا شيء يعادل رؤية غلام ينمو ويذهب إلى المدرسة . ونأمل أن يأتى اليوم الذى يسمح فيه لأولئك الأولاد بأن يعودوا إلى هنا مرة أخرى ". (٢٠) وفى عام ١٩٩٤ ، ونتيجة للحكم فى قضية وايتلى هايتس ، تم إزالة المتاريس .

وعلى نحو ما حدث فى وايتلى هايتس ، فإن إغلاق الشوارع يولد عادة المعارضة الصاخبة . ففى منطقة هيل كريست فى ماربل وود ، نيوجرسى ، تم تركيب خمس بوابات حديدية عام ١٩٩٣ ، الأمر الذى أثار السخط فى نيو آرك المجاورة . وكما حدث فى كثير من النزاعات حول غلق الشوارع ، فإن اتحاد الملاك لهيل كريست أصر على أنه لا يريد أكثر من درء زحام المرور عن الشوارع السكنية . ويتكون سكان هيل كريست من مهنيى ، الطبقة الوسطى ، ونصفهم تقريبا من السود . والجزء من نيو آرك المتاخمة لهيل كريست فقير وبحالة متدهورة . ويتطلع سكان هيل كريست إلى نموذج الضاحية ذات الشوارع المسدودة النهايات . ويدعون بهذا الصدد بأن المهندسين سبق وأقروا هذا النمط باعتباره الأكثر مناسبة للتصميم الحضرى الذى بنيت منازلهم على أساسه. هذا ، وقد قام شارب جيمس عمدة نيو آرك بسلسلة أحاديث بالإذاعة والتلفزيون شجب فيها بوابات هيل كريست والتى وصفها بأنها " نخبوية " و " مدمرة " وأن الموضوع بالنسبة إليه " انفصال على أساس طبقى " سيؤدى إلى " الإنقسامية بدلا من التعاون " . ولم يلبث الاتحاد الأمريكى الوطنى لتقدم الملونين أن انغمس فى هذا النزاع ، متخذا موقفا نشيطا ضد الاتجاه المتزايد لاستخدام البوابات والمتاريس لإغلاق الشوارع فى المجتمعات والمجاورات .

كانت مجاورة فايف أوكس ، القريبة من وسط دايتون ، أوهايو ، تتـــاضل ضـــد كثافة وازدحام المرور ومشكلات الدعارة والمخدرات ، ونزوح قدامى السكان فيـــها . وجاء رد المدينة عليهم عام ١٩٩٢ فى شكل خطة لإقامة بوابـــات تغلــق الشـــوارع بالمجاورة ، بصورة تؤدى إلى تقسيمها إلى ثمانية تقسيمات فى كـــل منـــها ثلاثـــة أو أربعة شوارع ومدخل واحد فحســـب ، علـــى أن تغلــق بــاقى الشـــوارع الداخليـــة ببوابات أوتوماتيكية ، وبحيث لا تربط الشوارع المغذية بين التقسيمات الثمانية . وفـــى حين أن الهدف من إغلاق الشوارع هو الحد من الجريمة ومن كثافة المـــرور ، فقـــد انطوى أيضا على هدف ثانوى هو تحديد شوارع التقسيمات الصغيرة بوضوح تحـــت إشراف السكان بأمل أن يؤدى إلى " إثارة الشعور لديهم بالملكية. وبهذا سوف تتغـــير طبيعة الشوارع من شوارع مفتوحة للمرور العام وبدون ترابط أو هوية محـــددة إلـــى شوارع مغلقة مقصور دخولها على السكان المقيمين الذين يتوحدون معـــها ويضفـــون عليها شخصيتهم ". [٢١] ولقد اعتبرت الشرطة ومعظم السكان إغلاق شـــوارع فـــايف أوكس نجاحا ، حتى وإن استمر البعض فى معارضته . لقـــد انخفضـــت الجريمـــة ، وارتفعت قيمة الممتلكات . [٢٢] وفى الوقت الذى تكافح فيه المدن عـــبر البـــلاد ضـــد الجريمة وضد نزوح الطبقة الوسطى ، فإن الكثيرين ينظرون إلى مجاورة فايف أوكس وغيرها من مجاورات عليها المتاريس بوصفها نموذجا يحتذى .

خط ماجينو الجديد : ميامى شورز ، فلوريدا

تشبه مدينة ميامى شورز ، الأفلام السينمائية أكثر منها مكانـــا حقيقيـــا للعيـــش فيـــه. فخلفيتها خليج بسكاى وهو نفس المنظر الذى شكل إطارا لكثير من حلقـــات المسلســـل التلفزيونى " رذيلة ميامى ". وشوارع المدينة وارفة الظلال بأشجار النخيل والصنوبـــر والكافور . وتوجد فى مدخل الخليج قصور تقف فى عزلة عما يليها من منـــازل فـــى حلقات متتابعة ، وهى وإن كانت أقل تكلفة كلما تباعدت الحلقـــات ، إلا أنـــها لا تقـــل بحال عن منازل الطبقة الوسطى وطيدة الأركان . وتبدو كمدينة صغـــيرة لا تتجـــاوز مساحتها ميلين ونصف الميل المربع ، إلا أنها تقع على حافة مدينة ميامى الكـــبرى ، وتجرى شوارعها دون انقطاع من الخليج حتى شبكة طرق ميامى .

وكان مرشدنا لميامى شورز هو جاى بيتش ، مدير الأشغال بالمدينة ، وهو موظف مدنى مهذب لفحته الشمس ، تبدو عليه الصرامة وقوة المعرفة . ويقدم نفسه على أنه مدير لا يقبل اللغو يعرف مدينته وقومه . ويدرك أيضا أن مدينته بمثابة جزيرة فى منطقة حضرية كبرى تتمدد عشوائيا ، مشيرا لجمال مدينته الصغيرة مقابل ما يعتبره قذارة مدينة ميامى المتاخمة .

إن الجادة التى تعين حدود مدينة ميامى شورز تعين أيضا نهاية البيئة الأصيلة للسينما . فعلى الجانب الآخر للشارع ، فى ميامى ، توجد مجاورة تضم أبناء الطبقة العاملة وفقراء من السود . وبعض مبانيها فى حاجة للطلاء ، والسيارات توجد فى المربعات السكنية ، كما تتجمع القمامة فى الشوارع . وليس الاختلاف بين الجانبين مقصورا على اللون والدخل ، وإنما أيضا فى مستوى الخدمات التى توفرها كلتا المدينتين . وقيل لنا : إن جمع القمامة فى مجاورة ميامى عملية شاذة وغير كافية لدرجة أن السكان يعبرون الشارع فى كثير من الأحيان حاملين نفاياتهم للتخلص منها فى يوم جمع القمامة من ميامى شورز .

وليست القمامة وحدها هى التى تعبر الشارع ، على حد قول جاى بيتش ، فالجريمة والفوضى والبلطجة تجئ هى الأخرى من الجانب الآخر . ويرى أنه ما لم يتم التصدى لها ، فستؤدى إلى تدهور ميامى شورز ، أو على الأقل تدهور المربعات السكنية المحاذية لميامى ، وأنه لذلك يؤيد قلبا وقالبا الحل الذى اهتدت إليه مدينته : نصب المتاريس على الشوارع .

بدأ طرح الموضوع عام ١٩٨٨ أثناء حملة الانتخابات لمنصب العمدة حين وعد أحدهم بتحسين وضع الأمن العام . وعندما انتخب هذا المرشح تقدم بوعد آخر هو اتباعه لأسلوب الانفتاح فى الحكم بأن يستعين بآراء مواطنيه بالنسبة لما يواجههم من مشكلات جادة . وعليه ، فقد حضر أول اجتماع موسع بالمدينة عدد لم يسبق له مثيل بلغ عدة آلاف من المواطنين . ولم يكن ثمة اجتماع بهذا الحجم لا من قبل ولا من بعد . وقد فرضت المشاغل المتعلقة بالأمن العام نفسها ذاك المساء ، خصوصا انحلال مجاورات ميامى عبر الحد الشرقى . وكان الانطباع السائد أن الجريمة فى ميامى شورز جاءت من المجاورات التى تقع ناحية الشرق منها .

فقد وقعت مؤخرا سلسلة من حوادث خطف الحقائب بالطريق والاعتداء على الناس فى مداخل بيوتهم ، وقالت النساء : إنهن يشعرن بالفزع أثناء وجودهن بالخارج . وشعر كبار السن بالرعب من قطاع الطريق الذين بوسعهم اختراق مجاوراتهم من خلال أى من الطرق الرئيسية العديدة والهرب قبل أى استجابة بوليسية . وكان الرأى أن المدينة معرضة للخطر . وأسفر الاجتماع عن رد بسيط : تأمين الحدود الخارجية .

وعهد باقتراح إقامة المتاريس لغلق الشوارع بطول الحدود إلى مجموعة عمل من بين المواطنين ، خرجت فيما بعد بخطة مغالى فيها تدعو لنظام متاريس يعزل عمليا كافة المداخل للمدينة من ناحية ميامى ، مع إقامة شبكة ممرات معقدة داخلها توضع المتاريس مرة أخرى عليها ، على أن تظل الطرق الرئيسية وحدها مفتوحة .

كان رد فعل مجلس مدينة ميامى شورز تجاه الخطة أشبه بالصدمة . فالخطة متطرفة جدا ومثيرة للخلاف ، وربما انطوت على انتهاك لقانون الولاية الخاص بالمرور ، فضلا عما تمثله من كابوس للشرطة ولرجال الإطفاء . وعليه ، رفض تقرير مجموعة العمل . ولكن لأن العمدة كان يريد الوفاء بوعده ، فقد طلب إلى المواطنين عرض آرائهم ، وعقدت جلسات استماع لمناقشة خطة أقل طموحا أعدها مدير المدينة ، وتقضى بتقليص عدد المتاريس وتركيز الباقى على الحدود الشرقية. لكن حتى هذه الخطة المعدلة قسمت المدينة . فشعر أعضاء مجموعة العمل السابقة أنهم تعرضوا لخيانة ، بينما تمسك فريق قوى من سكان ميامى شورز بأن إقامة أى متاريس إجراء غير دستورى وغير ديمقراطى وتحركة نزعة عنصرية . وتمسك مجلس المدينة بموقفه فى الإبقاء على بعض المتاريس البسيطة والتى ستكون وظيفتها السيطرة على الدخول دون عزل المجاورات فى المدينة بعضها عن البعض . وفى نهاية الأمر تمت الموافقة على الخطة بعد اختزال عدد المتاريس الداخلية إرضاء للضغوط السياسية ، وخول مدير المدينة صلاحية تطوير وتنفيذ الخطة وتصميم المتاريس .

قام مهندس معمارى محلى واستشارى فى مسائل الأمن يدعى راندال آتلاس بتصميم المتاريس . وكانت أساسا عبارة عن أحواض من الشجيرات المنسقة عبر الشارع لتسفر عن شارع مسدود مزين بأشجار النخيل والزهور والعلامات العاكسة .

ومن العسير الادعاء بأن شكل الشوارع فى عدة أماكن ألم به أى تغيير ، لكن الجيران على الجانب الشرقى اعتبروا المتاريس إهانة شخصية أيا كانت جاذبيتها . وفى البداية قاد المعارضون سيارات نقل اقتحموا بها المتاريس فأتلفوا الأسوار العشبية . وكرد على ذلك لجأ عمال المدينة لتقوية المتاريس بتثبيت قواعد خرسانية وجنازير حديدية وتثبيت أعمدة متقاربة ، بصورة جعلت من اقتحام السيارات أمرا متعذرا ، ونجحت هذه الاستراتيجية وبقيت المتاريس صامدة حتى الآن .

وقدمت طلبات أخرى لتطوير هذا النظام إلى مستوى ثان هو فى جوهره عزل المجاورات داخليا ، وقد رفض مجلس المدينة على الفور الأخذ بذلك لأسباب سياسية وبراجماتية وعملية معا ، إذ أن نشر المزيد من المتاريس قد يعوق حركة المرور ويثير غضب ولاية فلوريدا، أو مقاطعة ديد التى تقع المدينة فى إقليمها . وعلى الأقل فإن بعض أعضاء المجلس رأوا فى فصل مجاورات شورز عن بعضها البعض تشويها لمجتمع ميامى شورز ، وذلك رغم ارتياحهم لعزلها عن مدينة ميامى .

ويبقى التساؤل عما إذا كانت المتاريس قد حققت الغرض منها ، لا أحد يعرف على وجه اليقين . لقد حدث انخفاض فى نوعيات معينة من الجريمة ، لكن دور المتاريس فى هذا لم يتم البرهنة عليه . وأيا كانت الحقيقة ، فلدى السكان شعور قوى بالأمان وباتوا أكثر استعدادا للسير فى شوارعهم . إلا أن الخلاف استمر حول مواقع المتاريس وحول المتاريس ذاتها . وقد ترك المدينة بعض الذين عارضوا الخطة مبدئيا وتركها آخرون بسبب معاكس هو فشلهم فى إقامة متاريس جديدة فى أماكن أرادوها بالتحديد .

ولا تزال المرارة التى خلفها موضوع المتاريس جزءا من النسيج السياسى ، وهى ما زالت موضوعا مطروحا بصفة دائمة على مجلس المدينة . فبعض المجاورات داخل ميامى شورز تشعر بأن المتاريس حولت مشاكل المرور والجريمة ناحيتهم ، ويشعر آخرون بأن المتاريس صغيرة جدا ولا تقدم ردا كافيا . وأيا كان موقف السكان من هذه القضية الحساسة فهى لن تموت . لقد أصبحت ميامى شورز اليوم خلف المتاريس . والسؤال هو ، فى أى جانب يوجد قفل البوابة ؟

الجريمة والمجتمع فى المنطقة الآمنة

إن المجاورات فى داخل المدن وتلك ذات الدخل المنخفض تشعر باليأس ، أما مجاورات الضواحى التى تراقب اقتراب مشكلات الحضر منها ، فتشعر بالقلق . والقضايا التى تثير الهموم سواء فى المدينة أو الضاحية أو الأعشاش وراء المتاريس ، تشبه تلك التى تشغل بال مجتمعات الحياة المتميزة ومجتمعات المكانة : السيطرة ، الخصوصية ، الأمن ، والخوف . ويكمن الفارق بالنسبة للمناطق الآمنة فى أن السكان يشعرون بوطأة مشكلة المرور والجريمة داخل مجاوراتهم أو تأتيهم من الأحياء المجاورة لهم ، ومن ثم فقد أخذوا زمام المبادرة محاولين استعادة السيطرة على أرضهم سواء ببناء البوابات أو المتاريس .

وكثير من مجاورات المناطق الآمنة تعرف الروح المجتمعية على حقيقتها ، وتناضل فى سبيل الحفاظ عليها أو استعادتها من جديد . فالمجتمع أكثر من أن يكون مجرد سلعة ، إنه فى هذه الحالات إحساس بأرض مشتركة وبمصير مشترك . وسكان المجتمع ليسوا على استعداد لاجتثاث جذورهم ، وأن يفروا بعيدا من المركز الحضرى ولكن يكافحون لحفظ مجتمعاتهم ونوعية حياتهم ، ومع ذلك هل تمثل البوابات الإجابة الصحيحة ؟

فعادة ما تورط البوابات المحليات فى صراعات محلية وخارجية على السواء على نحو ما رأينا . وقد يكون الصراع أشد وطأة فى الأعشاش وراء المتاريس رغم عدم إغلاقها بالكامل وذلك بسبب بقاء الشوارع فيها عامة . وتنشأ التوترات العرقية عادة عند مناقشة موضوعى البوابات والمتاريس . جرى ذلك فى مابل وود ، ونيو آرك ، ونيوجرسى ، وميامى شورز .

وفى منطقة كوكونت جروفز بميامى ، فإن غربها ذا الأغلبية من أصول كاريبية أمريكية تكاتف ضد إقامة بوابات أو متاريس على الأحياء الأخرى فى جروفز والأكثر غنى ، معتبرا ذلك جزءا من مؤامرة عنصرية . وقد أبلغنا أحد المخططين المحليين بأن عددا من السكان الأغنياء فى جروفز اقترحوا كبديل لإنشاء المتاريس فى أحيائهم ، أن تعزل المنطقة غربى جروفز بمتاريس لاحتواء مشكلات الفقر والجريمة فيها . (٢٣)

وقد قامت وزارة الإسكان والتنمية الحضرية فى الولايات المتحدة بإجراء تحقيق بشأن إغلاق العديد من الشوارع بمدينة هيوستن عام ١٩٩٤ . إذ كانت المدينة قد استنت قانونا محليا يسمح بإغلاق الشوارع من أجل سلامة المرور والتحكم فيه ، فاشتكى بعض السكان من أن كثيرا من تلك الإغلاقات كانت وراءها نوازع تمييزية وعنصرية ، زاعمين أن البيانات الإحصائية تؤكد أن الأمر أسفر عن تقسيم المجاورات طبقا لاعتبارات عنصرية . [٢٤] وفى عام ١٩٩٣ ، حين اقترح العمدة ريتشارد م. دالى خطة لسد نهاية شوارع مدينة شيكاغو بحواجز خرسانية ، كان الاحتجاج حول ذلك صاخبا . وكثير من أهل شيكاغو الذين آلمهم إقامة متاريس الشوارع فى الضواحى كمحاولة لغلق المدينة ، أحسوا بأن هذه الحواجز من شأنها تقسيم المدينة حسب العرق والطبقة ، بما يؤدى لعزلة الفقراء والملونين فى المدينة التى يشعرون بحق أنها ملك للجميع .

وعلى الرغم من هذه الصراعات ، فإن أعدادا متزايدة من المجاورات تفكر فى المتاريس كمحاولة لحماية منازلهم ، وشوارعهم ، وحياتهم . هذا ، وتعتبر البيانات المتناثرة محليا عن فاعلية المتاريس أقرب لقصص وحكايات غير حاسمة وغارقة فى عمومية ـــ مثل أن الجريمة أقل ، أو أكثر ، أو لا تغيير على الإطلاق . وهناك تقارير عن انخفاض الجرائم فى مناطق مجاورة ، وهناك تقارير أخرى بارتفاعها. وقامت بعض المجاورات بإزالة البوابات أو المتاريس من منطلق شعور بالإحباط وخيبة الأمل بعد جهادهم من أجل إقامتها ، بينما ظلت مجاورات أخرى وراء المتاريس تنعم بالسلام والنجاح ، ملهمة مجاورات أخرى للاقتداء بها .

فى منتصف السبعينيات ، قام أوسكار نيومان المخطط الذى أشار على الحكومات والمجاورات بوضع خطط للبوابات ، بعقد مقارنة بين المجاورات ذات الشوارع المغلقة فى سانت لويس والمجاورات ذات الشوارع المفتوحة . وأسفرت الدراسة عن وجود متغيرات تتعلق بوقوع الجرائم ، لكن بوجه عام فإن الشوارع العامة المفتوحة شهدت جرائم أكثر مما شهدته الشوارع المغلقة . [٢٥] وكان الاختلاف الأكبر بين نوعى الشوارع والمجاورات هو الإدراك الوجدانى ، فالذين يقيمون وراء البوابات يشعرون بأمان أكثر فى شوارعهم ، وأكثر استعدادا لأن يتركوا الأبواب والنوافذ مفتوحة .

ومن جانبها، قامت شرطة لاودرديل بإعداد دراستين أكثر شمولا وأوسع نطاقا. أسفرت أولاهما عن عدم وجود تغيير يعتد به في معدلات جرائم العنف وجرائم الممتلكات باحدى المجاورات ذات الشوارع المغلقة ، فى حين انخفضت بشكل ملحوظ جرائم سرقة السيارات واقتحام المنازل وغيرها بعد إغلاق الشوارع مباشرة ، وإن استمر هذا لفترة قصيرة فحسب .[٢٦] أما الدراسة الثانية (انظر جدول ٥-٢) والتى قامت بها وحدة الوقاية من الجريمة بشرطة فورت لاودرديل ، فقد قارنت بين التغيير الذى طرأ على معدلات الجريمة فى عدة مجاورات ذات شوارع مغلقة ومثيلتها فى المدينة ككل . وتوصلت إلى أن البوابات والمتاريس ليست ذات تأثير يذكر . وتزامنا مع ذلك قامت دورية ضباط بعمل مسح ميدانى ، أفاد بأن الغالبية تكره إغلاق الشوارع، ويعتقد معظمهم أنها لم تقلل الجريمة ، وأسوأ من ذلك أنها تهدر وقتا ثمينا فى حالات الطوارئ ، وتثبط من همة دوريات الشرطة .[٢٧]

إن النظرية وراء إغلاق الشوارع والوقاية من الجريمة من خلال التخطيط البيئى ، تذهب إلى أن أى شئ من شأنه زيادة الإحساس لدى سكان المجاورات بارتباطهم بالإرض والاعتزاز بالمكان ، يساعد على خفض الجريمة . وقوة الدفع تكمن فى خلق مكان " يمكن الدفاع عنه " أو خدود طبيعية يكون السكان مستعدين وقادرين على السيطرة عليها والدفاع عنها . ومهما يكن من أمر التغييرات بسبب التصميم المادى ، فإن عنصرا رئيسيا لضمان نجاح منع الجريمة من خلال التصميم البيئى ، يتمثل فى قوة ترابط المجتمع وروح المشاركة فيه . ومع هذا فإن ضباط فورت لاودرديل قروا أنهم كانوا شهودا على مشاحنات وانقسامات فى عدة مجاورات أثناء مناقشة وضع المتاريس على شوارعها . وبقدر حرصهم على تعاون السكان ، فقد حذر الضباط من أن خطط إغلاق الشوارع أدت إلى الاستقطاب داخل المجاورات وأطاحت بالمنظمات الموجودة بها . وبالتأكيد كانت تلك هى المحصلة فى وايتلى هايتس .

وبقدر تزايد هجرة البيض وأبناء الطبقة الوسطى من العديد من مراكز المدن فإن المجتمع هو طوق النجاة بالنسبة لقلب هذه المدن . فالمتاريس تخلق جزرا آمنة ، وقد تسفر عن تغيير نفسانى ، ولكنها لا تساعد إلا بالكاد فى وقف موجات الهجرة. وكثيرين من مجاورات ميامى التى زرناها كانوا على وشك الرحيل . وفى كوكونت

جدول (٥-٢) اتجاهات معدل الجريمة فى مجاورات فورت لاودرديل ؛ ١٩٨٨-١٩٨٩

نوع المجاورة	الاختلاف عن السنوات السابقة (نسبة مئوية) ١٩٨٨	١٩٨٩
مجاورات ذات متاريس[أ]		
ريفرسايد بارك	١٨ -	٦
صن رايز انتركوستال	٦ -	٢ -
تاربون ريفر	٣ -	٨ -
إدج وود		٨ -
المتوسط	٧ -	٣ -
مجاورات مفتوحة[ب]		
كورال ريدج	١٥ -	صفر
دورسى ريفربند	١٨ -	٦
فورت لاودرديل بيتش	٩ -	٥ -
ريفر أواكس	٦	٩ -
فيكتوريا بارك	١٣ -	٩
ريفر لاند	٧ -	٢ -
ميدل ريفر	١٨ -	٢ -
كرواسانت بارك	١٠ -	٦ -
بوينستا هايتس	٢ -	٦ -
نورث إيست بروجريسو	١١ -	١٨ -
ملروز مانورز	٩ -	١٤
شادى بانكس	١٣ -	١٥
لاودرديل مانورز	١ -	١١ -
نورث إيست فورت لاودرديل	٩ -	٢ -
جزر كورال ريدج	٨ -	٤ -
المتوسط	٩ -	١ -
المتوسط العام للمدينة	١١ -	٢ -

المصدر : وحدتى الأبحاث ومنع الجريمة ، بإدارة شرطة لاودرديل ، دراسة عن اغلاق الشوارع ، ١٩٩٠ .

(أ) المجاورات ذات المتاريس تشمل كل المجاورات ذات الحدود المعرفة بواسطة الشرطة والتى استمرت المتاريس قائمة بها خلال العام بأكمله .

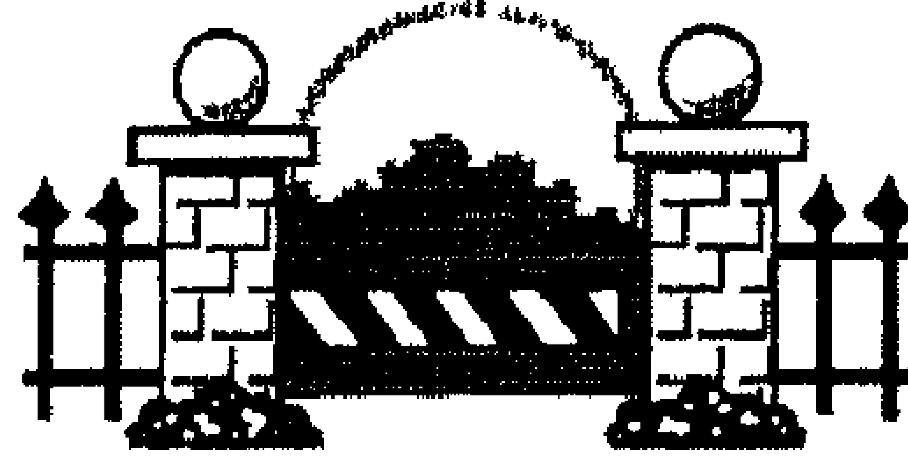
(ب) المجاورات المفتوحة تشمل كل المجاورات ذات الحدود المعرفة بواسطة الشرطة.

جروفز صرح أحد السكان الذى كافح لإغلاق شوارع مجاورته " بأن وضع المتاريس شئ منطقى بالنظر لنوعية الحياة الفظيعة هنا ".(٢٨)

إن المنطقة الآمنة تمثل كفاحا من أجل السيطرة على أرض المجاورة ، ولكنه كفاح وراءه دوافع كثيرة . فإغلاق بعض شوارع الأعشاش وراءه الحرص على الراحة ربما من مشكلات المرور . وفى غيرها قد يكون الدافع لها الحرص على المكانة ، أو التفرد أو الرغبة فى رفع قيمة الممتلكات أو حماية أرض الأعيان. وثمة دوافع أخرى كثيرة تعبر عن مشاكل حقيقية . فالجهد المبذول من جانب أصحاب الامتيازات والأعيان لعزل مجاوراتهم عن تلك الأفقر ، يمثل أساسا اجتماعيا تحوطه الشكوك فى مجتمع ديمقراطى. لكن الجهود التى تبذل لحماية المجاورات المعرضة لتهديد حقيقي والدفاع عنها ، لا يجوز أن تكون عرضة للتشويه ، لأنها تمثل جهدا جماعيا لحل مشكلة ما . وحتى لو كان الحل مشكوكا فى فاعليته فسيظل التنظيم المجتمعى والمبادرة نحو الارتقاء بالمجاورات خطوة إيجابية .

الفصـــل السادس

يمكنك أن تجرى لا أن تختبئ



بعض الناس يجتذبهم الأخذ بنظام البوابات ، من أجل المكانة والوضـــع والوجاهــة ، وآخرون من أجل الخصوصية ، والبعض يسعى وراء خصخصة الأرض والخدمـــات بالمناطق التى يعيشون بها عن طريق شرائها والسيطرة عليها. وهناك من يبحث عـــن النادى الريفى ليستمتع فى انفرادية بأشكال الاستجمام المختلفة ، كمـــا يوجـــد البعـــض ممن يريدون الاحتماء من الجريمة ومشكلات المرور . والجميع يريــــدون الســـيطرة على منازلهم وشوارعهم ومجاوراتهم . وهم يســـعون لذلـــك مـــن خـــلال البوابـــات والحراس والأسوار لاستبعاد الدخلاء عن أرضهم . وسننظر فى هذا الفصل إلى نتـــائج استطلاع للرأى أجريناه على المستوى القومى عن المجتمعات المغلقة ، وصولا لبحـــث الدوافع والخبرات التى حصلها سكان المجتمعات المغلقة .

الأمان وراء البوابات

الأمن والخوف من الجريمة من أهم القضايا التى تشغل الأمة. فنحو تسعين فى المائـــة من الأمريكيين يعتقدون أن الجريمة تزداد سوءا ، وخمسة وخمسون فى المائة منـــهم

قلقون من أن يصبحوا ضحايا للجرائم ، ونفس النسبة يشعرون بأنهم لا يلقون حماية كافية من الشرطة .[1] وتظهر نتائج الاستطلاع بشأن مجالس اتحادات الملاك أن الأمن هاجس رئيسى لدى المشترين فى المجتمعات المغلقة. ويعتقد أفراد العينة أنهم وجيرانهم تأثروا بالتحصينات حول تقسيماتهم ، وبينما أكد ٧٠ فى المائة منهم بأن الأمن كان مسألة مهمة جدا فى اتخاذ قرارهم بالعيش فى المجتمعات المغلقة ، فإن واحدا فى المائة فقط ذكروا أن الأمن لم يكن دافعا مهما . (انظر شكل ٦-١) .

وفى تلك الدراسة ، فإن المجتمعات المغلقة أصبحت جزءا من التنامى المثير للصناعة الأمنية . وفى دراسة أعدها المعهد القومى للعدالة عام ١٩٩٣ ، ثبت أن عدد العاملين فى القطاع الأمنى ، بدءا بصناعة الأجهزة وانتهاء بقيادة السيارات المحصنة ، يزيدون بمقدار ثلاثة أضعاف عن عدد المستخدمين لدى الهيئات الحكومية المسئولة عن تنفيذ القانون . ومن أوائل الثمانينيات حتى أوائل التسعينيات من القرن العشرين فإن عدد حراس الأمن تضاعف وفاق عدد رجال الشرطة ، كما زاد ما ينفق على الأمن الخاص بنسبة ٧٣ فى المائة عن قوة الشرطة العامة ، لتصبح بذلك المصدر الرئيسى للحماية فى الأمة .[2]

ولقد تكرر ما ذكره السكان عن حرصهم لحماية أنفسهم ضد الجريمة ومشكلات المرور ، وأن تكون لهم سيطرة على مجاوراتهم . ويعتقدون أن البوابات تخدم هذا الغرض . ويعتقد أكثر من ثلثى العينة أن الجرائم أقل فى منشآتهم عنها فى المناطق المحيطة . ومن هؤلاء ، أرجعت نسبة ٨٠ فى المائة الفضل فى ذلك إلى البوابات . (انظر شكل ٦-٢) .

ويوجد بكثير من المجتمعات المفتوحة أيضا نماذجها الخاصة بالأمن . فقد أوضح استطلاع الرأى الذى أجراه معهد اتحاد المجتمعات والذى أدمجت دراستنا فيه ، أنه بالإضافة إلى ١٩ فى المائة من المنشآت المغلقة ، فإن ٢٧ فى المائة أخرى لجأت لأشكال أمنية مختلفة مثل إقامة الجدران أو استخدام دوريات الحراس الجوالة. وهناك نسبة ٥٤ فى المائة لا يوجد بها أى نظام أمنى . وقد ردت العينات على سؤال حول تقديرهم لمستوى الجريمة هل هو أقل أو أكثر أو متساو فى منشآتهم مع المنطقة المجاورة ، وتم تحليل النتائج على أساس نماذج الأمن فى منشآتهم (انظر شكل ٦-٣) . ولم يكن مثيرا للدهشة أنه بقدر ارتفاع مستوى الأنظمة الأمنية تكون الإجابات متفقة مع الشعور أكثر بالأمان . ورغم أن نسبة ٤١ فى المائة من العينات

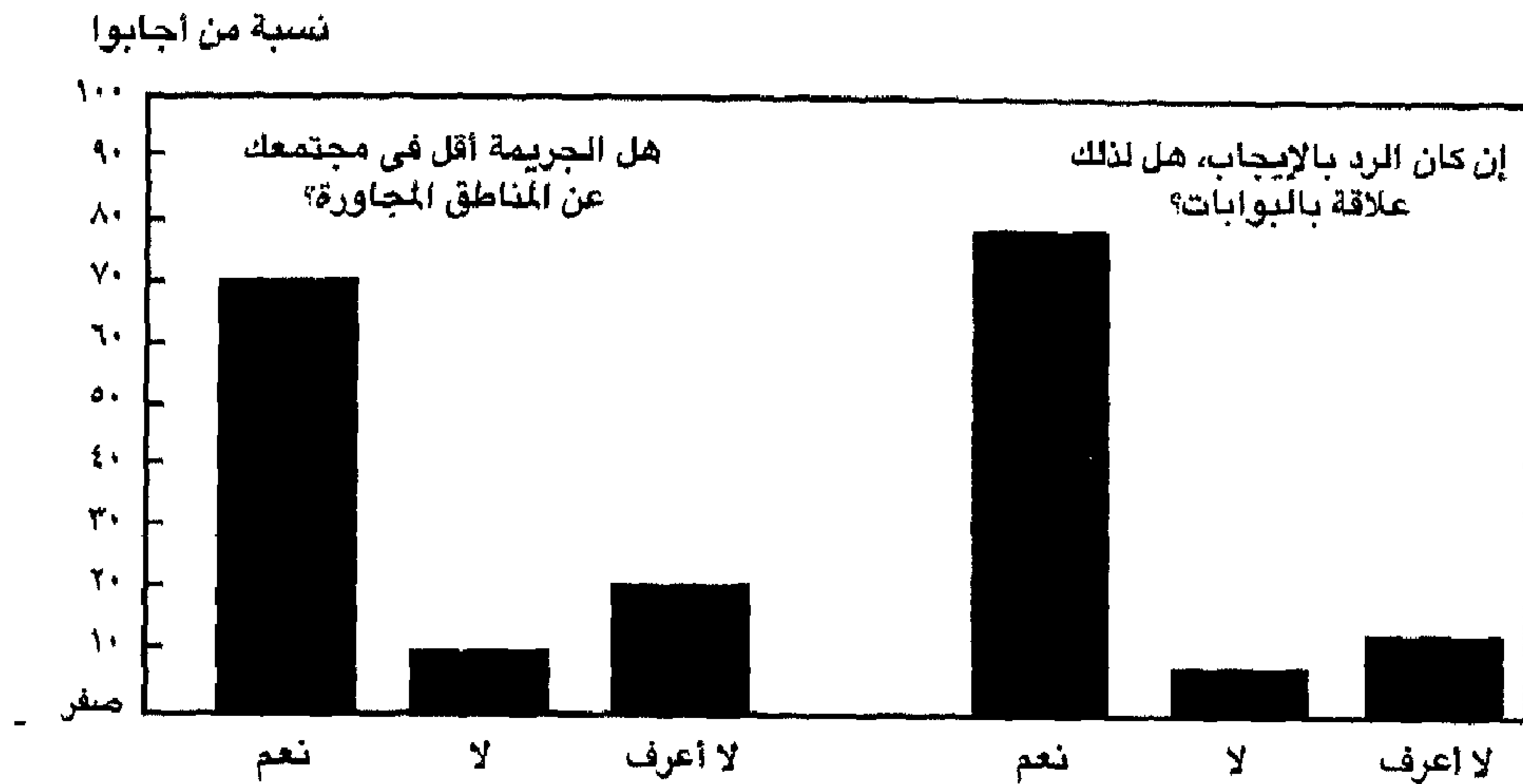
شكل (٦-١) أهمية الأمن فى اختيار مجتمع مغلق



المصدر : استطلاع الرأى الذى أجراه المؤلفان ، ١٩٩٥ .

المنتمية لمنشآت غير مؤمنة أفادوا بأن الجريمة لديهم أقل من المناطق المجاورة، فإن نسبة أكبر بكثير فى المجتمعات المتوافر بها بعض الاحتياطات الأمنية أفادوا أن الجريمة أقل عندهم . ومن الردود التى أثارت الدهشة أن نسبة ضئيلة فقط من كل حالة ، بغض النظر عن مستوى النظام الأمنى ، قالت إن الجريمة زادت فى منشآتهم. أما أعلى النسب التى عبرت عن الاعتقاد بأن معدلات الجريمة عندهم أقل ، فإنهم يعيشون بمنشآت لديها إما بيوت حراسة (بنسبة ٨١ فى المائة) أو حراس على مدار الساعات الأربع والعشرين (بنسبة ٨٠ فى المائة) ، وجاء تاليا لذلك المنشآت ذات الحراسة لبعض الوقت ، (بنسبة ٦٧ فى المائة) ، فى حين أن من لديهم بوابات مزودة بأجهزة التحكم عن بعد كانت نسبة القائلين بانخفاض الجريمة لديهم ٥٨ فى المائة . وكان حوالى نصف العينات من المقيمين بمنشآت تفتقر للاحتياطات الأمنية قد أفادوا بأن مستوى الجريمة لديهم مماثل لمستواها فى المناطق المجاورة . وأكدت ذلك باقى الفئات وإن كان بنسبة أقل .

شكل (٦-٢) مفهوم البوابة كعامل يقلل من الجريمة



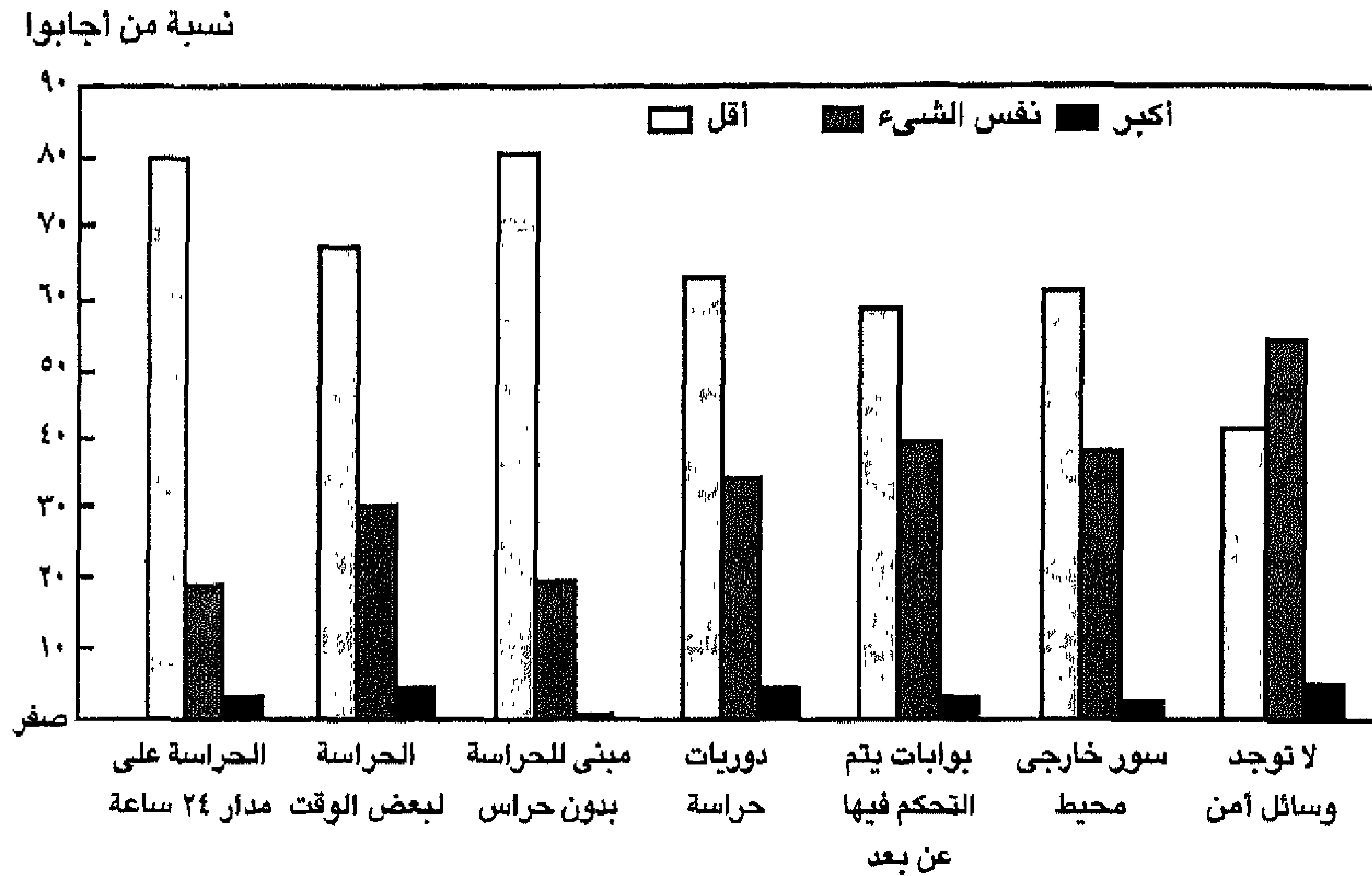
المصدر : استطلاع للرأى أجراه المؤلفان عام ١٩٩٥ .

فهل هذا الإحساس بقدر أكبر من الأمان بفضل البوابات أمر تدعمه البراهين ؟ إن الغموض وتفاوت التقديرات الذى يكتنف البوابات والمتاريس كأداة تهدف للسيطرة على الجريمة ، وهو ما ناقشناه فى الفصل الخامس ، يبين أنه رغم شعور بعض الناس بأمان أكثر ، فمن المحتمل ألا يكونوا كذلك .

إن الخوف والقلق يقتاتان على بعضهما البعض ، كما أن البوابات والجدران تعكس الخوف وتكون بمثابة تذكرة يومياً بالأخطار الكامنة فى الجانب الآخر ، كما ولا تفعل إلا القليل لتحسين الواقع . وحتى بافتراض أن الجريمة منخفضة بالمجتمعات المغلقة ، فإن شوارع المدينة والضاحية لم يطرأ عليها تغيير . وبطبيعة الحال ، فهناك أكثر من الخوف من الجريمة ، ووراء موجة إنشاء البوابات ، فالبوابات تعيد الطمأنينة فى وجه القلق المتزايد بسبب المتغيرات الاقتصادية والديموغرافية والاجتماعية . إنها بمثابة درع لنا فى عالم نشعر فيه أننا مستهدفون .

ويجادل بعض المؤيدين للمجتمعات المغلقة بأن تزويد المنشآت بوسائل أمن خاصة من شأنه التخفيف من الأعباء المنوطة بشرطة السلطات العامة ، ومن ثم

شكل (٦-٣) المستوى المتوقع للجريمة حسب نوع الأمن



المصدر : دورين هايسلر ووارين كلاين ، *نظرة فى داخل اتحادات ملاك المجتمعات : حقـــائق ورؤى* (الاسكندرية ، فرجينيا : معهد اتحادات الملاك ، ١٩٩٦) ص ١٦ .

توجيه موارد الأخيرة لأماكن أخرى . بيد أنه فـــى معظـــم الحـــالات ، فـــإن الأمـــن الخاص يزيد من خدمات الشرطة ولا يحل محلها . ويصدق ذلك بشكل خاص حيـــث لا تكون دوريات الشوارع السكنية جزءا مهما فى أنشطة الشرطة ، كما هو الحال فـــى بعض الضواحى ذات المعدل المنخفض للجريمة ، وحيث تكون المجتمعـــات المغلقـــة أكثر شيوعا . ومع ذلك فإن النتيجة لم تكن مزيدا من القوة العامة للشـــرطة موجهـــة لصالح من يعيشون خارج المجتمعات المغلقة ، بل أسفرت عن نظام أمـــن مـــزدوج : مزيد من الأمن لمن يدفعون لدعم الشرطة بأمن خاص ، وأمن أقل لمن لا يســـتطيعون ذلك أو لا يقومون بذلك. ويقول فرانك تـــيرنر مديـــر إدارة خدمـــات المنشـــآت فـــى مدينة بلانو بتكساس .. " إذا سلمنا بأن ذلك ضرورى من أجـــل الســـلامة والأمـــن ، فيتعين علينا أن نوفرها لكل المنشآت الجديدة ، لماذا نقول : إن شـــخصا مـــا يكفيـــه أمن من الدرجة الثانية .

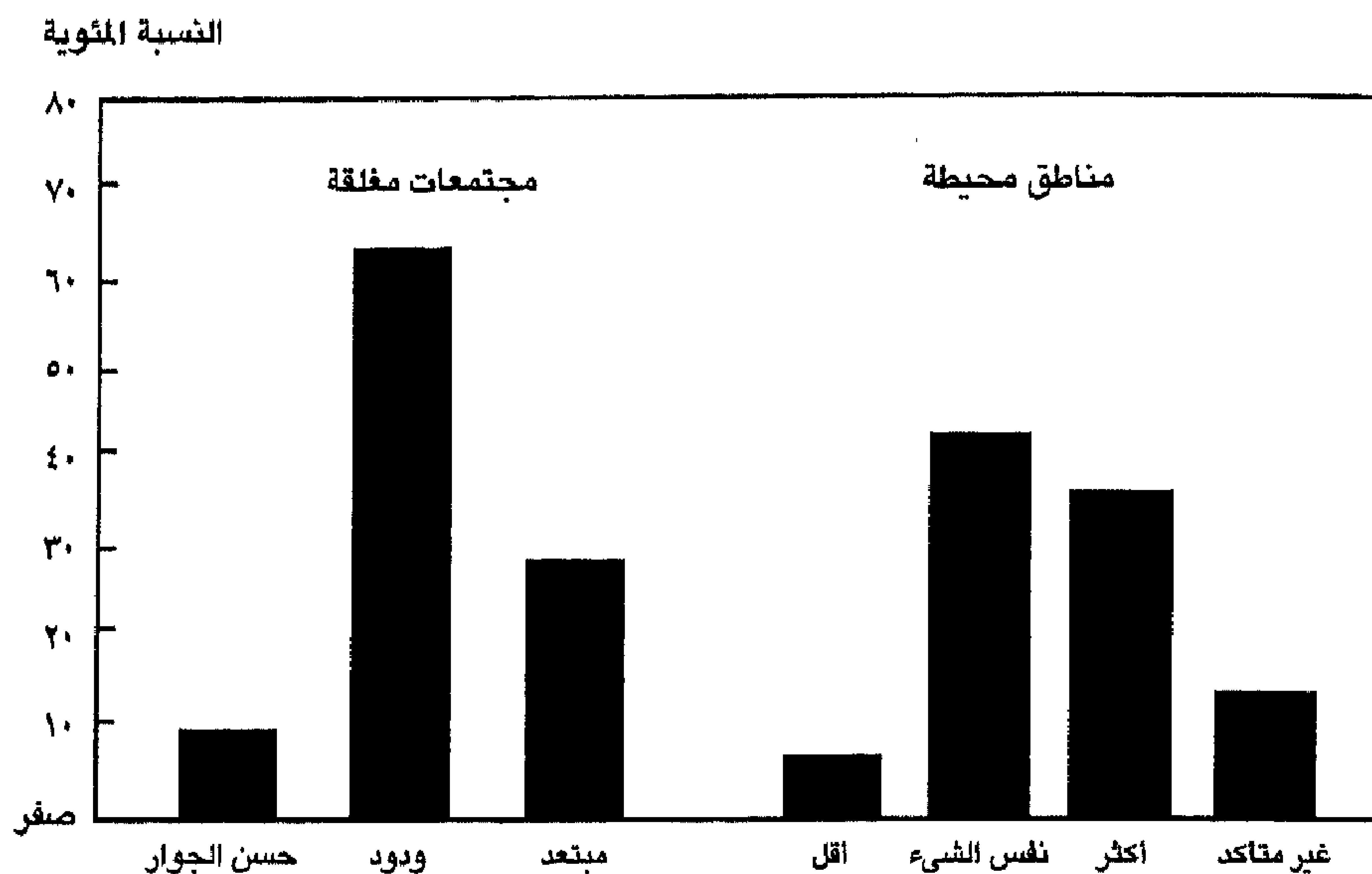
المجتمع خلف البوابة

هناك أسباب تدعونا لأن نتوقع أن مد الجدران والأسوار ووضع البوابة علـــى مدخـــل منشأة ما ، سيدعم المنطقة فى صورتها كمجتمع . إن المؤيدين للمجتمعـــــات المغلقـــة يجادلون دائما فى أن السماح للمجاورات بتعيين حدودها وحمايتها مع السيطرة علـــــى الدخول إليها سوف ينمى من إحساس السكان بالهوية وبالأمان ، وكلاهمـــا ضـــرورى للمجتمعات القوية . وعلى الأقل بالنسبة لمجتمع مرتبط بالمكان ، فإن أهمية الحـــدود ، معرفة ما " لنا " وما للآخرين ، موضوع متداول فى كثير من الأدبيات الاجتماعية .(٤) ويمكن للحدود الطبيعية واضحة الملامح أن تساعد فى فرض التفـــاعل الاجتمـــاعى ، والتخفيف من الصراعات ، وإثارة مشاعر الارتباط بالأرض والملكيـــة ، بمـــا يزيـــد من التضامن ويوفر الأساس للاعتماد المتبادل والعمل المشترك .

وثمة خصائص أخرى للمجتمعات المغلقة تشترك فيها مع كافة اتحادات المــــلاك الخاصة ، نظر إليها الكثيرون على أنها تشجع ليس الحس المجتمعـــى فحســـب ، بـــل والعمل المجتمعى أيضا . (٥) وتشمل هذه الخصائص التجانس فى مســـتوى الدخـــل ، وفى المصالح ، وفى أسلوب الحياة ، وهو ما ينتج عن التجزئة داخـــل المنشـــأة إلـــى تقسيمات فرعية منفصلة تبعا لنوع الاسكان ، ووجود بنيـــة لحكـــم ذاتـــى وللاتصـــال وللتلاحم المؤسسى فى شكل اتحاد للملاك ، ودرجة من الاعتماد الاقتصادى المتبـــادل الناتج عن الملكية المشتركة للأماكن العامة والخدمات والشوارع ، بـــل وفـــى حالـــة المساكن المتصلة ، والأسطح والجدران .

ومفهوم المجتمع فى هذا الكتاب يشير إلى المجتمع العاطفى ــ " المشاعر الطيبة " والشعور بالانتماء الذى يعنيه أغلب الأمريكيين حين يتحدثون عن المجتمع ــ وأيضـــا إلى مجتمع المشاركة العامة وبذل الجهد نحو غايات مشتركة . وينبغى عـــدم الخلـــط بين الإشباع المجتمعى ، وهو مفـــهوم لـــه علاقتـــه بـــالموضوع ، وبيـــن المشـــاعر المجتمعية أو الروابط المجتمعية ، فالإشباع ليس هو المشاركة ، بقـــدر مـــا إن ربـــط الهوية بالمكان ليس هو الشعور بالانتماء . فالإشباع والهوية هما ارتباطان فى اتجـــاه واحد بمكان أو بمجموعة ، بينما المشاركة والانتماء يمثلان رابطة حقيقية وتداخلا فـــى اتجاهين ، وهو ما يتطلبه المجتمع على نحو ما عرفناه .

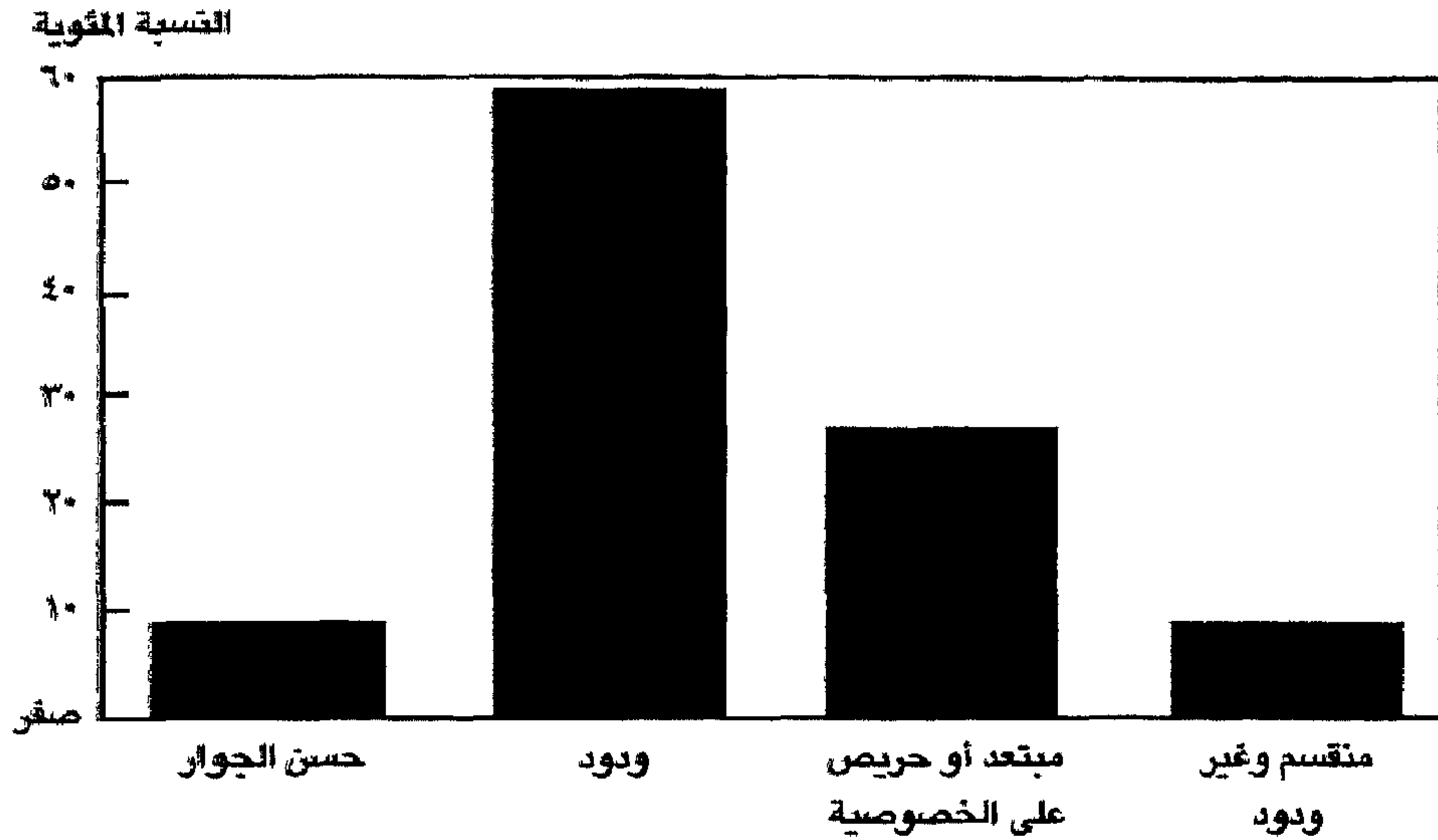
شكل (٦-٤) مستوى الحس المجتمعى المتوقع فـــى المجتمـــع المغلـــق مقارنـــة بالمناطق المحيطة



المصدر : هايسلر وكلاين : *نظرة فى الداخل* .

استهدف المسح الذى أعددناه قياس كيفية شعور سكان المجتمعات المغلقـــة تجـــاه منشآتهم ، وإلى أى مدى يشتركون فى الحياة الاجتماعية فى مجاورتهم وفى إدارتـــها . وفى استطلاعين للرأى وجهت أسئلة تتعلق بدرجة إحساس السكان بالجماعة ومقارنتـــه بشعورهم إزاء قاطنى المنشآت الأخرى القريبة منهم . وقد رد معظـــم العينـــات بـــأن منشآتهم يسودها المناخ " الودى " ، وأكد ٨ فى المائة فقط أن علاقاتهم " وثيقة وتتســـم بحسن الجوار "، بينما عبر ٢٨ فى المائة ــ لدهشتنا ــ عن أن السكان فى مجاوراتـــهم تراوحت مشاعرهم بين " الخصوصية " أو " الاحتفاظ بمسافة " . ورغم أن أكثر مـــن الثلث رأوا أن مستوى الشعور بالجماعة داخل منشآتهم أفضل مـــن معظـــم المنشـــآت حولهم، فإن الغالبية تميل إلى القول بأن " ذات الشعور " مثله فـــى أى مكـــان آخـــر . (انظر شكل ٦-٤) .

شكل (٦-٥) تقدير المشاعر داخل المجتمع



المصدر : هايسلر وكلاين : *نظرة في الداخل* .

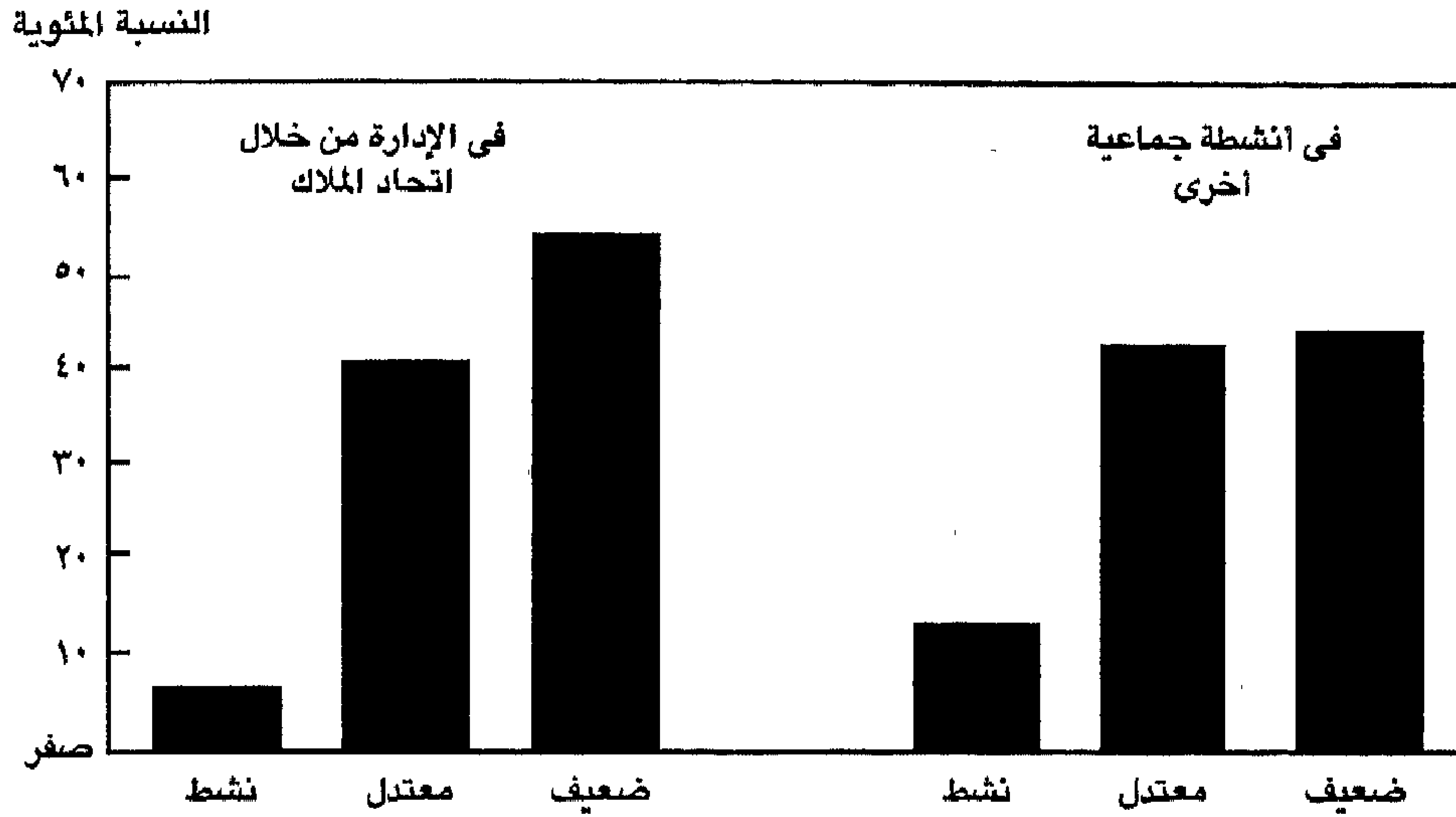
أما الاستطلاع الذى قام به معهد اتحاد المجتمعات ، فقد أضاف سؤالا عن الشعور بالجماعة . وكان مطابقا تقريبا للسؤال الذى وجهناه نحن للسكان فى المجتمعات المغلقة، وقد أجاب عنه كل من شملتهم العينة . (انظر شكل ٦-٥) . ولكى نعزل تأثير البوابات بقدر الإمكان ، قمنا بمقارنة الإجابات التى تلقيناها من سكان المجتمعات المغلقة، بتلك التى جاءت من كل العينة والتى شملت المنشآت الخاصة التى بها اتحادات للملاك . [٦] وكانت الإجابات من المجتمعات المغلقة تميل إلى وصف الشعور المجتمعى فى منشآتهم بأنه " حميم " أكثر مما جاء فى إجابات العينة ككل ، وذلك بنسبة ٦٨ فى المائة و ٥٨ فى المائة بالترتيب . وتساوت نفس النسبة ، ٨ فى المائة بين العينة ككل وسكان المجتمعات المغلقة فى وصف منشآتهم بأنها " حسنة الجوار ومتماسكة " . أما نسبة الذين رأوا أن الشعور المجتمعى فى منشآتهم أقل فى مستواه مما يجب ، فكانت الثلث تقريبا بين كافة من شملهم الاستطلاع ، والربع بين سكان المجتمعات المغلقة .

وتتفق النتائج المتقدمة ، مع استطلاع آخر بشأن مستوى الروح المجتمعية أجرى بصفة عشوائية بين سكان مقاطعة أورانج بكاليفورنيا ، أجراه مارك بالداسار مع جورجينا ويلسون . وفيه ، أفادت نسبة ٦٨ فى المائة بأنهم يعيشون بأماكن يسودها الشعور بالجماعة . (٧) وقد شمل هذا المسح مناطق حضرية وأخرى بالضواحى حيث وجد أن سكان المناطق ذات الخصائص " الحضرية " ، أى ذات النسب المئوية الأعلى من الأقليات ومن الكثافة السكانية ، كانوا أقرب إلى نفس الحس المجتمعى بمناطقهم . أما العوامل الأخرى المرتبطة ارتباطا ذا مغزى بالحس المجتمعى ، فتمثلت فى شعور عينات الاستطلاع بالرضاء عن مستوى الخصوصية وعن مدى المشاركة العامة فى المسائل المتعلقة بالمدينة أو بمجاوراتهم .

كذلك تتفق نتائج الاستطلاع الذى أجريناه مع البيانات النوعية التى استقيناها من اثنى عشر حوارا أجريناها مع مجموعات من سكان مجتمعات مغلقة ، حيث وجدنا مستويات عالية من الرضاء لدى السكان فى كل مكان زرناه تقريبا . فالناس كانوا فخورين بمجاوراتهم وينظرون إليها بوجه عام كأماكن تتسم بالمودة . كما تشير دراستنا إلى أنه على الرغم من أن معظم سكان المجتمعات المغلقة لا يشعرون بأن منشآتهم لديها حس مجتمعى أكبر من المنشآت الأخرى المجاورة ، فإن ٣٣ فى المائة منهم يعتقدون أن لديهم شعورا أكثر بالجيرة . كما أن نسبة أعلى لحد ما بينهم ، مقارنة بعينة الاستطلاع ككل ، أفادت بأن الحس المجتمعى " معتدل " المستوى فى منشآتهم . وكما ذكر بعض من شملهم الحوار من سكان المجتمعات المغلقة ، فإن البوابات ربما ساعدت السكان على مزيد من الارتباط بمجاوراتهم ، وعلى مزيد من التعرف بجيرانهم ، وعلى الشعور بمزيد من الأمن والانفتاح فى التفاعل الاجتماعى .

ولكن يصح التساؤل عما إذا كانت هذه النتيجة تعبر عن شعور بالارتياح أيا كانت درجة أهميته يتعلق برضاء السكان ونوعية الحياة ؟ أم أنها تمتد إلى المشاركة فى حياة المجتمع والإحساس بالمصالح المشتركة والاعتماد المتبادل ، وهو السمة العامة للمجتمع ؟ . لدراسة موضوع المشاركة فى المجتمع، فإن الاستطلاع الذى أجريناه طرح عدة أسئلة حول مستوى المداخلة باتحادات الملاك سواء كحكومة مصغرة أو كأداة مجتمعية (انظر شكل ٦-٦) . وفى هذا الصدد ، أبلغنا أعضاء مجالس الاتحادات التى شملها المسح بأن مستوى المشاركة المجتمعية أقل بكثير من

شكل (٦-٦) مستوى المشاركة



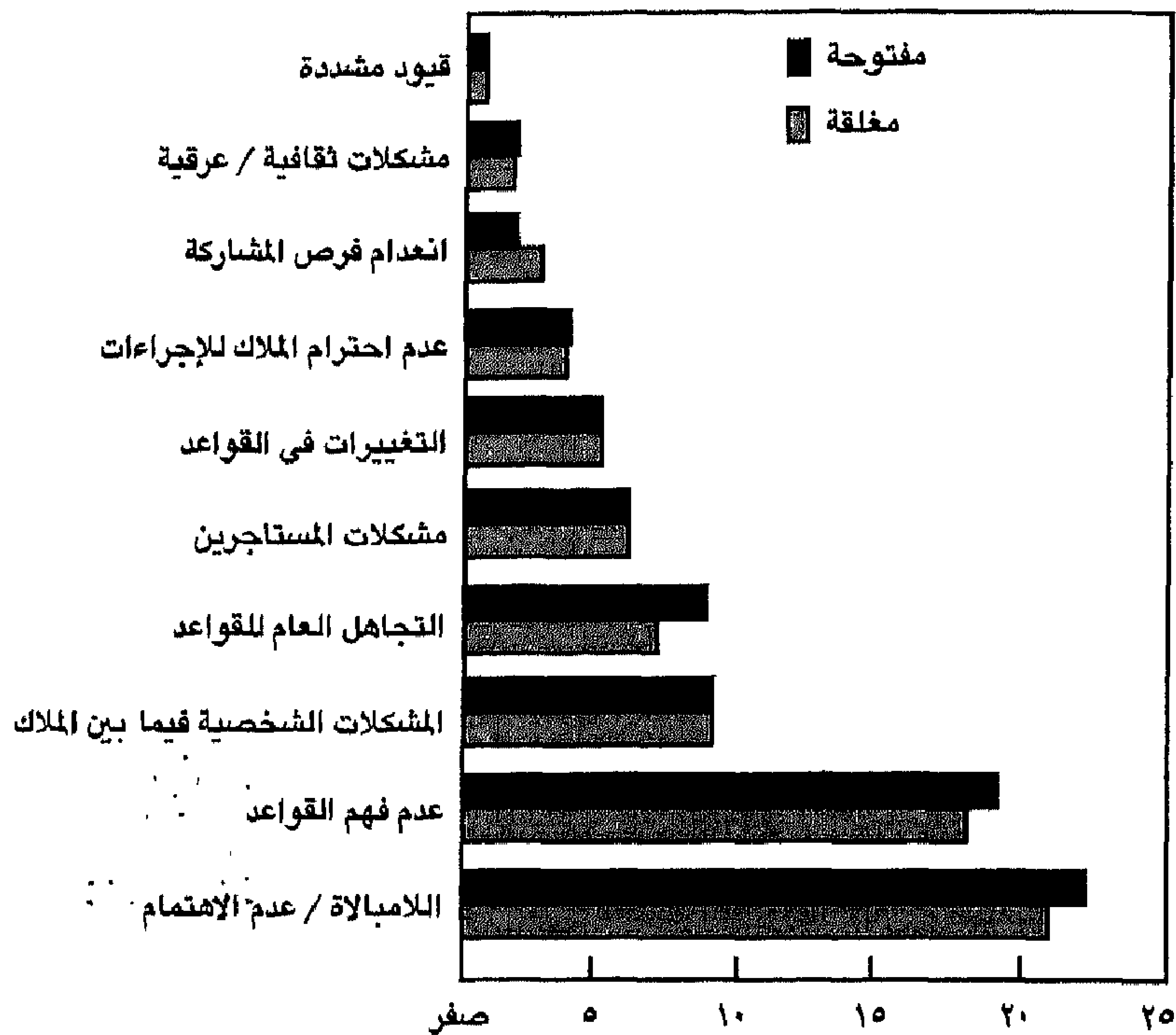
المصدر : استطلاع للرأى أجراه المؤلفان ، ١٩٩٥ .



مستوى الحى المجتمعى ، وذكرت نسبة ٦ فى المائة منهم فحسب أن السكان فى منشآتهم كانوا " نشيطين جداً " إزاء المسائل المتعلقة بالإدارة. أما الأغلبية ، بنسبة ٥٥ فى المائة ، فأفادت بأن السكان غير نشيطين . ان مستويات المشاركة فى الحياة الاجتماعية بدت أعلى منها فى الإدارة . وهنا فإن ١٣ فى المائة من أعضاء مجالس اتحادات الملاك يذكرون أن السكان كانوا " نشيطين جدا " فى مناسبات لا علاقة لها بالإدارة مثل حفلات المربعات السكنية أو عند الترحيب بسكان جدد . أما من أجابوا بكون السكان " نشيطين لحد ما " أو " غير نشيطين " فكانت نسبتهم ٤١ فى المائة و ٤٦ فى المائة على التوالى .

هذا ، وكان الجزء الرئيسى من الاستطلاع الذى أجراه معهد اتحاد المجتمعات والموجه لكلا المجتمعين ، المغلق والمفتوح ، خاليا من السؤال المتقدم ، وبالتالى فلا يمكن عقد مقارنات فى هذا الشأن. ومع هذا فقد طلب من العينات أن يحددوا ويصنفوا

شكل (٦–٧) العوامل التى تسهم فى إثارة المشاكل : المجتمعات المغلقة مقابل المجتمعات المفتوحة[أ]



المصدر : هايسلر وكلاين ، *نظرة فى الداخل* .

(أ) تضمنت عناصر أخرى اختيارية تتعلق بمجالس اتحادات الملاك وأسلوب إدارتها ، وقد تعرض لها أقل من ١٠ فى المائة ممن أجابوا على الاستطلاع .

العوامل التى تسهم فى خلق المشكلات فى المنشآت ، وكان أحد هذه العوامل " اللامبالاة/ عدم الاهتمام " وهو عامل يفيد قياس مستوى المشاركة والانخراط فى نشاطات اتحاد الملاك. وردا على ذلك كانت النسب متقاربة فى المجتمعات المغلقة والمفتوحة ، حيث أفاد ٢١ فى المائة من العينات بالمجتمعات المغلقة أن اللامبالاة هى أهم مصدر للمشاكل داخل المنشأة ، مقابل ٢٢ فى المائة من عينات المجتمعات المفتوحة . وبالنسبة لعينات كلا المجتمعين ، فاللامبالاة كانت ثانى أكثر أسباب إثارة

المشاكل تواترا ، وذلك راجع لعدم فهم بعض السكان للقواعد المرعية فـــى المنشـــأة . (انظر شكل ٦-٧). وثمة عامل آخر متصل بـــــهذا، ويتمثـــل فـــى " عـــدم إتاحـــة الفرصة للمشاركة " حسبما جاء على لسان ٣ فى المائة من عينات المجتمعات المغلقـــة و٢ فى المائة من تلك المفتوحة . وقريب من ذلك ، أفاد ٤ فى المائـــــة مـــن عينـــات كلا الفريقين بأن " تجاهل الملاك لالتزاماتهم " يشكل أيضا مصدرا للمشاكل .

إن درجة اللامبالاة والسلبيات الأخرى ذات الصلة بالمشـــاركة والتـــى أوردتـــها عينات الاستطلاع بالمجتمعات المغلقة والمفتوحة ، كانت متطابقـــة فـــى مضمونـــها ، رغم أن الحس المجتمعى فى المجتمعـــات المغلقـــة كـــان أعلـــى لحـــد مـــا . فـــهذه الإجابات تبدو وكأنها تؤكد تحليلنا بأن البوابات وإن ساعدت السكان على التفاعل مـــع منشآتهم والتعرف على جيرانهم ، وزيادة الحس المجتمعى لديهم ، إلا أنها بحد ذاتـــــها وبسببها لا تؤدى روابط أقوى أو مشاعر من الاعتماد المتبادل .

وكما رأينا بالفصل الثانى ، فالدراسات المعنية لم تسفر إلا عن القليل بشأن قـــدرة اتحادات الملاك على خلق مستويات أعلى من المشاركة ، ومن الحكم الذاتى . وجـــادل البعض فى ذلك بدعوى أن هذا القصور فى المشاركة ربما كان راجعـــا إلـــى ثانويـــة المشكلات ، أو إلى خلل فى تكوين مجلس الاتحاد أو الإجراءات التى تحكـــم عملـــه . بينما رأى آخرون أن مرجع القصور مرتبط بتولى القطاع الخاص لمسئوليات عامـــة ، أو إلى نقص الوعى بالمشاركة فى المجتمع بأسره .[8] وأيا كـــانت الأســـباب ، فمـــن الواضح أن البوابات لا تساعد فى زيادة المشـــاركة أو فـــى الوعـــى للتغلـــب علـــى اللامبالاة . وكلتا المشكلتين توجد فى المجتمع المغلق والمجتمع المفتـــوح والمجتمـــع بوجه عام .

ولأن المجتمعات المغلقة لديها حدود واضحة ، وأدوات اتصال منظمة هى بمثابـــة جزء لا يتجزأ من بنيتها مثل اتحادات الملاك ، والنوادى ، وآليـــات أخـــرى موجهـــة لدمج أعضائها فى البنية الاجتماعية ، فإن المـــرء قـــد يتوقـــع تناميـــا فـــى الـــروح المجتمعية أو مزيدا من التقارب داخل المجتمعات المغلقة . ولكـــن يبـــدو أن الوضـــع بخلاف ذلك . فعلى الرغم من أن هياكل هذه الآليات قد تدعم الإحساس المجتمعـــــى ، فإنها لا تخلقه. ومن الممكن إيجاد المجاورة داخل حدود مجمع على هويتـــها ، لكـــن من الصعب خلق المجاورة بمعنى المسئولية المتبادلة نحوهـــا. والمجتمعـــات المغلقـــة

ليست أفضل أو أسوأ من المجتمع ككــل فـــى خلــق الإحســاس القـــوى بالمواطنـــة الجماعية . وعلى الأقل ، نظريا ، فهى تتيح برنامجا أفضل للتفاعل المتبادل ، وروحــا تعاونية أكثر مما بالمستوطنات المفتوحة ، ومع هذا فلم نلاحظ ثمة مؤشـــرات علـــى أنها أكثر نجاحا فى تحقيق ذلك .

محدودية الحيز المنفصل

ليس من قبيــل المصادفــة أن يشــير المخططــون العمرانيــون لمنتجــهم بوصفــه " مجتمعا " ، وأن يذهب بعض المنشآت المغلقة ، وخاصة منشآت الحيـــاة المتمــيزة ، لمدى بعيد فى خلق الحس المجتمعى عند سكانها . ففى ديزرت هوريزونـــز القريبـــة من بالم سبرنجز ، فى كاليفورنيا ، تصدر نشرة خاصة بعنوان " هوريزونـــز " مـــن أجل " الأربعمائة المحظوظين " ، تعنى بنشر صور السكان أثنـــاء المناســبات التـــى يحييها اتحاد الملاك بمناسبة الأعياد أو ترحيبا بقادم جديد ، كما تنشـــر أعمـــدة عـــن جوائز الجولف ونتائج المباريات وسجل بالأحداث فيها .

مثل هذه الجهود للاستثارة المجتمعية لا يبدو أنها تخلق بيئات تتسم بقـــدر أكـــبر من حسن الجوار ، أو مشاركة مجتمعية أكـــثر ممـــا تفعـــل المنشـــآت المفتوحـــة . وبراير وود ، وكارلتون سكوير وهما مجتمعان مغلقان يضمان نحو ثلاثة آلاف نســـمة فى إنجلوود بكاليفورنيا ، يقدمان المثال على ذلك . فبالرغم من حقيقة أن من ســـكانهما من شغل مناصب عامة ، وأن معدلات التصويت بها مرتفعة ، فإنـــهما قـــد إشـــتهرتا بمحدودية دورهما فى حياة المدينة . وحتما داخل الجدران ، فإن المشاركة تبدو مفتقـــدة هى الأخرى . وقد سجل رئيس اتحاد المـــلاك فـــى كـــارلتون ســـكوير أن حضـــور الاجتماعات الشهرية ضعيف . كما يقول أحد السكان المخضرمين الـــذى عـــاش فـــى براير وود لمدة عشرين عاما أن المنشأة .. " ممعنـــة فـــى الخصوصيـــة .. فـــالواحد لا يعرف جيرانه فعلا ، هذا هو أسلوب الحياة هنا ".[٩]

إن " مجتمعات المصلحة المشتركة " تعبير يجرى تداوله كثـــيرا للدلالـــة علـــى اتحادات الملاك . وتبدو العبارة شاذة فى ضوء البيانات المتوافرة . فالمصالح بصفـــة عامة تبدو مقصورة على المسئولية المالية عن الأماكن المشتركة والمرافق ، وكذلـــك

بالنسبة لقيمة الممتلكات ، ومع هذا فالعبارة تشير إلى الشق الإيجابى للنظام المحلى وللحكم من خلال اتحاد الملاك، وهو موضوع أثاره مؤخرا بعض المفكرين التعاونيين من أمثال آميتاى إتسيونى .[١٠] فزيادة التضامن والروابط القوية بين السكان تبدو مسعى إيجابيا ، كما أنها فى الحقيقة الأساس لكل إسهام فى الحياة العامة . وبالقطع ، فإن سكان المدن المسورة يرون أن أنظمة الأمن لديهم من شأنها دعم الجيرة والمجتمع . كما أن السبب الذى يجعل السكان يشعرون بأن مجاوراتهم المغلقة أقوى مجتمعيا من غيرها، مع أنها لا تبرهن على مشاركة أكثر فى هذه المجتمعات، هو الاختلاف بين مظهرى المجتمع : الجانب الشخصى للعاطفة ، والجانب العام للمشاركة . فالروابط داخل البوابات تشكلت من أجل غايات فردية وخاصة ، حماية الممتلكات ونوعية الحياة الأسرية . وفى هذا ، فإن النتائج التى توصلنا إليها تختلف قليلا عن الا ستنتاجات التى توصل إليها بعض الباحثين بشأن سكان الضواحى وعلاقتهم بالمجتمع . فيذهب دافيد هامون إلى أن سكان الضواحى يرون أن مدنهم ومجاوراتهم ليست مجتمع الروابط المشتركة والتفاعل الاجتماعى المشترك ، وإنما كمكان ينعموا فيه بالخصوصية ، ويغلب عليه طابع النظافة والهدوء ، إنه المكان الآمن والمناسب للعزلة وللحياة الأسرية .[١١]

وثمة جانب آخر لموضوع المجتمع هو مدى ارتباط سكان المنشآت المغلقة بالمجتمع الأكبر ؟ هل يرون أنفسهم وحياتهم ومستقبلهم مرتبطة بالمدن والأقاليم خارج بواباتهم ؟ إن المجتمع داخل المجاورة شئ مهم ، ولكنه ليس كافيا لبعث الحيوية فى مجاورة أو فى أمة . فالمجتمع السكانى يجب أن يمتد فيما وراء المجاورة إلى المجتمع الأوسع الذى تمثل المنطقة السكنية جزءا منه فحسب .

والتساؤل عما إذا كان من الممكن الحفاظ على تجمع صحى عاما كان أم خاصا بدون التزام نحو المجتمع الأرحب ، وبدون التوازن بين الفردية والمجتمعية ، تساؤل قديم فى أمريكا . وقد سبق وعبر توكفيل عن هذا بقوله .. " الفردية شعور هادئ ومحسوب ، وهى تغرى كل مواطن بأن يعزل نفسه عن كتلة رفاقه وينسحب إلى دائرة الأسرة والاصدقاء ، وبهذا المجتمع الصغير الذى تشكل على ذوقه ، يترك الفرد ، وهو سعيد ، المجتمع الكبير لحال سبيله ".[١٢]

وفى دراسته عن الفردية والمجتمع فى الحياة الأمريكية، وجد روبرت بيللاه أنه على الرغم من أن الميزان لم يتحول كلية إلى جانب الفردية فى أمريكا ، فإن كثيرين قد اختاروا أن يحيطوا أنفسهم بأناس على شاكلتهم فى أراضى الضواحى ، قانعين بتعريف ضيق للمجتمع يشمل فقط أولئك الذين يشاركونهم أسلوب الحياة فى ملاذ مغلق . وتعكس المقابلات التى أجريناها والبيانات التى جمعناها وخبراتنا فى المجتمعات المغلقة، بقوة الصورة التى رسمها بيلا ورفاقه . وفى الواقع ، فقد عثروا على أحد ساكنى الضواحى ممن تحولوا للإقامة بمجتمع مغلق ، وفى حديث عن ضاحيته المتنامية قال .. " أتمنى لو كنا قد قمنا بشراء عشرين فدانا آنذاك (١٩٥٩) .. عشرين فدانا متاخمة للريف ، وحفرنا حولها خندقا أطلقنا فيه التماسيح . وسيكون لديك مجتمع جيد إذا أمنت له التشكيله الكاملة ، محال تجارية كافية لسد احتياجاتك ، ولكن لا أعنى مراكز تجارية كبيرة تجتذب أناسا من خارج التجمع .. لكم أحب أن أرى مجتمعنا ينمو كما لو كان جزيرة ". (١٣)

لقد أوجدت المجتمعات المغلقة خيارا إسكانيا جديدا للبعض منا ، لكنها أوجدت أيضا معضلة اجتماعية تواجهنا جميعا . فالغرض من البوابات والجدران هو أن تحد من الاتصال الاجتماعى ، وهذا بدوره يضعف الروابط التى تشكل العقد الاجتماعى . وقد ذكر سمسار عقارى، كان ضمن مجموعة أجرينا حوارا معها فى كاليفورنيا ، .. " إنها صورة من مجتمع الصفوة .. لا يريدون أن يعقدوا رابطة أخوة أو يختلطوا مع عامة الناس من وسط المدينة ".(١٤) ولاحظت سيدة أن بعض السكان الذين جاءوا من أوكلاند أو لوس انجليس مثلا كان لديهم حساسية للمشكلات المجتمعية الكبيرة ، وان لم تكن بنفس الدرجة قبل انتقالهم لمجتمع الضواحى المغلقة ". وقد عبر عدد ممن حضروا الاجتماع عن تأييدهم لما قالته . وأضاف آخر ، إن الذين لم يسكنوا من قبل فى المدينة، أو بمنطقة تختلط فيها مستويات الدخول ، وعاينوا المشاكل التى تواجهها طبقات أخرى، فإنهم لن يحفلوا بشئ على الإطلاق .

وقد وجد باحثون آخرون ، عنوا بدراسة الملاذات المغلقة ، أشكالا مشابهة تحد من الاتصالات . فحين قارن أوسكار نيومان بين شوارع سان لويس المغلقة بمثيلاتها فى المناطق المفتوحة ، وجد أن سكان الشوارع الخاصة المغلقة أكثر ميلا لتعريف

مجاورتهم بأنها الشارع الذى يقيمون به . أما بالنسبة للسكان بالشوارع المفتوحة فقد كانت قلة منهم فقط هى التى استخدمت نفس التعريف .[١٥]

فى أى مدينة مفتوحة ، حتى ولو كان بها نوع من الفصل العنصرى ، سيجد الناس، مع اختلاف ألوانهم ودخولهم ، أنفسهم بحاجة إلى التفاوض فيما بينهم على مصيرهم المشترك. وفى تناولهم لهذا الموضوع أو ذاك، سيتعلمون كيف يثمن أحدهم الآخر عاليا ، الأمر الذى يوسع من نطاق العلاقات المجتمعية . أما فى البيئات المعزولة اجتماعيا، فإن التباعد يؤدى إلى النمطية وعدم الفهم، الذى يؤدى بدوره إلى الخوف وإلى مزيد من التباعد . وضربت إحدى السيدات فى أحد لقاءاتنا ، مثلا على ذلك الوضع قائلة : إنها لم تفكر فى مغادرة مكتبها الواقع فى وسط سان فرانسسكو ، حتى خلال فترة تناول الغذاء ، خوفا من الناس فى الشارع ، والمبنى الذى تعمل به يقع على شارع مركزى وبه متاجر كبيرة ومكاتب ، وعادة يزدحم بالناس وكثيرون بينهم من رجال الأعمال والمتسوقين ، ولكن ولأنه مكان عام يستطيع أى إنسان أن يغشاه ، فهو ـ من منظور راحتها ـ تصعب السيطرة عليه ، ويصعب التنبؤ بما قد يجرى فيه . وعلى عكس ضاحيتها المغلقة ، فذاك الشارع يزيد من احتمالات تعرضها للاعتداء ، وهذا هو شعورها الذى وصل إلى مستوى غير مقبول .

وقد تناولنا فى بحثنا الضغوط والمتناقضات فى المثالية التى يعكسها المجتمع المغلق . فسكانه ، مثلهم مثل سكان المدن والضواحى بجميع أنحاء البلاد يتفاوتون فى الدرجة بالنسبة لمشاعرهم الشخصية تجاه علاقاتهم وواجباتهم الاجتماعية داخل منشآتهم وخارجها ، والفارق يكمن فى المجتمعات المغلقة حيث الشوارع الخاصة ووسائل الترفيه والحكومة المحلية والأمن ، فالناس يصبحون أقل حاجة للمجتمع العام خارج بوابتهم، من حاجة من يعيشون فى مجتمعات مفتوحة وتقليدية ، فإذا آثروا الانسحاب، فإن الروابط التى سيتحللون منها قليلة ، بقدر قلة اعتمادهم اليومى على المجتمع الكبير .

وثمة قضايا مشابهة يتم طرحها من قبل اتحادات الملاك بشكل عام . والأمر يتعلق بمستوى الحكم الذاتى الذى تتمتع به هذه الحكومات المصغرة ، وإلى أى مدى تستطيع هذه الاتحادات والسكان أن يتصرفوا باستقلال وبمعزل عن الولاية القانونية للسلطات العامة . إن معظم اتحادات الملاك تحظر مثلا الطواف على البيوت للدعاية

الانتخابية ، كما تحظر نصب اللافتات عدا المكتوب عليها " للبيع " ، وهـذا يعنـى أن المرشحين للوظائف العامة والحزبيين لا يستطيعون زيارة السكان للحصول علـى تأييدهم ، كما لا يستطيع السكان إظهار تأييدهم . والبوابة إذن تجعل من السهل جدا استبعاد هذا الشق من العملية الديمقراطية . ويقول جريج ألكساندر إن مشكلة الاستبعاد هذه هى لب الورطة فى المجتمع ، ويضيف قائلا :

" ثمة مخاطرة مستمرة وهى أن الجماعات قد تتطور حتى تصل إلى حياة المخـابئ ، وتجربة حياة الجماعة سوف تتفاقم بدلا من أن تجد حلا لمشكلة الاغتراب ، طالما وجدت الجماعات كوحدات مستقلة ذاتيا وغير مرتبطة بالآخرين . ولكى يعوا مدى قدرتهم على خلـق مجتمـع ، فيجب أن ترتبط هذه الجماعات بالتزام يتطلب منهم أكثر مما يقتضيه الإذعان لطموحاتهم الداخلية . وعلى الجماعات أن تنصاع لالتزام مدنى للحفاظ علـى الـروح المجتمعية داخل مجتمعنا . والوفاء بهذا الالتزام يتطلب تطبيقا عمليا للانفتاح وللحوار ، ويمكن أن يجرى الحوار مع قيام الحدود ، وبالأحرى فهو يفترض وجود الحدود ، ولكن لا يمكن أن يحدث فـى وجود الجدران ".(١٦)

وألكساندر يشير إلى الجدران القانونية أكثر من الجـدران الماديـة ، بيـد أن منطقـه ينطبق على كلا نوعى الحواجز .

وليس كل سكان المجتمعات المغلقة يشعرون بأنهم مسئولون عـن مصيرهم ، بالرغم من مظاهر سيطرتهم على البنية الأساسية والأرض . وفى كوتـن وود فـالى على سبيل المثال ، كان المشاركون فى لقاءاتنا ممن ليس لديهم أولاد ، علـى علـم ودراية بأحوال مدرسة الحى بإيرفنج ، بتكساس ، وهى مدرسة معظم تلاميذها مـن أبناء الأقليات ، وذلك لأنهم رأوا الروابط بينهم وبين البيئة المحيطة بهم . وفى ماربل هيد بكانيون ليك وغيرها من المجتمعات المغلقة ، فإن الثغرات التى أصابت حدودهما المسورة أجبرت السكان على التسليم بعدم جدوى التظاهر بأنهم يعيشـون فـى أرض منعزلة .

ولكن هذه كانت الاستثناءات خلال جولاتنا بالمجتمعات المغلقة فى أنحاء البـلاد . فمعظم السكان قد اعتقدوا أنهم نجحوا فى وضع أنفسهم وراء نطاق المتـاعب بالعـالم الخارجى .

والاتجاه نحو خصخصة الحكومة والمجاورات جزء من اتجاه عام نحو التشـــرذم، والخسارة المترتبة على ذلك من فقدان للروابط والاتصال المجتمعـــي مـــن شـــأنها أن تضيق من مجال المسؤولية المتبادلة وتنال من العقد الاجتماعى . وبغير أن نعى تقريبا ما يحدث ، فإن المفهوم الاجتماعى عن ماذا يعنى كونك قاطنا فى مجتمع ما قد تغـــير، وأصبح من الشائع الآن أن نتكلم عن دافعى الضرائب أكثر مما نتكلم عن مواطنين .

فدافعو الضرائب يسددون ما عليهم للحكومة ويحصلون في المقابل على خدمات . وهـــو أيضـــا ما يفعله رعايا الحكم الشمولي . إن ما لا يفعله دافعو الضرائب ، ومـــا توقـــف النـــاس الذيـــن يسمون أنفسهم كذلك عن فعله طويلا أو حتى التفكير فى فعله، هو الحكم . وفـــى الديمقراطيـــة، بكل معنى الكلمـــة ، يقـــوم النـــاس ـــ مـــن خـــلال ممارســـتهم للحكـــم ـــ بخلـــق ظـــروف الحياة والمؤسسات التى تدعم الروابط بينهم .(١٧)

فى المجتمعات المغلقة وغيرها من الملاذات التى جـــرى خصخصتـــها يصبـــح المجتمع المحلى ، الذى يجد كثير من الناس أن هويتهم مرتبطة به ، هو المجتمع خلـــف الأبواب . والرسوم المحصلة منـــهم لاتحـــاد المـــلاك تصبـــح بمثابـــة الضرائـــب ، ومسؤوليتهم تجاه مجتمعهم ـــ أيا كان مغزاها ـــ تقف عند البوابة . وحتـــى إذا كـــان انسحابهم من الصعيد العام ليس حكرا على المجتمعات المغلقـــة ولكنـــه كـــامن فـــى المجتمع ككل ، فإن البوابات والأسوار تبرز هذا الانسحاب بشكل رمزى ومادى قـــوى يتمثل فى استبعاد الآخر ، وهو بمثابة رسالة موجهة للعالم الخارجي . وكمـــا لخـــص مسؤول بمجلس مدينة بلانو فى تكســـاس رأيـــه فيمـــا تقـــدم مـــن واقـــع معايشـــته لسكان المجتمعات المغلقة فى منطقته .. " إننى أراعى مسؤولياتى ، وأحـــس بالأمـــان هنا ، ولدى بوابة الحراسة ، وسددت حصتى من رسوم الاتحاد ، وأنا مســـؤول عـــن شوارعى ، وعليه ، فلست مسؤولا عـــن المصلحـــة العامـــة لأن عليـــك أن تراعـــى مصلحتك بنفسك ".(١٨)

دولة البوابات

إن الشروع فى بحث كهذا يشبه إلى حد كبير دخولك مجتمعا مغلقا للمـــرة الأولـــى . فلدى المرء بعض الأفكار المسبقة لكن الحقائق فى نواح عديدة تفاجئـــه . أولا ، كـــان

مثار دهشة أن المنشآت وراء البوابات تشبه لحد كبير مشروعات الإسكان المعاصرة . كما أن سكانها لم يكونوا مختلفين فى الواقع عن أقرانهم بالمجتمعات المفتوحة بدليل أن القليل منهم انتقلوا للحياة فى المجتمعات المغلقة ، وهى مفاجأة أخرى . وأكثر الناس الذين تحدثنا معهم ، اختاروا منازلهم وموقعها لعوامل مختلفة ، وبعضهم سكن فى مجتمع مغلق بمحض الصدفة . ومع هذا ، فقد كانت البوابات بالنسبة للغالبية مظهرا مهما ومحل ترحيب ، كما كشفت نتائج الاستطلاع .

وكان من مصادر دهشتنا أيضا ، مدى تهافت وسائل الحماية ، وسهولة اختراقها . فى البداية أصابتنا الرهبة أمام البوابة ، الحرس ، طلب الإذن بالدخول ، إبراز تحقيق الشخصية أمام طلب أحد السكان ذلك ، ثم اعتدنا هذا الأسلوب وأدركنا أن سهولة الدخول مرتبطة إلى حد كبير بانطباعات الحارس : فربطة عنق مع البذلة والسيارة الأنيقة تكفى لكى يفسح لك الطريق . وبالنسبة للبوابات بدون حراس ، عرفنا أنه من السهل الدخول من خلال اللحاق بمؤخرة السيارة الأخرى أمامك . وفى إحدى المنشآت التى تعمل بوابتها بالتحكم الالكترونى ، توقف أحد السكان وهو بسبيله للخروج ليملى علينا فى تأدب أرقام شفرة الدخول ، وبذلك أعفانا من الاتصال بمضيفنا لكى يسمح لنا بالدخول .

ولقد أصبحت أدوات وآليات الأمن منتشرة بكل مكان فى أمريكا بدءا بالمكاتب وانتهاء بالمطارات ، لدرجة أننا لم نعد نشعر بحساسية إزاءها . وحتى إذا زاد نفاد صبرنا نحوها واستخفافنا بها ، وخبراتنا فى تفادى مضايقاتها ، فإننا نعود إليها بوتائر متزايدة ، طالبين المزيد من الحراس والمزيد من الأسوار ، والمزيد من الحماية .

وتساءلنا عن كيفية تفكير الناس إزاء المجتمعات المغلقة ، وعن آراء السكان والمخططين والمصممين والحكومة المحلية بشأنها . كانت تلك الآراء تؤخذ قضية مسلما بها إلى حد كبير ، إذ أن المناقشات العامة ليست مألوفة فيما عدا ما يتصل بإغلاق الشوارع . وقد أصبحت المجتمعات المغلقة بجنوبى كاليفورنيا وغيرها من الأماكن ، جزءا من مشهد ثقافى ، بعد أن بدأ المخططون مؤخرا فحسب فى الاهتمام بالقضايا المحيطة بالمجتمعات المغلقة . أما السكان فمازال معظمهم يرى البوابة ببساطة على أنها إحدى وسائل الراحة تم اختيارها لتناسب ولتعكس أسلوب حياتهم

ولتحمى قيمة ممتلكاتهم . وهى بالنسبة للكثيرين بينهم عنصر ثانوى ، وإن يكن إيجابيا ، حين الشروع فى اختيار المسكن أو التقسيم الفرعى ، وقال معظم من تحدثنا إليهم إنهم لم يفكروا فعلا فى البوابات كحماية لمجاوراتهم ، ومع ذلك فكل واحد منهم ، حتى من اختلطت لديه المشاعر إزاء البوابة ، قال إنه لو خير فسيعطى صوته لصالح الاحتفاظ بالبوابات .

لقد درسنا بعناية تجارب ومواقف سكان المجتمعات المغلقة ، ودرجة الشعور المجتمعى بها ، ومدى دور الحدود والهوية فى إبراز شخصية المجتمع . وكانت إجابات من شملهم الاستطلاع في المجتمعات المغلقة كاشفة عن مستوى أعلى قليلا فى الشعور الإيجابى المجتمعى من غيرهم . وبالتأكيد ، فإن الحدود الطبيعية للمجتمعات المغلقة يبدو أنها تسهم فى إحساس أقوى بالمكان وإن لم يكن بالضرورة بالناس المقيمين فيه . وفى بعض الأماكن التى زرناها تبين أنه كلما زاد الإحساس بالأمان خلف البوابات ازداد شعور السكان بحرية أكبر فى التجول وفى إقامة علاقات اجتماعية فى مجاوراتهم رغم أن البعض كانوا استثناء من ذلك . كذلك وجدنا من واقع زياراتنا الميدانية ومن المقابلات التى أجريناها ، أن معظم التفاعل الاجتماعى وتبادل الزيارات مع الجيران ، والجهد المشترك فى الأنشطة ، حدث بين المشتركين فى نوعية معينة من وسائل الترفيه ، أو بين سكان نفس الشارع أو الشارع المسدود . وليس فى ذلك ما يثير الدهشة .

وأبدينا الاهتمام أيضا بممارسة المواطنة فيما بين سكان المجتمعات المغلقة والمدى الذى بلغوه فى ذلك وفى إدراك أنهم جزء من مجتمع أكبر ، ومستوى اتصالاتهم ومشاركاتهم خارج البوابات . ولم نجد إلا القليل من مظاهر العداء الصريح نحو العالم الخارجى . وعلى الأقل فى بعض الحالات ، فإن البوابات توفر المظهر المادى لحفظ المسافة نفسيا واجتماعيا بين سكان المجتمعات المغلقة وغيرهم من مجتمعات ومواطنين. وبصفة عامة فإن سكان المجتمعات المغلقة لا يفكرون كثيرا فى تبعات اختيار مساكنهم وتأثيرها على الآخرين فى الخارج . وهناك البعض ، ورغم المسافة التى تفصلهم عن مكان الآخرين ، مما يؤثرون الانسحاب ويأنفون من أن يشاركهم مواطنون آخرون فى مواردهم . وبالمقابل فهناك من يبدى اهتماما بالغا بتنظم الدراسة المحلية ، ومن يتطوع فى الأنشطة الخيرية المحلية . ووجدنا أيضا سكانا

يخشون ويتجنبون المدن الصغيرة والمناطق التى كانوا يعيشون فيها أصلا ، مفضلين البقاء داخل جدرانهم . هذا ، وسكان المجتمع المغلق قد لا يكونون أكثر انعزالية من غيرهم المقيمين فى جوارهم المباشر ، أو حتى فى البلاد بأسرها ، لكنهم يمتلكون الأدوات التى تسمح لهم بمدى العزلة التى يرغبونها . وهذا ما لا يفعله سكان المجاورات المفتوحة .

لقد درسنا أنواعا مختلفة من المجتمعات المغلقة والأسباب التى حدت بالناس إلى إقامة البوابات والعيش وراءها . فالبعض يحتمون بها من الجريمة التى تقف عند عتبات دورهم ، وآخرون خائفون من أن تصل الجريمة إلى شوارعهم ، والبعض الآخر يريد المكانة ، الانطباع ، والمركز . والبعض ينشد الخصوصية فى حين يريد آخرون الخصخصة بشراء وإدارة الحيز المشترك والخدمات به . ويفضل البعض النادى الريفى بخصوصيته التى تحقق استمتاعه بألوان الترفيه المفضل إليه . ويسعى البعض لإيجاد مجتمع بأمل أن تساعد البوابة والجوار حوله فى تحديد هويته وجمع الناس فيه حول بعضهم البعض . فالكل يريد السيطرة على بيوتهم وشوارعهم ومجاوراتهم . والكل يريد شعورا أقل بأنه مستهدف .

ولكن ماذا يعنى هذا بالنسبة للبلاد ككل ، بالنسبة لمدننا ولمناطقنا ولمجاوراتنا ؟ وإلى أين سيقود الاتجاه نحو الإغلاق ؟ وأحد سبل استكشاف ما يمكن أن يعنيه إغلاق أمريكا ، هو أن ننظر إلى الأماكن التى انتشرت بها البوابات وأصبحت هى القاعدة لا الاستثناء .

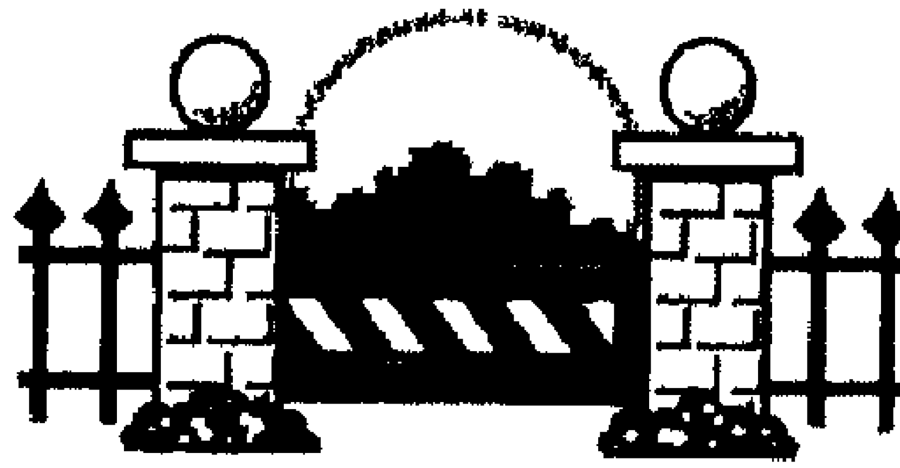
وعلى ساحل جنوب كارولينا ، توجد مجاورة هيلتون هيد آيلاند وهى على شكل قرص العسل تملؤه المجتمعات المغلقة . وهى مليئة بالجدران التى تحيط بالمنشآت الخاصة لدرجة أنه تعذر إيجاد منفذ لطريق يمر عبر الجزيرة . وفى المدن المتجاورة بوادى كوتشيلا فى كاليفورنيا حيث تقع بالم سبرنجز ، توجد البوابات والجدران فى كل مكان . وعلى طول الطريق السريع رقم ١٢٣ بحاراته الأربع والذى يعتبر الطريق الرئيسى داخل الوادى ، فإن الجدران تصطف على جانبيه ولا تتخللها سوى الأراضى الفضاء والمخازن التجارية . وقد أقيمت التجمعات المغلقة بكثير من الأماكن فى مقاطعة أورانج بكاليفورنيا اعتبارا من الثمانينيات ، وهناك أيضا تمتد الجدران والأسوار بطول الشوارع وتنتشر عليها البوابات . وكل هذا يترك تأثيرا

مفزعا على السائق غير المعتاد عليه ، فالطرق هناك تشعرك بأنك فى طريق ســـريع تكتنفه جدران راسخة . وبالتأكيد فهناك مخارج أكثر من تلك على الطـــرق الســريعة ولكنها تستعمل فقط لمن يصرح له الحراس بالدخول أو لمن لديه شفرة فتح البوابة .

إن سكان المجتمعات المغلقة يبحثون عن الأمن ، لكنهم بوجه أعم يبحثـــون عـــن السيطرة . إنهم يريدون السيطرة على الجريمة وعلى المـــرور ، وأن يتحـــرروا مـــن الغرباء ومن الفوضى ومن المتطفلين ، وهم يسعون وراء الخصوصيـــة والاســـتقرار وراحة البال والألفة . يريدون أن يحموا وضعهم الاقتصادى واســـتثماراتهم العقاريـــة وكل هذه الدوافع مفهومة ومشروعة ، لكن الأسئلة التى تثيرها المجتمعـــات المغلقـــة تتعدى منافع الناس المقيمين بداخلـــها . وفـــى الفصـــل التـــالى ، ســـنناقش القضايـــا الاجتماعية الأشمل والتى تكمن وراء انتشار المجتمعات المغلقة .

الفصـــل السابع

عالم ليس بالجديد والشجاع تماما



تزداد أمريكا انقساما من حيث الدخل والعرق والفرصة الاقتصادية. ولا يساورنا كثير شك فى أن نتائج مشكلات الحضر يمكن ردها ـ جزئيا ـ للتشجيع الذى تلقاه موجه إقامة البوابات. والسعى نحو الانفصال والتمييز والعزلة وتوفير الحماية، تم تغذيتها أيضا بفعل المتغيرات الدرامية ديموغرافيا واجتماعيا خلال النصف الثانى من القرن العشرين . وقد استندت حركة الضواحى الأصلية إلى الحنين للحياة المسالمة فى المدن الصغيرة والبعد عن مشاكل التصنيع . وفى منتصف القرن ، توسعت الضواحى مع ازدهار الطبقة الوسطى وهروبها من الحياة مع الفقراء والأقليات فى وسط المدينة.

واليوم ، ومع هذا الحنين الذى مازال فى عنفوانه ، مع إضافات جديدة للمشاكل الضاغطة على مناطقنا الحضرية ، فإن الانفصال مازال هو الحل الذى تسعى أمريكا وراءه . ففى الضواحى ، تعتبر البوابات الامتداد المنطقى للزحف الأصلى نحو الضاحية . أما فى المدن ، فالبوابات والمتاريس يطلق عليها أحيانا اسم " السدادة " نسبة للمكان مسدود النهاية ، وهو تعبير يعكس هدف التصميم الذى يحول شبكة الطرق بنمطها الحضرى إلى شئ قريب ، بقدر الإمكان ، من أسلوب الضاحية . فالبوابات محاولة لتحويل مدننا إلى ضواح ، وتكثيف نموذج الضاحية لدينا .

كما تعتبر المجتمعات المغلقة رمزا للضغوط الكامنة فــي النســيج الاجتمــاعى . وحين يقترن ذلك بأشكال العنصريــة ، والفصــل الاقتصــادى ، والاســتقطاب بيــن الدخول ، وممارسات منع الآخرين مــن اســتخدام الأرض ، يصبــح هــذا التــأثير الرمزى للمجتمعات المغلقة أكثر حدة . أن خياراتنا المتعلقة بالسكن أكثر تعقيدا بكثــير من الخيارات الاقتصادية البسيطة. وهى ترمز لما نريده لأســرنا ومجتمعاتنــا ومــا لا نريده، وما نقدره وما نخشاه . ويعالج هذا الفصل القضايا والاتجاهــات الأشــمل ، كالعنصرية والفقر والجريمة والخوف ، وكذلك الاتجاه لأسلوب الضاحية ، وهى فــى مجملها تمثل الخلفية لبزوغ المجتمعات المغلقة ، ومن ثم نصل إلى الجــدل بالأوســاط العامة والذى أطلقه بناء البوابات .

المستوطنات المنفصلة : الانقسام والتشرذم

يعين كل من العرق والدخل حدود الأماكن المنفصلة فى وطننا. وليست العنصرية هــى المحرك أو العامل الوحيد ، لكن اقترانها بالعرق وبالدخل والموقــع المكــانى أمــر لا يمكن تجاهله فى أمريكا .[1] ولا شك أن البلاد أصبحت مختلفة تمامــا عمــا كــانت عليه فى الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشــرين ، حيــن أينعــت الضواحــى لتستوعب الطبقة الوسطى المتنامية. فاليوم أصبحت الأمة أكثر تنوعا بعدد سكان أكبــر من الأقليات، وبمستوى أعلى من المهاجرين من بلاد العالم الثالث. وفى بداية القــرن كان هناك ٧٦ مليونا من المواطنين ٨٨ فى المائة منهم من البيض ، وفى عــام ١٩٥٠ تضاعف عدد السكان إلى ١٥١ مليونا وبنفس النسبة المئوية من البيض تقريبــا . بيــد أنه فى عام ١٩٩٥ ، وبعدد سكان يربو على ٢٦٣ مليونا ، فقد هبطت نســبة البيــض إلى ٧٤ فى المائة . وبالمثل ، تغير هيكل الأعمار ، فبعد أن كان ٤ فى المائة فحســب من السكان تزيد أعمارهم على ٦٥ عاما فى مطلع القرن ، زادت نسبة هذه الشــريحة إلى ١٣ فى المائة مع اقتراب نهايته . وتشير التوقعات بشأن منتصف القرن القــادم ، إلى أن عدد السكان قد يبلغ أكثر من ٣٨٣ مليون مواطن يؤلف البيض بينــهم نســبة تصل إلى ٥٣ فى المائة بالكاد . بينما ترتفع نسبة كبار السن إلى ٢٠ فى المائة .[2]

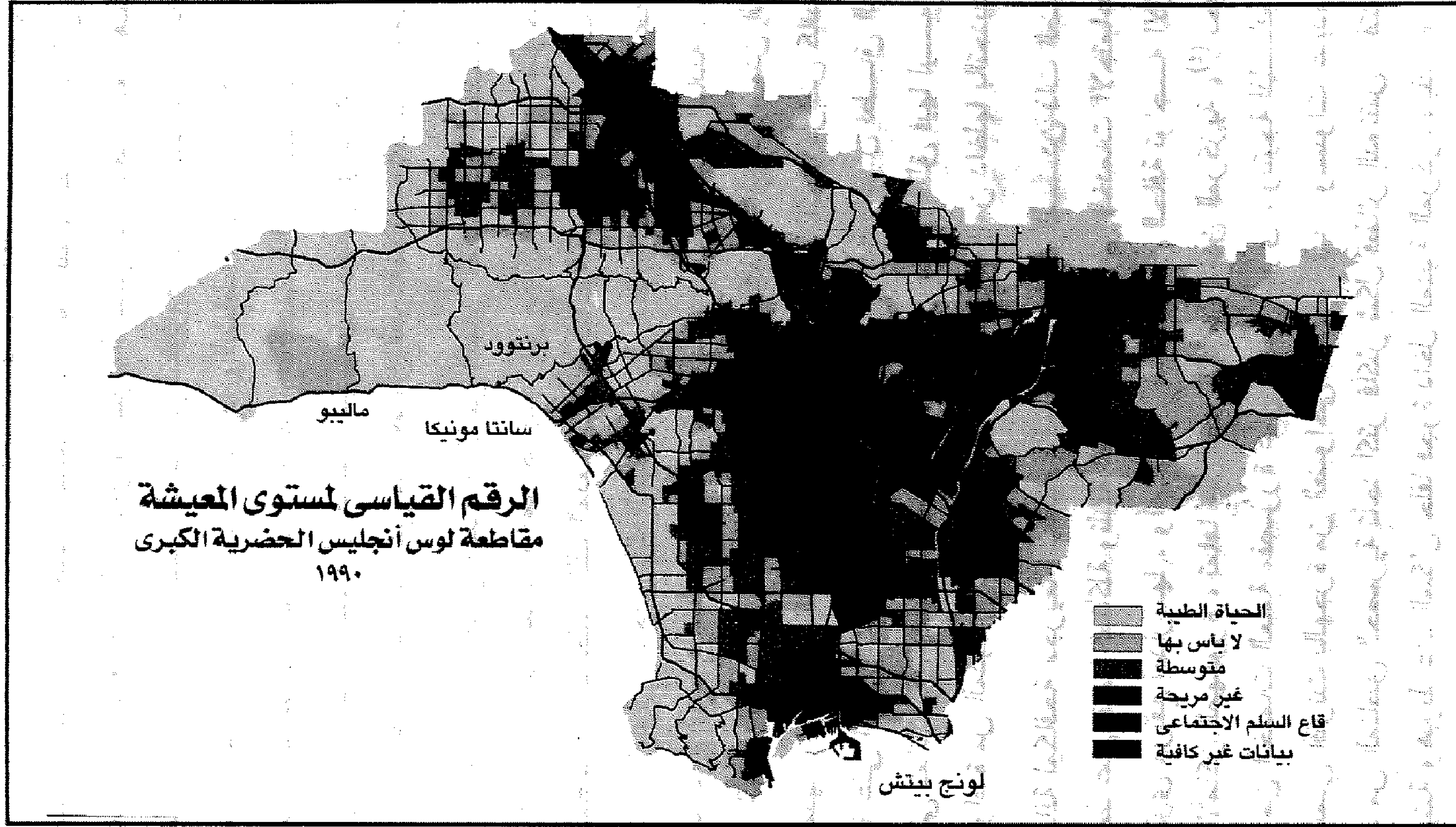
ويمكن معاينة مثل هذه الاتجاهات الديموغرافية فى المناطق الحضريــة الكــبرى التى تضم أكبر عدد من المجتمعات المغلقة . فالمستويات المرتفعة مــن المــهاجرين

إليها من الأجانب وتنامى عدد المنتمين للطبقات الأدنى ، تغير بسرعة من ملامح المناطق الحضرية مثل لوس أنجليس وميامى وشيكاغو ونيويورك . وجنبا إلى جنب مع تلك المتغيرات الديمغرافية، فإن الفقر والتشرد الناشئين عن اقتصاد يعاد هيكلته ، فى زيادة مطردة . كذلك أدى انتشار الضواحى لتغيير فى بيئة المناطق الحضرية حيث تفقد المدن المركزية مكانتها كموئل للثقافة والنشاط الاقتصادى . لكن الضواحى تتغير بدورها، حيث لم يعد الفقر وعدم المساواة الاقتصادية فى المناطق الحضرية مقصورا على قلب المدن. وكما تدل خريطة للوس أنجليس (شكل ٧-١) فإن الهجرة نحو الضواحى لم تؤد إلى نفى كل مظاهر الفقر الملازمة للمركز الحضرى .

وتعتبر منطقة لوس أنجليس النموذج الأكبر للتمايز المكانى فى الحضر ، إذ لم يعد الفقر مركزا فى داخل المدينة وإنما أخذ يتجه فى سباق لاهث نحو الضواحى بعيدا عن مركز الحضر . وقد خلقت تلك المتغيرات الاجتماعية الجديدة وشجعت الطلب على البوابات والأسوار . وحتى تلك الضواحى " الوادعة " بكل ما بذل من عناية فى إنشائها، نالت اليوم أيضا حصتها من المشكلات الهيكلية الاجتماعية والمادية . وتحول الضاحية إلى الحضرية عملية جارية ، بحيث أصبح ممكنا إطلاق اسم " مدن الحافة " على الكثير منها ، [٣] وذلك بقدر معاناتها من كثير من مشكلات وأعراض كانت فى الماضى وقفا على المدن الكبرى . وفى الضواحى الواقعة داخل نطاق المراكز الحضرية التى تعانى من الشيخوخة بصفة خاصة . فإن مبعث القلق فيها ليس منع المشكلات الوافدة من المدينة وإنما لأن نفس المشكلات نابعة من داخلها بالتحديد .

وبالإضافة لمكافحة الجريمة المحلية ، فإن المقاطعات والمدن ذات الضواحى تناضل للحفاظ على بنيتها المتآكلة وتلبية الطلب المتزايد على الخدمات الاجتماعية ، وضمان مستوى مرتفع لمدارسها . وأصبحت " صرة " مدن الحافة تواجه الازدحام والجريمة والأماكن المهجورة ، تماما مثل نظيراتها من المدن المركزية ،[٤] بحيث لم تعد الشكوى من الخدمات العامة مقصورة على المدن الكبرى . ونتيجة لذلك ، فإن الهجرة من المدن اقترنت بالهجرة من الضواحى المتاخمة لها . ولسنوات عديدة ، فإن ملامح العديد من المناطق الحضرية تأخذ أكثر فأكثر شكل فطائر الدونتس : فتدهور مستوى المعيشة وهبوط عدد السكان خلقا فجوة داخل المدينة المركز. وبقدر ما تواجه الضاحية فى نطاق المركز الحضرى من مشاكل حضرية حاليا ، فإن الهجرة من داخلها تؤدى بدورها لاتساع الفجوة .

شكل (٧-١) أنماط عدم المساواة الاقتصادية من منظور المكان



المصدر : و. أ. بوين، *إحصاءات وتعليقات منتقاة تتعلق بالفقر فى كاليفورنيا والأمة* (قسم الجغرافيا ، جامعة ولاية كاليفورنيا ، نورث ريدج ، ١٩٩٤).

هذا ، وتؤثر التقسيمات الدرامية بسبب العرق والدخل فى المناطق الحضرية فى الولايات المتحدة ، على كافة الأجناس ــ الغنى وابن الطبقة الوسطى والفقير . وكما قال آنتونى داونز فى تحليله للتمايز الاقتصادى .. " إن الصراع بين المعدمين والميسورين يتعارض مع بناء الإحساس القومى بالتضامن بينهم ، خاصة مع الاتجاه لأن يعيشوا فى مجاورات مختلفة ". ويضيف إن عدم الفهم والتعاون بين المعدم والميسور يتسبب فى " خسارة متبادلة لما يؤدى إليه من إضعاف للاقتصاديات الشاملة فى الحضر وعلى المستوى الوطنى ". (٥)

الانفصال كتمايز

إن تقسيم الأراضى على أساس استبعاد الآخر ، والعقود المقيدة مع وسائل أخرى قديمة وحديثة ، استخدمت لفصل المواطنين على أساس العرق والطبقة . وبالمثل ، فإن المقصود من البوابات والأسوار خلق أسلوب حياة والحفاظ عليه ، واستقرار قيمة الممتلكات عن طريق هذا الفصل . وكل من يستطيع سداد الثمن المطلوب يمكنه الإقامة فى مجتمع مغلق ، وهو الأمر المتاح على كافة مستويات الأسعار . أما أولئك الذين يختارون العيش وراء البوابات والأسوار والمتاريس، فتحركهم دوافع متشابهة: الحماية من خلال الانفصال . وفى جانب منها ، فالمجتمعات المغلقة تعتبر ردا على مشكلات الفقر والجريمة المرتبطة بشكل مطلق بالعرق فى الولايات المتحدة .

إن فرار البيض ليس شيئا من الماضى . وحتى فى يومنا هذا فإن الاختلاط العرقى فى المجاورات ينظر إليه من جانب البيض والسود بشكل مختلف جدا . ويوضح بحث أعده رينولدز فارلى أنه فى حين يفضل السود المجاورات المتكاملة بشكل جيد يسمح بأن يشكلوا نصف سكانها ، فإن أغلب البيض سوف يتجاوزون فحسب عن وجود عدد من السود يقل عن ذلك بشكل كبير.(٦) والسود أكثر تمسكا بفكرة الاندماج من البيض، ويصدرون فى ذلك عن هدف اجتماعى مهم هو إدراكهم بأن المنافع اقتصادية كانت أم اجتماعية توجد حيث يقيم البيض مثل مدارس البيض وأماكن عمل البيض .

واقتراب الأبيض من الأسود يظل مصدرا لتوتر اجتماعى خطير ولا يكاد يوجد ما يقلل من التمييز العنصرى فى الضواحى ، رغم الزيادة الواضحة فى سكنى

الأقليات بها .[٧] بل إن نسبة زيادة الأمريكيين من أصل أفريقى فى سكنى الضواحى خلال الثمانينيات كانت أكبر من نسبة زيادتهم فى المراكز الحضرية فى المدن الكبرى . وبالرغم من الزيادة الكبيرة فى عدد الأقليات بالضواحى ، فإن أنماط التمييز مازالت مسيطرة بالنظر لأن أغلبية السكان الملونين هناك يتركزون فى قلب الضاحية وفى الضواحى الصناعية القديمة .[٨] وفى شيكاغو على سبيل المثال ، كما فى العديد غيرها من المناطق الحضرية ، فإن الضواحى الواقعة فى نطاق المدن الكبرى تجتذب أعدادا متزايدة من الأقليات والمهاجرين . وخلال الثمانينيات كان عدد البيض الذين غادروا قلب ضاحية كوك كاونتى مساويا لعدد من هاجر منهم من مدينة شيكاغو ، بينما انتقل الأمريكيون السود ومن أصل أسبانى لملء الفراغ فى كلتيهما .[٩]

ولسوف تظل الخصوصية القائمة على استبعاد الغير مع التمييز العنصرى مثارا للقلق . ويمكن قياس النسبة الكلية للتمييز العنصرى بواسطة الرقم القياسى لعدم التماثل ، أى بنسبة السود والبيض الذين يتبادلون السكنى فى المجاورات وصولا إلى تساو فى التوزيع العرقى داخل مدينة أو منطقة حضرية . ومؤشرات هذا الجدول أقل مما كانت عليه فى الماضى رغم أنها تظل مرتفعة بشكل غير مقبول . ففى الثلاثين منطقة حضرية التى يتركز بها غالبية من السكان السود ، فإن الرقم القياسى لعدم التماثل للتمييز العنصرى كان ٩ر٨٠ عام ١٩٧٠ ، وأصبح ٤ر٧٥ عام ١٩٨٠ ، ثم ٣ر٧٣ عام ١٩٩٠ .[١٠]

والحاصل أن التمييز العنصرى لا يضمحل بارتفاع الدخل . ففى نفس الثلاثين منطقة حضرية ، كان الرقم القياسى لعدم التماثل بالنسبة للأمريكيين من أصل أفريقى الذين يزيد دخلهم السنوى على خمسين ألف دولار فى حدود ٧٩ فى المتوسط .[١١] وتشير نانسى دينتون إلى أن كثيرا من المناطق الحضرية فى الولايات المتحدة ليست محلا للتمييز فحسب ، بل وللتمييز المفرط . وتعنى بذلك أن السود محل للتمييز بالنسبة لأربعة من الأبعاد الخمسة القياسية فى تحليل أعدته : التمييز (عدم التكافؤ) ، العزلة ، التجمع ، التركز ، ومركزية المكان .. " والنتيجة الوحيدة التى نستخلصها من تلك البيانات هى أن التمييز المفرط يطرح نفسه بقوة ويزداد سوءا فى كل المناطق الحضرية تقريبا التى كانت محلا للتمييز المفرط فى ١٩٨٠ ... وأيا كان ما نفعله لمكافحة التمييز فى السكنى ، فهو بدرجة لا تكفى ، وفى حالات كثيرة لا ينجح مطلقا ".[١٢]

ونحن عادة نعالج التمييز من منظور العرق ، ولكنه اقتصادى أيضا بالطبع . إن نسبة التمييز على المستويين الوطنى والحضرى أقل بدرجة كبيرة بالنسبة للفقراء عنها بالنسبة للسود ، لكن رغم حدوث تراجع فى التمييز العرقى منذ ١٩٧٠ ، فإن التمييز الاقتصادى آخذ بالازدياد (انظر جدول ٧-١). وأيا كان نوع التمييز فهناك آثاره السلبية . فالعزل الجغرافى والاجتماعى والاقتصادى يؤدى إلى فرص أقل وتكثيف الحرمان وإلى المزيد من القابلية للانهيار فى حالات الركود الاقتصادى . كذلك فالتمييز والعزل ليسا محل ممارسة أفراد المجتمع فحسب ، وإنما نجدهما فى فرص العمل والخدمات العامة المناسبة، والمدارس ذات المستوى الجيد. وقد ذكر دوجلاس ماس ونانسى دينتون مع آخرين أن التمييز العنصرى إذ يخلق تلك السلبيات ويحافظ على استمرارها بالمجاورات ، يصبح العامل الرئيسى فى بقاء السود كطبقة متدنية .[١٣] وبالمثل ذهب جورج جالستر وآلان آبرامسن وغيرهم إلى القول بأن أشكال التمييز فى السكنى لأسباب عرقية أو اقتصادية مسؤولة عن " جغرافية الفرص " والتى تنال بشكل خطير من المزايا المتاحة أمام الأقليات والفقراء على السواء .[١٤] أما كلود فيشر ورفاقه فيرون أن مدى كبيرا من السياسات الوطنية ، بما فيها تلك التى أدت لزيادة التمييز فى السكنى ، قد أرست " قواعد اللعبة " التى تشكل الفرص الفردية للنجاح الاقتصادى وتوسع الفجوة بين الغنى والفقير .[١٥]

وهؤلاء الذين يشعرون بالتهديد من الفقر ومن زحف الملونين لديهم اختياران : أن يتحصنوا بالقلعة حيث يقيمون ، أو أن يرحلوا إلى منطقة يفترض فيها الأمان ويتحصنون فيها . والأغنياء الذين يملكون منازل بأماكن مرغوب فيها ، سواء أكانت تطل على المحيط أم فى مركز المدينة ، يستطيعون أن يحصنوا ذلك الموقع وهذا ما يفعلونه . وبالمثل ، فبسبب افتقارها للموارد التى تسمح بهجرتها ، تقوم الطبقات الوسطى والعاملة بغلق شوارعها ببساطة أو تنصب عليها المتاريس . بيد أن الناس من جميع الطبقات يختارون بشكل متزايد التحول إلى مناطق آمنة بمجتمعات مغلقة حديثة بالضواحى الخارجية وتلك المتاخمة للريف .

وفى نفس الوقت ، فإن المجتمعات المغلقة قد تضاعف من الخوف لدى الناس ؛ وهو ما عبر عنه دينيس جود بقوله .. " إن القيود التى يفرضها الأمن والتى تمتزج بالحياة فى المجتمعات المغلقة ، لا بد وأن تذكر السكان دائما وبشكل متكرر ، بأن العالم خارج أسوارهم خطر ".[١٦]

جدول (٧-١) التمايز ضد الفقراء والسود فى مناطق حضرية مختارة

المنطقة الحضرية	*التمايز ضد الفقراء ١٩٩٠*	*التغير ٧٠-١٩٩٠*	*التمايز ضد السود ١٩٩٠*	*التغير ٧٠-١٩٩٠*
أتلانتا	٣٩ر٦	- ٢ر٠	٦٧ر٨	- ١٤ر٣
شيكاغو	٤٩ر٨	٨ر٣	٨٥ر٨	- ٦ر١
دالاس	٣٧ر٣	- ١	٦٣ر١	- ٢٣ر٨
لوس أنجليس	٣٤ر٩	٣ر٨	٧٣ر١	- ١٧ر٩
ميامى	٣١ر٣	- ١ر٩	٧١ر٨	- ١٣ر٣
نيويورك	٤٣	٥	٨٢ر٢	١ر٢
سان فرانسيسكو	٣٦	٣	٦٦ر٨	- ١٣ر٣
واشنطن العاصمة	٣٨ر١	٠ر٩	٦٦ر١	- ١٥

المصادر : آلان ابرامسون وميتشل توبين وماثيو فاندرجوت " الجغرافيا المتغيرة فى الفرص بالمناطق الحضرية الكبرى : التمييز ضد الفقراء فى المناطق الحضرية الكبرى بالولايات المتحدة الأمريكية من ١٩٧٠-١٩٩٠ "، *المناقشة حول سياسة الإسكان* ، المجلد ٦ رقم ١ (١٩٩٣) ص ص ٤٥-٧٢؛ ودوجلاس ماسى ونانسى دينتون ، *الفصل العنصرى فى أمريكا : التمييز وبناء الحثالة* (مطبعة جامعة هارفارد ، ١٩٩٣) ، ص ٢٢٢.

وينظر عادة إلى السلامة على أنها السبب الأكثر أهمية للهجرة من المدينة ، حتى مع توافر البيانات الحكومية التى توضح أن عددا قليلا جدا من الشرائح العليا فى الطبقة الوسطى من البيض قد تعرضوا لأى تجربة شخصية فى التعامل مع جرائم العنف . ورغم ذلك ، فإن المسح الذى يجرى سنويا بمقاطعة اورانج بكاليفورنيا التى تقطنها غالبية من ذوى الدخول المرتفعة ، والذى أعده مارك بالداسار ، يوضح أن ٤٤ فى المائة من السكان يخشون أن يكونوا ضحية للجريمة ، و٣٩ فى المائة يخشون الجريمة بالحدائق العامة ، و٣١ فى المائة يخشونها فى الأسواق المجمعة . وفى استطلاع مشترك للرأى قامت به كل من مجلة تايم وشبكة سى . إن . إن التلفزيونية ـــ تبين أن ٨٩ فى المائة من الأمريكيين يعتقدون أن الجريمة تزداد سوءا ، بينما أبدى ٥٥ فى المائة قلقهم من أن يصبحوا هم أنفسهم ضحية لها .(١٧)

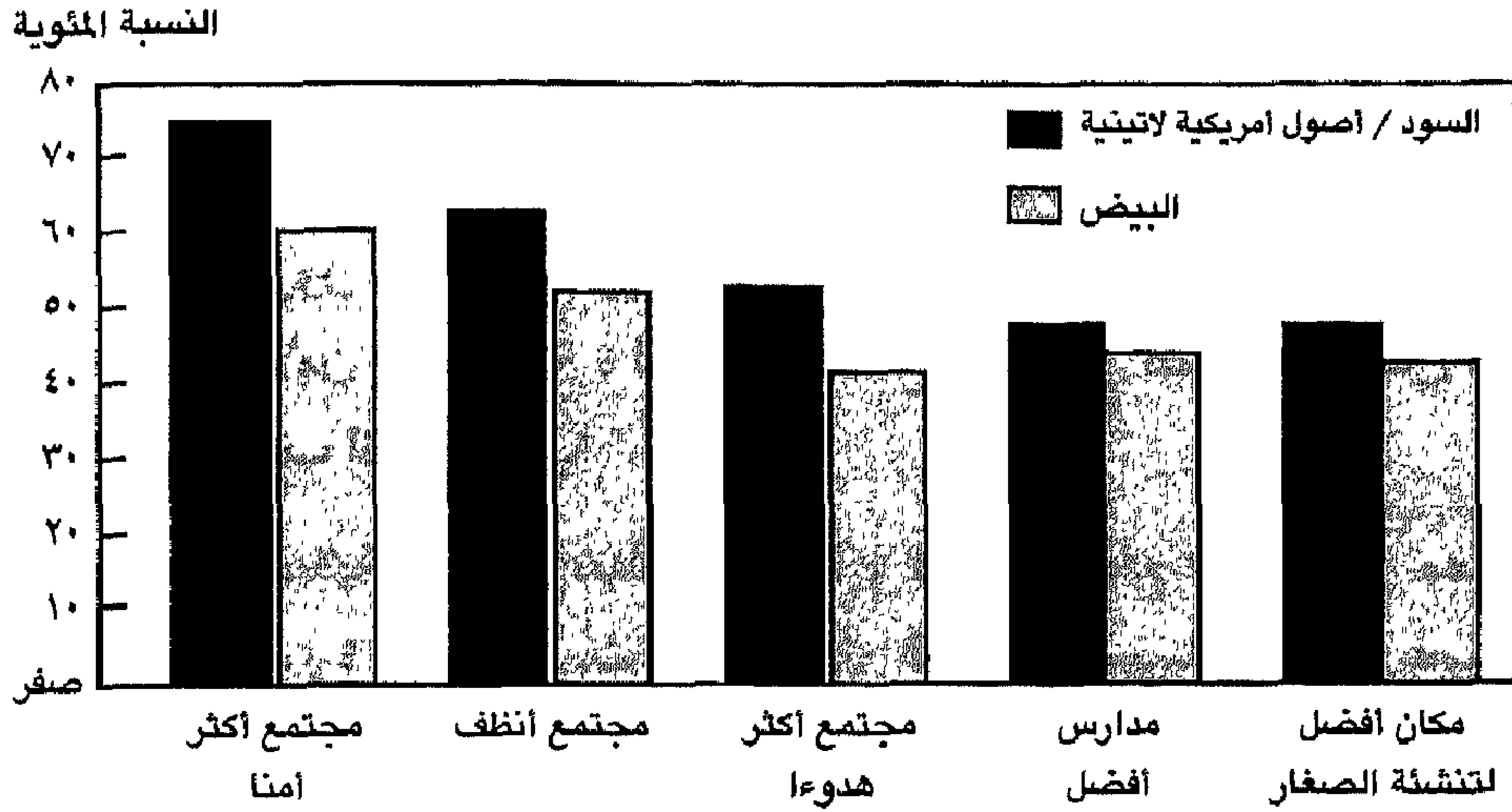
أما المسح الذى قامت به صحيفة *شيكاغو تريبيون* عن الدوافع وراء هجرة الناس من شيكاغو إلى الضواحى (انظر شكل ٧-٢) فيعرض نموذجا يصور أثر الجريمة والقضايا الطبقية فى حياة المدن. وما ورد فى المقابلات التى أجرتها الصحيفة نموذج يمكن أن يتكرر فى أى مركز حضرى رئيسى آخر . ففى إحداهــا ذكـر أحدهــم .. " كنت أريد منزلا متسعا وجذابا ذا فناء كبير ، ودون وجود للفقراء " . وقال آخــر .. " لقد سئمنا من المرور وفوضى وقوف السيارات ومن الضوضاء ، ومن الجريمة وعدم الإحساس بالأمن ، ومن قذارة الشوارع .. الخ ، فلم نكن نشعر بأن مدينة شيكاغو مكان مناسب لتكوين أسرة ".[١٨]

والخوف قوة عاتية يمكن أن تتغلب على نداء العقل . وواقع الحال أن معدلات الجرائم الأكثر خطورة قد تراجعت ، باستثناء العنف الصادر عن عصابات المراهقين .[١٩] ورغم ذلك فإن الخوف بأن يصبح الإنسان ضحية لجريمة ما حتى فى مجاورته أو فى منزله ، يحثه على القيام بتدابير دفاعية أكثر . وأخذا فى الاعتبار المتغيرات السكانية ، وبقدر فشل الضواحى فى تحقيق حلم الناس بالهروب من الجريمة والابتعاد عن الفقراء ، ومن تدنى الخدمات بالمدينة ، فإن القليل منهم يشعر بالأمان . وهكذا ساد التصور بأن الجريمة آخذة فى الزيادة بشكل عشوائى ، وأن الأغراب كلهم مصدر خطر ، وأنه لا يوجد ثمة مكان آمن ، وهنا تكون إقامة البوابة على المجاورة مبعثا لراحة نفسية على الأقل إزاء هذا الخوف . إنها تعطى توهما بإمكانية السيطرة والاستقرار . كما أنها تسمح كذلك ، لمن كانت لديه المقدرة ، بالانسحاب من المشاركة فى الخدمات العامة ومن الأماكن العامة دون أن يتعرض للمساءلة .

الاتصال الاجتماعى والعقد الاجتماعى

من المستحيل أن يتحول مجتمع ما إلى جزيرة ، أما أن تصبح الأمة منقسمة ، فهذا ما توضحه البيانات الاجتماعية والديموغرافية. فالمناطق الحضرية تبدو مساحات متناثرة بشكل متزايد ، يسودها التمييز العنصرى والطبقى مع التمايز فى قيمة الأراضى .[٢٠] وهذا التشرذم نشاهده أيضا على نطاق أوسع بطول البلاد وعرضها .

شكل (٧-٢) أسباب الهجرة من شيكاغو



المصدر : " أسباب الهجرة ، " سلسلة عن الهجرة ، صحيفة *شيكاغو تريبيون*، ١٩٩٣/١٢/١.

وأحد المتغيرات الديموغرافية الكبرى ذات التأثير على مناطقنا الحضرية ، هي تدفق المهاجرين من الخارج . وقد تغيرت مصادر الهجرة بصورة مؤثرة عما كانت عليه فى أربعينيات هذا القرن ، حين كانت أوروبا مصدر ٧٠ فى المائة من مجموع المهاجرين . ففى عام ١٩٩٣ تراجعت هذه النسبة إلى ١٥ فى المائة فحسب ، مقابل ٤٤ فى المائة هاجروا من أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبى . [٢١] وفى الولايات المتحدة التى عرفت بدايات المجتمعات المغلقة ومازالت تضم أكبر عدد منها ، كانت هى أيضا التى اجتذبت أكبر عدد من المهاجرين الأجانب ونعنى بها ولايتى كاليفورنيا وفلوريدا . وقد تركز أغلب هؤلاء المهاجرين ، بأعدادهم غير المسبوقة فى الثمانينيات ، فى سبع ولايات هى نيويورك ، ونيوجرسى ، وإلينوى ، وماساشوستس، وكاليفورنيا ، وتكساس ، وفلوريدا . وكلها عاينت بالمقابل نزوح نسبة كبيرة من البيض منها . فالبيض أصبحوا اليوم يفرون من ولايات ومن مقاطعات بكاملها بسبب المتغيرات الديموغرافية المثيرة . [٢٢] وكثير من الولايات الأخرى التى يتزايد بها

عدد المناطق المغلقة مثل أريزونا وأوريجون وواشنطن ونيفادا ، تتحول إلى محطات الوصول للأعداد الكبيرة من البيض الفارين من كاليفورنيا . فالمناطق المغلقة تعتبر ، بشكل جزئى ، ردا على ذلك الاتجاه بما تمثله من كفاية واضحة فى البوابة التى تصد المهاجرين والأقليات والفقراء ، وضد الجريمة والقلاقل الاجتماعية فى المجتمع ككل .

وفى مقال يعالج التوترات العرقية فى دانا بوينت بكاليفورنيا حيث ثلث المدينة تقريبا مغلق ببوابات ، يذكر الكاتب ديل ماهاريدج كيفية امتزاج الخوف بالصدام الثقافى فى المجتمعات المغلقة .. " ماذا تفعل إذا كنت قد عملت طوال حياتك لتشترى بيت أحلامك ، ثم تفاجأ بأن المجاورة أصبحت أكثر خطرا ؟ ، حتى أولئك الليبراليين المتحمسين سوف يعيدون التفكير عندما يسقط الناس قتلى فى شوارعهم . وبالمقابل فماذا تفعل إذا كنت مجدا فى العمل ، ومهاجرا ملتزما بالقانون تريد فحسب أن تكسب دولارا يحسن مستوى معيشتك ، ثم يأتى آخرون يريدون إبعادك ؟ ". المشكلة تتلخص فى رأيه .. " بأن الناس الطيبين عاجزون أساسا عن فهم أحدهم الآخر ".[٢٣]

وهجرة البيض والطبقة الوسطى من المدينة ومن قلب الضواحى بل وحتى من ولايات بأسرها ، وكذلك بناء الأسوار لحماية من اضطروا للبقاء بأماكنهم ، تؤدى لعزلة الأحياء الفقيرة وحرمانها من أراضى البلديات ، ومن العمل ومن الأسواق الاجتماعية ومن المزايا المجتمعية على إطلاقها . وهناك من الدلائل ما يؤكد أن العزلة المكانية للأقليات تؤدى فى حد ذاتها لتناقص الفرص أمام هذه الفئة المقهورة أصلا .[٢٤] ويقول جون كين ، وهو من الثقات فى دراسة آثار التمييز المكانى ، إن التمييز فى سوق الإسكان بما يصاحبه من تمييز عرقى من الأسباب الرئيسية لمعدلات العمالة المنخفضة أمام السود فى مركز المدينة .[٢٥] وتؤكد هذا المعنى دراسة وليام جوليوس ويلسون والتى ينتهى فيها إلى أن " غياب الاتصال المستمر أو التفاعل الاجتماعى بين الأفراد والمؤسسات الممثلة للتيار العام للمجتمع ، يجعل من الصعوبة البالغة دخول طالبى العمل إلى شبكة الوظائف .[٢٦]

والمجتمعات المغلقة تخلق عائقا آخر أمام التفاعل بين الناس من أعراق وثقافات وطبقات مختلفة ، وربما يضاعف من مشكلة بناء الشبكات الاجتماعية التى تشكل قاعدة الفرص الاقتصادية والاجتماعية. ولقد كان بوسع المجاورات دائما إقصاء نوعيات من السكان من خلال ممارسات التمييز أو تكلفة الإسكان . ومع بناء البوابات

والأسوار أصبح بإمكانها ليس إقصاء السكان غير المرغوب فيهم فحسب ، بل ومن تقوده المصادفة إليها وكذا سكان المجاورات والمنشآت المجاورة . والبوابات معلم بارز للخصوصية القائمة على استبعاد الغير ، ورسالة أقوى موجهة لأولئك الذين يعتبرون أنفسهم مستبعدين خارج التيار الرئيسى فى الوسط الاجتماعى .

ورغم ما بذلناه من جهد لإجراء مقابلات مع سكان مختلفى الانتماءات العرقية فى عدد من المجتمعات المغلقة ، فإن المجموعات التى تم اللقاء بها فى ست مناطق مختلفة لم تشمل واحدا من الأمريكيين من أصول إفريقية أو آسيوية ، ولكن شملت واحدا فقط من أصل أمريكى لاتينى . وقد رأينا أمريكيين من أصل إفريقى بعدد محدود من المنشآت ولكن بدا واضحا أنهم قلة لأبعد حد . هذا وللفصل العنصرى بالمجتمعات المغلقة دافعه الاقتصادى ، لكن يبقى العرق والطبقة خاصتين مرتبطتين بشكل وثيق فى مجتمعنا . وليست المجتمعات المغلقة بحد ذاتها سببا للتمييز وللتمايز الإسكانى ، ولكنها جزء من اتجاه بكل آثاره المتداخلة على الفرصة الاقتصادية والاجتماعية .

أخذت ما يخصنى : سياسات الخصوصية المانعة

لقد وجدت المجتمعات المغلقة لتحجب الجريمة أو حوادث المرور أو الأغراب ولكى تحمى المكانة الاقتصادية . ويفترض أن السيطرة الأشمل على المجاورة تؤدى لمزيد من الاستقرار فى قيمة الملكية . وكما نوقشت المسألة فى الفصل الأول ، فلا توجد أدلة على أن المجتمعات المغلقة ، كما أنشأها المخططون العمرانيون ، تضيف ميزة سحرية كما لا تضمن الحفاظ على قيمة الملكية ، بأكثر مما تتيح المجتمعات السكانية المفتوحة . ورغم ذلك ، فالمقولة الشائعة بأن البوابة يمكن أن تضيف أو تحافظ على قيمة الممتلكات ، مازالت قوية ، ولها آثارها الإيجابية التى يؤمن بها عدد كبير من السكان وسماسرة العقارات . وهذا ما يتوقعه سكان المجاورات بكاليفورنيا الذين طلبوا الترخيص بإغلاق شوارعها ، والذين يأملون أن يؤدى هذا لزيادة قيمة الملكية لنحو الأربعين فى المائة خلال عشر سنوات .[٢٧]

إن السباق نحو حماية المكانه والمساواة ، يبدو مفهوما للمقيمين خلف البوابات . ولكن النتيجة قد تؤثر على جيرانهم القريبين بشكل عكسى . فالمعارضون لإقامة

المجتمعات المغلقة فى بلانو بتكساس يدعون بأن إغلاق مجتمع ما يقلل من قيمة الملكية فى المجاورات المتاخمة له بنسبة خمسة فى المائة .[٢٨] كما توجد المخاوف بأن منع الجريمة فى منطقة ما يعنى انتقال جانب منها على الأقل للمناطق المجاورة . كذلك فخفض حركة المرور بسبب البوابات يعنى زيادته على الشوارع الخارجية .

إن إقامة المتاريس على الشوارع وبناء البوابات يمكن أن يغير من أنماط الاستخدام اليومى البسيط للشوارع العامة ، مثل وقوف السيارات ، والمشى فيها بعد الظهيرة ، وذلك بإنكار حق الوجود بها لغير أصحاب الملكيات وراء تلك الموانع . فهم يمنعون أطفال التقسيمات المجاورة من ركوب دراجاتهم هناك ، ونفس الشىء بالنسبة لفتيات الكشافة اللائى يبعن المخبوزات أو يداعبن أصحاب المنازل فى احتفالات الهالوين . وبطبيعة الحال فآثار البوابات والمتاريس ليست مقصورة على أهل الجوار وإنما تمتد لمواطنى المدينة أو الإقليم . إنها تحجب أنصار المرشحين للانتخاب والقائمين بالدعاية السياسية بما يضيق من نطاق الممارسة الديمقراطية . وتمثل البوابات عائقا أمام الوصول للأنهار والشواطئ والحدائق إلى الدرجة التى تتحول معها الموارد العامة إلى محميات خاصة فى المقام الأول .

وبالإضافة للبوابات ، فتقسيمات الأراضى لتخدم أغراض التميز ، والسياسات الإنكماشية ، وغيرها من تصرفات السلطة العامة ، كلها مظاهر فعلية لنفس الاتجاه ، السيطرة على المكان دون اعتبار للأثر الذى يلحق بالجيران وبالولاية القانونية للمناطق المجاورة . كما يمكن اعتبار تلك السياسات والقواعد وسائل مكملة للخصوصية القائمة على استبعاد الغير . وينتهى بها الأمر إلى شكل من أشكال الفصل على أساس العرق أو الدخل . ويؤدى هذا النمط من التميز دوره كوكيل صريح يحمى قيمة الإسكان ، ونوعية المجاورة ، وعناصر أخرى تدخل فى إنتاج مفهوم القيمة .[٢٩]

نعود فنقول إنه بالرغم من عدم وجود الدليل على أن البوابات تزيد أو تساعد فى الحفاظ على قيمة الإسكان ، فالتصور بأنها تفعل ذلك سبب مسهم وراء انتشار هذه المقولة بسرعة . وبالمثل ، فالخشية المتزايدة من فقد قيمة الإسكان تؤدى لإعادة صياغة سياسات استخدام الأراضى وتعطى دفعة قوية للطفرة الجديدة التى تستهدف تأخير نمو السكان ، وتضمن الحفاظ على أسعار مرتفعة للأرض والإسكان . وعلى

سبيل المثال ، فسياسة كبح النمو بصدد تقسيم الأراضـي ، ليست ببساطة نظاما لاستخدام الأرض ، وإنما حزمة من السياسات التى تؤثر بقوة فى التكوين السكانى . وتستخدم سياسات استخدام الأراضى لتقييد دخول ذوى الدخول المنخفضة لمدينة ما . وبقدر ما تمتزج هذه السياسات مع ممارسات الفصل والتمييز التى يباشرها القطاعين العام والخاص ، وكذلك مع خفض السلطات الفيدرالية تمويلها لمشروعات الإسكان التى يمكن تحمل تكلفتها ، فإن نظم استخدام الأراضى المقيدة لا تحمى قيمة الأرض والملكيات العقارية فحسب ، وإنما تحدد " جغرافية الفرصة " فى منطقة حضرية . ويقول رابين فى هذا الشأن :

" تختلف هذه السياسات والنشاطات المتنوعة لحد كبير فى طبيعة وعمق تأثيرها فى عزل الفقراء اقتصاديا وهيكليا . وبعض تلك السياسات والممارسات تباشر نفوذا قويا على التوزيع المكانى للمنشآت ، وبعضها يؤثر على طبيعة المنشآت ، بينما يضع البعض الآخر شروط الدخول على المزايا التى توفرها المنشأة . ومن المهم أن نميز هذه السياسات العامة التى تضاعف ، بشكل غير متوازن ، الفرصة أمام البيض للخروج من المدينة المركزية ".[٣٩]

وتلك " الحروب العشبية " كما تتمثل بصورة درامية فى المجتمعات المغلقة ، تثير المشاكل عند التخطيط لاستخدام الأراضى . فحيثما يعمد بعض المواطنين لفصل أنفسهم داخل خلايا مستقلة ومتجانسة ، وتصبح روابطهم مع مؤسسات الحكم والمجتمع أكثر وهنا ، فنكون بصدد مقاومة أشد للجهود المبذولة لحل مشكلة ما مطروحة أمام المجلس المحلى ، ناهيك بأن تكون مطروحة على مستوى أعلى . وبقدر ابتعادهم ماديا ونفسيا عن أمة تتغير ، فإن إمكانية الانفصال والانسحاب المدنى من المحيط العام تنمو وعلى نطاق واسع . وقد حفظت كونستانس بيرين ، صاحبة الدراسة عن المجتمع والمكان فى الحياة الأمريكية ، ما قاله أحد المواطنين لها .. " أترين ؟ يجب أن تفهمى أن الشعور الأساسى فى الضاحية هو الخوف ، فلنكن صريحين ، الشعور الانفعالى الأساسى هو الخوف ، الخوف من السود ، الخوف من الضرر المادى ، الخوف من تعريض أولادهم للمخدرات التى يعتبرونها مشكلة سود ، والخوف من كل علل الحضر ، ويشعرون أنه بانتقالهم للضواحى فقد هربوا من هذه المخاوف ، والواقع أنهم لم يفعلوا ، الحقيقة أنهم لم يفعلوا . إنهم يرون فى مخيلتهم فقط أنهم رحلوا بعيدا عن المشكلة ".[٣١]

وكما تأخذ المشكلات الحضرية فى الظهور فى داخل الضواحى القديمة ، فإن الخوف ينتشر . وليست المجتمعات المغلقة سببا فى التشرذم وفى الصراعات فى المناطق الحضرية ، بقدر ما أنها ليست السبب وراء التمييز العنصرى . فهى بالأحرى تعبير عن اتجاهات اجتماعية أكبر . وفى حين تكافح مدن الضواحى ومجاوراتها للحفاظ على مركزها فإن ملاك البيوت وكذلك المنشآت السكنية تفعل الشيء نفسه ولكن على المستوى المصغر .

الجدل حول البوابات

أدت الآثار التى خلفتها البوابات ــ فى صورها الرمزية والتعبيرية ، الاجتماعية والمادية ــ على الناس وعلى الأماكن حولهم ، لإثارة مناقشات جادة ، أخذا فى الاعتبار أن الممثلين السياسيين والموظفين وكذلك الجمهور بحاجة لدراسة النتائج المباشرة والبعيدة لهذا النمط من الإسكان . والغالبية بين موظفى المدن والمخططين ، ومنهم المخططون من بالم سبرنجز ، يتناولون المجتمعات المغلقة كأمر مسلم به ، ويقصرون اهتمامهم بشأنها على المسائل العملية مثل تدفق المرور، وتجميل الموقع، أو تسهيل دخول سيارات الطوارئ .[٣٢] وحينما شرعنا فى البحوث المتصلة بهذا الكتاب ، لم نجد فى أغلب المحليات من يذهب لأبعد من تلك الاهتمامات . بيد أنه لحسن الحظ ، فإن المزيد والمزيد من المدن بصدد بذل الجهود لتقييم البوابات وآثارها .

وبسبب إدراكها للصراعات الممكن حدوثها حول البوابات ، لجأت محليات كثيرة لعقد جلسات الاستماع وشرعت فى وضع القواعد الاسترشادية التى تمكنها من البت فى طلبات الموافقة على المجتمعات المغلقة ، ولا سيما تلك التى يتم إغلاقها بإدخال تعديلات عليها . وفى تناولها أساسا لموضوع نصب المتاريس وإغلاق الشوارع العامة ، قام العديد من المدن والمقاطعات ، من لاجونا نيجل بكاليفورنيا إلى جفرسون باريس بلويزيانا ، بإرساء القواعد المتعلقة بتأثير المرور وبموافقة المجاورة ، حيث جرت العادة على اشتراط موافقة من ٧٥ فى المائة إلى ٨٠ فى المائة من عدد السكان على الإغلاق ، وإن كان بعض المدن مثل دالاس يتطلب الموافقة الاجماعية للسكان . وتبدأ المناقشة أحيانا عند طلب مجاورة ما إغلاق شوارعها ، وتبدأ فى

أحيان أخرى عندما يشرع مجلس مدينة أو إدارة للتخطيط فى التفكير فى الرد على ظاهرة تنامى عدد البوابات .

وبالنظر لأن معظم المحليات توافق على البوابات التى يطلبها المخططون باعتبارها مندرجة في صلب التصميم الذى يتم الموافقة عليه فإن المناقشات المستفيضة تتركز عادة حول متاريس الشوارع ، وخصخصة الشوارع العامة ، لتصدر بشأنها قرارات منفصلة . وهناك القليل من المدن لديها الإطار القانونى للقرارات التى تنظم مطلق الإغلاق ، وأقل من القليل منها التى لديها ما ينظم إغلاق المنشآت التى يبنيها المخططون وتلك التى يتطلب إغلاقها إدخال تعديلات معينة . وعلى أية حال ، فعدد المدن التى تبذل جهدا لمعالجة كل أشكال المجتمعات المغلقة ، آخذ بالنمو . وخلال عام ١٩٩٥ شرعت كل من سان دييجو بكاليفورنيا وبورتلاند فى أوريجون ، فى وضع سياسة محلية للإغلاق . وإحدى أوائل المدن فى إنجاز ذلك كانت مدينة بلانو بتكساس ، وهى مدينة ضاحية تقع شمالى دالاس .

وبلانو مدينة تنمو بسرعة ويبلغ عدد سكانها نحو المائتى ألف ، وقد شهدت أول تقسيماتها المغلقة فى بداية التسعينيات . وبسبب انشغال مجلس المدينة بهذا الموضوع فقد أصدر حظرا عاما على الإغلاق ، لحين الفراغ من مناقشته ورسم سياسة بشأنه . كان أكثر ما يقلق المجلس حركة المرور ، والاتصالات فيما بين المجاورات ، والأمان بالتقسيمات المجاورة ، والانطباع الذى تخلفه البوابة ، ومخاطر التركز المغالى فيه ، وكان المجلس فى تصوره للحوار بشأن هذه القضايا ، يناقش الشكل الذى ستكون عليه مدينة بلانو .

وقد واجه المجلس انقساما بشأن الموضوع ، كما كان الحال بالنسبة لمعظم سكان بلانو . وقد تحدثت آن جونز العضوة بالمجلس والسمسار ، قائلة " إن الناس من حقهم القيادة بأى شارع يختارونه " ، ولكنها لم تلبث أن عادت تقول .. " إنها (الشوارع المغلقة) تعطى أمانا متوهما ، ولكن على الرغم من ذلك ، فعندما تسمع عن إطلاق النار عشوائيا من سيارات فى الشوارع وكل هذه الأشياء فى نشرات الأخبار ، فسيكون صعبا أن تجادل بأنها لن تساعد فى التخلص من بعض ذلك ".[٣٣] وفى النهاية ، فاز المترددون فى بلانو . وتم إصدار المعايير عام ١٩٩٤ ، وهى تتضمن حظر إغلاق المنشآت التى تحظى بموانع طبيعية حول ثلاثة أضلاع مثل المجارى

المائية . وفى هذا الوقت كان فى بلانو موقع وحيد لم يتم إنشاؤه بعد ، تتوافر به هـــذه الشروط . ومنذ ذلك الحين أقدمت مدينتان على الأقل فى تكساس ، كيلر وساوث ليـك، فى اتخاذ نفس الطريق بأن أعلنتا فرض الحظر على إقامة المجتمعات المغلقة .[٣٤]

وتعتبر هذه السياسات والقرارات خطوة ذات فائدة كبيرة وبعيدة النظـــر لمســتقبل الحكم المحلى ، خاصة حين يسهم فى تشكيلها مشاركة الرأى العام . وينبغى اللجـــوء للتخطيط من أجل بناء إطار العمل لمحلة ما ، وكما رأينا فإن البوابات لــــها تأثيرهـــا البعيد على العديد من القضايا من حركة المرور ، إلى الجريمة ، إلى الخدمات العامـــة والتماسك المجتمعى . وتغدو تلك القضايا سهلة فى مناقشتها حين تتقدم منشـــأة قائمـــة بالفعل بالتماس لخصخصة شوارعها ، ولكنها ستكون بحاجة لدراسة متأنية حين يكــون إنشاء تقسيم مغلق جديد . والغرض من بحثنا هذا التنويــــه بأهميـــة قيـــام المحليـــات بالدراسات الجادة والدقيقة لكافة القضايا الاجتماعية المحيطة بالمجتمعات المغلقة .

ويعكس بحثنا الميدانى أهمية هذا الجدل ، ففى المدن والضواحى التـــى زرناهـــا كان الجدال مستعرا بين أنصار الإغـــلاق ونصـــب المتـــاريس وبيـــن المعـــارضين لذلك . ففى دايتلى هايتس رحل بعض الناس بعد أن خسروا معركتهم لإغلاق المنطقة. وكذلك فى ميامى شورز حيث غادرها البعض لأن المتـــاريس وضعـــت ، وغادرهـــا آخرون لأن المتاريس وضعت على شوارع غير شوارعهم .

وهناك الكثير من المراقبين المهتمين الذين يعـــترضون علـــى مبـــدأ الإغـــلاق ، والكثيرون فى لوس أنجليس منهم ريتا والترز عضو مجلس المدينة ، يعترضون علـــى إغلاق الشوارع ويتنبأون بمستقبل تسوده المتاريس وتصريحات الدخول . كذلـــك فقـــد حذر نورمان كرومولتس ، مدير التخطيط الســـابق بمجلـــس مدينـــة كليفلانـــد فـــى أوهايو، من مخاطر بلقنة المدن الأمريكية .[٣٥] ومازال آخرون يتساءلون عن الحكمـــة فى حماية أماكن محدودة دون العناية بالآثار المترتبة علـــى المدينـــة أو الإقليـــم فـــى مجموعه ، ويثير قلق آخرين ما يقف وراء ذلك من منطلقات تمييزية وعنصرية . وقـــد أبلغتنا ليكسى ماكولوخ ، المخططة من بور ريدج فـــى أوهـــايو أيضـــا ، أن لجنـــة التخطيط تعارض البوابات من منظور أنها " انفصالية " ، وطلبت إزالتها مـــن واحـــدة على الأقل من المنشآت التى طلبت ذلك . وقد أقلقها أيضا سهولة الاســـتجابة لطلبـــات خصخصة الشوارع وما يستتبع هذا من إمكانية رجوع السكان على المحليـــات للقيـــام

بصيانتها حين ترتفع تكلفتها .[٣٦] وقد أدلى أحد أفراد مجموعة السكان الذين التقينا بهم فى دالاس بملاحظة تدل على نفاذ البصيرة .. " ما أتعجب له بخصوص المجتمع المغلق ، هو ماذا سيحدث بعد عشرين أو ثلاثين عاما من الآن ؟ هل سيتم صيانته ؟ وإذا كان التاريخ يكرر نفسه ، فإنها تسير فى طريق تنتهى فيه لأن تصبح منطقة يقطنها متوسطو الدخل وربما محدودى الدخل ، وسينتهى المطاف بتدهور الصيانة . فما هذا الذى نفعله ؟ لماذا نخلق مجتمعا مغلقا ؟ الجواب عندى بنسبة تسعين فى المائة أننا نفعل ذلك فقط لنبقى أجناسا وفئات دخول مختلفة عنا ، بعيدا عن المجتمع ".[٣٧]

ودارت رحى المعارك حول إغلاق الشوارع والمجتمعات المغلقة فى دور المحاكم وقاعات مجالس مدن مثل لوس انجليس وآتلانتا وشيكاغو وسكرامنتو وغيرها . وفى ويشيتا بكانساس ، بدأت المناقشة حول الإغلاق حين طلب أحد تقسيمات شارع عام من مجلس المدينة ترخيصا بوضع ذراع حاجز عند مدخلها . ولقد كان لدى التقسيم ، واسمه جيتوود ، بالفعل بيت حراسة يوجد به الحراس ليلا ، ويقع على المدخل الوحيد للتقسيم . كما كانت هناك كاميرا تسجل أرقام لوحات السيارات الداخلة إلى المنشأة . ولأن الشوارع عامة فلم يكن بالإمكان منع السيارات من الدخول ، إنما يمكن مراقبتها فحسب . وكانت الذراع المطلوبة قد قصد منها زيادة فعالية تلك المراقبة : فحيث يزود السكان بأدوات للتحكم والمراقبة عن بعد لفتح البوابات ، سيكون متعينا على غير المقيمين التوقف وضغط زر معين تكون كاميرا أخرى قد تمكنت حينئذ من تصوير وجوههم .

وطلب من لجنة تخطيط المنطقة الحضرية ، وكذلك من لجنة المرور ومكتب إسهام المواطنين ، أن تدلى برأيها إزاء هذا الطلب . وقد صوتت جميعها برفض مجلس المدينة إصدار الترخيص المطلوب . وكانت وجهة نظر لجنة التخطيط .. " أن البوابات رمز للاختيار بين أن تكون المدينة اتحاد مدنى أو مجموعة من الملاذات " . كما وسجلت فى التقرير الذى رفعته .. " هناك اتجاه لدى السكان لحماية مصالحهم بشكل أكثر ضراوة حيث يتعلق الأمر بتغيير فى التقسيم المساحى للمناطق على أفنيتهم الخلفية، فى نفس الوقت الذى يتعذر فيه أكثر فأكثر العثور على ذوى الإحساس بالمصلحة العامة بينهم للإسهام بجهدهم فى المجالس واللجان المعنية بقضايا المجتمع الأكثر رحابة "[٣٨] وكان رأى أحد أعضاء اللجنة الذين صوتوا لصالح المشروع

يتلخص فى أنه ليس من حق الآخرين إملاء ما يجب على سكان جيتوود أن يفعلوه ، خاصة مع اتحاد كلمتهم لعمل يرونه مؤديا للارتقاء بمجاورتهم . واختلف معه آخر قائلا إنه بالرغم من الجانب الإيجابى فى مبادرة المجاورة ، فهناك أشياء عديدة يمكنهم القيام بها " دون أن ينأوا بأنفسهم عن باقى المجتمع ".(٣٩)

وهناك الكثير من وجهات النظر عبرت عنها المنظمات والأفراد المعادون لفكرة البوابات ، وهى تتراوح بين الحجج القانونية والبيروقراطية وتلك الاجتماعية والفلسفية. وترددت خلالها المقولة القديمة حول الروابط المواطنية .. " إننى أعتز بهذا المجتمع ، وأعمل للحفاظ عليه نظيفا ومتفتحا وتكسوه الخضرة ، ولا تستطيع تحقيق ذلك وأنت جالس تحك أنفك تجاه العالم الخارجى ، لقد رأيت ما يكفينى من البوابات والقضبان ".(٤٠) ولدى البعض منهم تصور واضح عما يعنيه كون المرء جزءا من مجتمع مدنى ، وينظر للبوابات كعوازل تفصل المواطنين .. " الفكرة انقسامية، وهذا الاقتراح يهدف لإغلاق مدينة داخل أخرى ، ولست منفصلا عن باقى بلانت سيتى ، ولا أرغب فى ذلك .(٤١)

هناك أحد أعضاء التنظيم المعروف باسم " المواطنون ضد الملاذات المغلقة " ، وكان قد أسهم فى رفع الدعوى ضد وايتلى هايتس فى لوس أنجليس ، وقد زودنا بتصريح قوى يعبر عن تقديره بأن المجتمعات المغلقة تعظم من الخلافات بدلا من التضامن وتعزز من التفرقة الطبقية بين المواطنين .. " إن شعارها .. ابق بعيدا ، وهى تقول أيضا .. نحن أثرياء وأنتم أيها الرفاق لستم كذلك .. وهذا الفارق تحدده البوابة ".(٤٢)

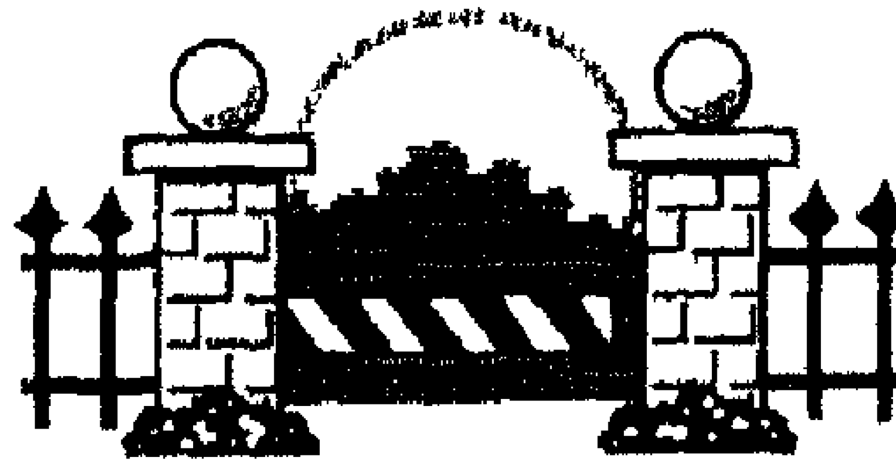
وتكشف دراستنا بشأن القضية المتقدمة بالتفصيل موقف المدافعين عن البوابات . ومبرراتهم لا تخرج عن كونها ترديدا للأشياء التى يريدها كل واحد منا فى مجتمعه السكنى : الأمان والسكينة والهدوء والخصوصية ، ويعتقدون أن حقهم فى السيطرة على بيئتهم تمتد من عتبات بيوتهم إلى الشوارع المحيطة بهم ، ويجادلون بأنه لا أحد يملك الحق فى منعهم من ممارسة هذه السيطرة .. " الطيور على أشكالها تقع .. ولهم كل الحق بأن يفعلوا ذلك ، وإذا أدى ذلك لمشكلة فى المجتمع ، فلا حيلة فى الأمر .. ، وإذا كان الناس الراغبون فى أمن محكم يأملون فى أن يقعوا على أشكالهم فإنه أمر يخصهم ". (٤٣)

وينكر سكان المجتمعات المغلقة والمدافعون عنها اتهامهم بالعنصرية أو بالنخبوية أو بالانفصالية . يقولون إنهم ببساطة يعنون ببيوتهم وأسرهم ومجاوراتهم ، ويغمرهم الرضا بشأن اختيارهم المجتمعات المغلقة ، وهذا ما عبر عنه ساكن بمجاورة فايف اواكس بدايتون أوهيو والتى أقيمت المتاريس عليها حديثا .. " المرور أصبح لا يذكر بالقطع ، وحين أجلس مع زوجتى فى شرفتنا أثناء الصيف لا أملك إلا أن أقول .. هذا أفضل المتاح بعد السكنى فى الريف ".(٤٤)

إن الأمان ممثلا فى السير بالشوارع نهارا أو ليلا ، والقدرة على حماية ممتلكات واستثمار المرء فى منزله ، والخدمات والبنية الأساسية ذات الكفاءة ، كافة تلك الخواص والتى ينبغى أن تكون حقوقا عامة مكفولة بالتساوى لكل المواطنين ، هى ما تحاول المجتمعات المغلقة توفيرها . بيد أنه لأسباب تتراوح بين قوى ذات اهتمامات عالمية ، وسياسات حكومية ، والنقص المزمن فى التمويل ، تعجز المحليات والمدن عن القيام بتوفير هذا المستوى الحياتى الملائم ، فلا يمكننا أن نلوم المجتمعات المغلقة عن المشكلات التى يعانى منها الحضر فى أمريكا الشمالية أو نلومها إذا حاول سكانها الحد من تأثير تلك المشكلات عليهم وعلى أسرهم . ولكن هناك سبل أخرى لتؤدى نفس الغرض وسنناقش بعض البدائل فى الفصل الثامن .

الفصـــل الثامن

بناء مجتمعات أفضل



فى المجتمعات المغلقة عبر البلاد ، سمعنا أناسا يتحدثون عن رغبتــهم فــى اســتعادة مجاوراتهم ، إنهم يريدون الأمان والهدوء ، ويريدون الإحساس بالأمن . ورغم أنـــهم لا يقولونها بشكل واضح ، فإنهم يريدون المجتمع أيضا . إنهم سعداء وفخورون حيــن يشعرون بأنهم جزء من منطقة سكنية ذات حس مجتمعى . وإذا أخذنا فــى الاعتبــار هذه الرغبــات ، فــإن الاتجــاه نحــو البوابــات والحــراس والأســوار والجــدران والمتاريس الأسمنتية، يمكن فهمه . فهذه الإجراءات الأمنية على الأرض تبدو قـــادرة على توفير الحماية وراحة البال ، وإذا كـــانت مؤديــة فــى الوقــت نفســه لفصــل المجاورات عن بعضها وتشجيع للخصخصة مع ما ترســله مــن إشــارات باســتبعاد الآخرين ، فيبدو هذا ثمنا قليلا يتوجب دفعه . وقد تحدث إلينا بعض سكان المجتمعــات المغلقة بأن واجبهم الأول هو رعاية أسرهم ومواقع ســكناهم ومجاورتــهم ، قبــل أن يشغلوا أنفسهم بباقى العالم .

ولكن هناك البدائل للبوابات ، سواء فى المدن أو الضواحى بشكل يسهم فى منـــع الجريمة ، والسيطرة على المرور ، مع إضفاء الحيوية على الجيرة ، مؤكدين أنه مـــا

من أسلوب مناسب دائما أو ناجح دائما فى السيطرة على الجريمة أو المرور . ونحن نعرض تلك البدائل ليس بوصفها بلسما شافيا ، وإنما كتكتيك قادر على تحقيق بعض الغايات مثلها مثل البوابات ولكن بدون إقامة الحواجز بين المجاورات والجيران . وهذه البدائل تسهم فى حماية وتجميل البيئة ، وتتيح للأطفال أماكن آمنة ليلعبوا بها ، وفى نفس الوقت تساعد على بناء الروابط الاجتماعية ، والتى هى أساس القيم المشتركة والتبادلية الاجتماعية . وهى أخيرا قادرة على بناء أحد أو كلا وجهى تعريفنا للمجتمع : " الخاص " من جهة المشاعر ، و" العام " مِن جهة المصير المشترك ، والمشاركة فى الاهتمام بشئون المجتمع .

ولأن المجتمع أيضا حجر الأساس فى قيام مدن وأقاليم صحية ، فإننا سوف نعالج أيضا بعض الأفكار للارتقاء بالمجتمع عن مستواه المحلى. وهذه تشمل مبادئ جديدة فى تصميم المدن والمجاورات ، مع الاتجاه لحل المشكلات من منظور إقليمى. إن المجتمعات الجيدة مهمة ليس للأفراد فحسب ، وإنما للمجتمع ككل وللأمة .

إنشاء المجاورات الجيدة : منع الجريمة

قامت الشرطة وعلماء الإجرام ، ومخططو الحضر ، والمهندسون ، بتطوير مجال واسع من أشكال التصميمات المادية الهادفة للحد من الجريمة والسيطرة عليها . ولو أخذت ككل فإن هذه التدابير الأمنية يمكن أن نطلق عليها اسم منع الجريمة بواسطة التصميمات البيئية ، وهى تتراوح بين تغييرات فى التصميمات المادية بهدف خلق أو تسهيل السلوكيات الاجتماعية غير الرسمية القادرة على ردع الجريمة ، وإجراءات " تدعيم الهدف " وهو تعبير عسكرى يعنى وضع الدروع على نقاط الضعف ، وذلك باستخدام معوقات مادية أو أجهزة مراقبة متطورة تقنيا . وهذه التصميمات المشار إليها تستخدم عادة الأقفال والمزاليج والأسوار والأسلاك الشائكة والبوابات والحراس المشرفين على إجراءات منع الجريمة ، ولكنها تركز فى المقام الأول على استثارة السلوكيات الاجتماعية .

والفكرة الأساسية هى خلق مكان يمكن الدفاع عنه ، بيئة طبيعية يتكفل التنظيم الاجتماعى فى المجاورة بردع الجريمة فيها . وأية تغييرات مادية يتم إضافتها ،

يكون المقصود منها الارتقاء بالدفاع الاجتماعى، وليس العمل المباشر ضد الجريمـــة. وتعبير " مكان يمكن الدفاع عنه " ابتكر وطور كليا على وجه التقريب بمعرفة أوسكار نيومان ، وإن كانت أفكار مشابهة قد صدرت عن جين جاكوبس وآخرين .(١)

وترتكز نظرية نيومان على ثلاثة أسس :

ـــ الإقليمية : فالناس أكثر قابلية للدفاع عن أرض يعتبرونها خاصتهم ؛

ـــ الرقابة الطبيعية : فبقـدر سـهولة مراقبـة المكـان ، وبقـدر زيـادة عـدد المراقبين ، يزداد ردع المجرمين ؛

ـــ الصورة : فالخصـائص المرئيـة يمكـن أن تشـجع الجريمـة ويمكـن أن تردعها .(٢)

ويمكن خلق الإقليمية عن طريق استخدام تصميمات تسـهل اندمـاج المسـاحات المدعى بها ، وهى الأماكن المقصورة على سـكنى مجموعـات صغـيرة ، وليـس المساحات العامة المتسعة . أما الرقابة الطبيعية فيمكن تحقيقها من خلال عناصر مثـل تركيب النوافذ ، والإضاءة وتخطيط المساحات . وفيما يتعلق بصورة المجتمع ، فيتـم إبرازها باستخدام أدوات تعطى الانطباع بأن المكان محل عناية ، وبأنه ينتمى لأحدهـم مثل الصيانة الجيدة وإزالة الكتابات عن الحوائط ، وأيضـا بتشـجيع السـكان علـى الوجود معا بالخارج ، وكذلك بتعيين حدود المكان بدقة .

بالنسبة للمجتمعات المغلقة ، فإن مفهومى الإقليمية والصورة متوافران ، غـير أن وجود البوابات بالتحديد ليس مرادفا للمكان الممكن الدفاع عنه أو لمنع الجريمة وفقـا لمفهوم التصميم البيئى . وفى كل من مجتمعات الحياة المتميزة ومجتمعات المكانة لـم ينصرف قصد مخططيها ، إلا فى النادر ، لأن تكون مكانا محميـا . والخصوصيـة المانعة للغير ليست صنوا للحماية ، كما أن الحدود المسورة لا تخلق تلقائيـا مجتمعـا يوفر الحماية للسكان . أما فى مجتمعات المناطق الآمنـة ، فـإن المنشـآت يجـرى تصميمها أحيانا بشكل يعكس أفكار المكان الذى يمكن الدفاع عنه . فالبوابات تقـترن عادة بتنظيم مجتمعى، والتعاون مع هيئات إنفاذ القانون، وتشكيل مجموعـات مراقبـة المجاورة ، وإزالة الكتابات عن الحوائط ، وغيرها من أدوات لا يجمعها تصميم مـا ،

وإن اتفقت مع منهج المكان الذى يمكن الدفاع عنه بمضمونه الاجتماعى ، بما لها من أثر مستقل فى خفض الجريمة .

ونهج المكان الذى يمكن الدفاع عنه فى تعامله مع موضوع الأمن ، يستطيع بل هو قادر على تقوية المجتمع . أما بالنسبة لنهج تدعيم الهدف ، فربما ساعدت ــ إذا استخدمت بمفردها ــ كما هو الحال فى مجتمعات الضواحى المغلقة ، فى أن تحمى مجاورة ما نفسها ولكنها تفعل ذلك اعتمادا على أدوات مادية وعلى حواجز بدلا من وسائل الرقابة المجتمعية . وحين تعتمد المجاورات فى أمنها على الأجهزة التقنية والحراس المأجورين ، فإنها تضعف أكثر مما تقوى الروابط داخلها وتلغى مسؤولية الأفراد تجاه أمن مجاورتهم .

لم نر إلا القليل من البراهين على توافر الشعور بالمسؤولية التبادلية فى المجتمعات المغلقة التى باشر المخططون بناءها والتى قمنا بزيارتها ، رغم أننا وجدنا شواهد أحيانا للترابط بالمجتمعات القائمة والتى استنفرت الجهود فيها لإنشاء البوابات . وبصفة عامة فإن الناس اعتبروا منشآتهم متسمة بالحميمية رغم شعورهم بالعزلة داخلها . وقد أخبرنا محام شاب فى فلوريدا بأنه وزوجته لم يتعرفا على أحد فى احتفال الكريسماس الذى أقيم بالمنشأة ، ولم يشعرا بأن أحدا أراد حقا التعرف بهما . وحدث موقف مشابه فى بلاك هوك بكاليفورنيا إذ وجد زوج من السكان أنه بالرغم من التعامل الذى شجعت عليه نوادى التنس والجولف ، فلم يشعرا بثمة ارتباط . إن التبادلية المجتمعية الأساسية هى المكون الناقص . فقد حل الحراس المستأجرون والمشرفون على النادى والوكلاء من الخارج فى المجتمعات المغلقة كبديل للمسؤولية المشتركة .

ولكن هناك بدائل كثيرة من أجل الأمن ومنع الجريمة بخلاف الحراس المستأجرين والجدران الأسمنتية . فجدول (٨-١) يتضمن الأساليب التى تعارفنا على تسميتها بمنع الجريمة من خلال التصميمات البيئية ، والمستخدمة لزيادة الأمن فى المجاورات السكنية. وكثير منها يتمثل فى تعديلات مادية بحتة ، وبعضها يعتمد على وكالات معنية بتطبيق القانون . وهناك من الأساليب ما يعتمد على الروابط المجتمعية ، وتنظيم الجيران ، من منطلق أن مفهوم منع الجريمة بالتصميمات البيئية يقوم على فكرة تشجيع التفاعل الاجتماعى . والمقصود من التصميمات المادية استثارة آليات المجتمع لوضعها موضع التنفيذ بالتوافق مع الأساليب المجتمعية.

جدول (٨-١) أساليب منع الجريمة بالمجاورات

الأسلوب	*مادى*	*إدارى*	*بالبوليس*	*اجتماعى*
المراقبة				
زيادة الإضاءة الخارجية	×	...	...	...
الإقلال من المناطق المعتمة	×	...	...	...
إقامة اكشاك حراسة	×	...	...	...
تركيب كاميرات مراقبة	×	...	...	...
استئجار حراس أمن	...	×	...	...
تشكيل نقط مراقبة لمجموعات المبانى	...	...	...	×
تكوين دوريات من السكان	...	...	...	×
الترتيب مع دوريات الشرطة	...	...	×	...
إنشاء حيز إقليمى	×	...	...	...
برامج لعدم ترك المنازل خالية	...	...	...	×
برامج لتأمين المنازل	...	...	...	×
إنشاء شرطة خاصة بالمجتمع	...	...	×	...
السيطرة على الحركة	...	...	...	...
إغلاق الشوارع أو وضع بوابات عليها	×	...	...	...
بناء أسوار وجدران	×	...	...	...
التزود بخدمة مرافقين للحماية	...	×	...	...
التعرف على الجيران	...	...	...	×
دعم الحافز	...	...	...	...
تحسين هيئة المنشأة	×	...	...	...
إضفاء طابع شخصى على البيئة	×	...	...	...
استخدام أقل ما يمكن من الشفرات الخاصة بالأمن	...	×	...	...
تقديم برامج نوعية	...	...	...	×
حث السكان على المشاركة	...	...	...	×
تحسين العلاقة بين المجتمع والشرطة	...	...	×	...

المصدر : بتصرف نقلا عن آلان وأليس ودانيل فورد ، منع الجريمة من خلال تصميم بيئى (وآشنطن العاصمة : المعهد الوطنى للعدالة ، وزارة العدل بالولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٨١).

(أ) الأساليب الداعمة لبناء المجتمع مكتوبة ببنط مائل .

ومدعمات الهدف ، مثل الأسوار والجدران والبوابات ودوريات الأمن ، هى أحد مجالات الاختيار . ومن وجهة نظر بناء المجتمع ، فإن هذه الأساليب قد تساعد فى بناء قاعدة مستقرة للمجاورة ولكنها بحد ذاتها لا تضمن وجود مجتمع بها . وكما نوهنا من قبل فهذه الأساليب تلحق الضرر بالمجاورة باعفائها السكان من مسؤوليتهم الشخصية نحو جيرانهم .

إن أساليب بناء المجتمع كما وردت فى الجدول (٨-١) قد تستخدم وحدها أو مع أساليب تدعيم الهدف وتطبيق القانون . وهى تجمع الناس سويا وتمكن الجيران وتشجعهم على أن يراعوا بعضهم البعض وأن يحافظوا على بيئتهم . لقد دعت كل من جيردا ويكرلى وكارولين وايتسمان للأخذ بمفهوم " المدن الآمنة " والذى يخلط التصميمات المادية مع المشاركة السكانية من أجل مكافحة الجريمة والتقليل من الخوف. وفى إشارتهما إلى مظهر " الإقليمية " فى مفهوم منع الجريمة بالتصميمات البيئية ، لوحظ ان المحاولات لتشجيع " الاعتزاز بالمكان " لا تعتمد على تصميمه فحسب ، وإنما .. " تتعلق بالفرصة المتاحة أمام الناس لكى يشاركوا فى التصميم والتخطيط وإدارة هذه الأماكن . [٣] كذلك تسهم أساليب بناء المجتمع فى تحسين نوعية الحياة وزيادة الأمن ، ومن الأمثلة فى هذا الخصوص برامج مراقبة المجاورة والدوريات التى يقوم بها السكان والتى تجمع بين الجيران بقدر ما تسهم فى أمنهم ؛ وبرامج تخصيص بيوت آمنة يستطيع أطفال المجاورة اللجوء إليها طلبا للمساعدة ؛ وهناك البرامج والمناسبات الهادفة للتعارف بين الجيران بصورة تمكنهم من التعرف على الغرباء وعلى النشاطات المشبوهة بهمة أكبر ؛ وهناك أيضا العمل على تحسين مظهر المجاورة ؛ وكذلك اندماج الأولاد والمراهقين والبالغين فى تلك الجهود الأمر الذى يضاعف من اعتزازهم بالمجاورة وأن لكل حصة بالمجتمع .

وبعكس الأسوار والبوابات وخدمة الحراس ، والتى يمكن شراؤها واسناد إدارتها لشخص آخر ، فإن الجهود المكرسة لبناء المجتمع تتطلب وقتا وإدارة وإشرافا ومراقبة، وتؤول كلها غالبا إلى متطوعين نشيطين من أهل المجاورة . وفى العديد من المجاورات عبر البلاد ، فإن الرد الجديد على مشكلة اختفاء المتطوعين تم إعداده : استأجر " مدربا للمجتمع " ، لكل أو لبعض الوقت ، ويحسن أن يكون مقيما بالمجتمع ليقوم بتنسيق الجهود فى المجاورة . وإذا سلمنا بأن الشرطة لن تقوم بكل

العمل ، فيصبح الافتراض بأن الكنائس ، واتحادات الملاك ، والاتحادات التجارية ، ومجموعات أخرى فى مئات الأماكن ، ستكون قادرة على رصد أموالهم ليس للأجهزة وإنما لمركز قائد مجتمعى مخلص يتولى قيادة برامج منع الجريمة وينسق عمل المتطوعين .(٤)

إن تلاحم المجتمع والاعتزاز به ، اللذين توفرهما هذه الأساليب يظهر للعيان فى مجاورة ماونت بليزانت بواشنطن العاصمة ، وهى مأهولة أساسا بالطبقة العاملة من السود والبيض والمهاجرين من آسيا وأمريكا اللاتينية . وكانت الجريمة متأصلة هناك منذ أمد بعيد ، ولكن إثر اضرابات عنصرية وقعت بالمجاورة عام ١٩٩١ ، علاوة على سلسلة من إطلاق النار العشوائى عام ١٩٩٣ أسفر عن ثلاثة قتلى ، حدث استنفار بالمجاورة. وبدأ السكان بعقد اجتماعات بانتظام مع الشرطة لمعالجة همومهم؛ وبدأ وضع برامج لمراقبة المجاورة ؛ وأقيم احتفال كبير داخل المربعات السكنية اعتزازا بالروح التى حركت الجهود لتحسين أوضاع المجاورة . وتحدث رجل من السكان لأحد المراسلين قائلا .. " إننا نريد أن نأخذ مجتمعنا بأيدينا .. وإنى لأفضل لم شمل المجتمع عن أن أحزم أمرى وأرحل ". وقال آخر .. " نحن لا نزال نعيش سويا بعد كل ما حدث فى ماونت بليزانت .. وما حدث قوى من عضد المجاورة ".(٥)

إن بناء المجتمع وفقا لمفهوم منع الجريمة بالتصميم البيئى ، يهدف إلى بعث النظام الاجتماعى الذى كان سائدا بالمجاورات والمدن الصغيرة منذ عقود ، تلك المجاورات التى كان الناس فيها يعرفون بعضهم البعض ، ويعنون بشؤون جيرانهم ، وحيث كانت عيونا كثيرة تطل على الشارع لتجعل من الصعب على المراهقين الأشقياء والمجرمين الخبثاء تجنب افتضاح أمرهم . إن الأقفال والأسوار والبوابات تذكر الناس بالخطر والخوف ، لكن مثل المدينة الصغيرة أو المجاورة المستقرة بها فى ماض تهفو إليه النفوس فإن المجتمع ذا النسيج المترابط يقوى من نوعية الحياة ويبعث الثقة فيها بقدر ما يدعم الأمن .

إنشاء المجاورات الجيدة : السيطرة على المرور

المرور هو السبب الرئيسى الثانى الذى يدفع المجاورات إلى إقامة البوابات والأسوار . فالسكان يمقتون الضوضاء والفوضى التى يسببها المرور ، وينتابهم القلق

على أولادهم اللاهين بالشارع . كما يخشون من أن السماح بدخول السيارات دون قيد يوفر للمجرمين حرية الدخول وسرعة الهروب . ومرة أخرى نعود إلى التشكيلة الكبيرة من الأساليب التى تسمح بالسيطرة على المرور دون الانغلاق عن العالم .

بعض هذه الأساليب جاهز للاستخدام مثل المطبات الصناعية والبروزات من سطح الأرض والشوارع المتعرجة . وثمة أفكار أحدث مثل رفع ممرات المشاة لمستوى الرصيف وكذلك عند التقاء النواصى لتقوم مقام المطبات ، واللجوء للزوايا الحادة فى التقاطعات لتضييق مجال المناورة عند الدوران ، وكل هذا من شأنه تخفيض السرعة ومن ثم زيادة الأمان والاقلال من الضوضاء والحد من كثافة المرور . وهناك إجراءات أخرى تيسر على المجتمع وتضمن السيطرة على المرور فى نفس الوقت ، شأنها شأن أفضل أساليب منع الجريمة . وكثير من تلك الأساليب جزء من رؤية جديدة لعلماء الحضر مكرسة لمنشآت الضاحية ومجاورات المدن المعدل تصميمها لتعمل كمجتمع ، كأماكن طبيعية واجتماعية معا .

والنموذج المحورى لهذه الرؤية الجديدة فى تصميم الشوارع يطلق عليه تهدئة المرور ، أو تكامل الشارع ، أو الشوارع المشتركة . وقد نشأت الفكرة بأوروبا خلال الستينيات ، وأخذ بها بنجاح وعلى نطاق واسع فى هولندا وألمانيا وإنجلترا والدانمرك والسويد واليابان وإسرائيل وسويسرا واستراليا .(٦) وقد جرى تنفيذها مؤخرا فى الولايات المتحدة .(٧)

وفكرة الشوارع المشتركة بسيطة : اجعل شوارع المناطق السكنية فى أماكن تخدم كل الناس الذين يستخدمونها، ليس السائقين فحسب ، بل المشاة والسكان والأطفال. وعلى أساس حجم المرور الذى يستوعبه الشارع ، يكون مدى العناصر المستخدمة لتهدئة المرور. فيتم تضييق الشارع المشترك لإبطاء المرور وللإقلال من تأثير مجال الرؤية بالشارع . وقد تنحنى الشوارع المشتركة أو تتعرج ، وليس بها أرصفة وقد رصف سطحها بالطوب أو بالحجر الصوان وليس بالأسفلت، وكلها إشارة إلى أن الشارع مخصص للمشاة وللسيارات على السواء. ومواقف السيارات فى الشارع ذاته تتخللها الأشجار وجماليات طبيعية أخرى ، كما يتم أحيانا توزيع الآرائك وغيرها من تجهيزات الشوارع عليها. وفى شوارع المناطق السكنية التى تقل بها حركة المرور، ليس هناك داع للسماح بسرعة ٢٥ ميلا فى الساعة ، فسرعة خمسة أميال فى الساعة مناسبة بجانب الحق فى استخدامه كموقف أو جراج للسيارات . ويجرى تصميم هذه



□ شارع للمرور البطيء : والنت هولو، كولورادو
تصوير جون فرنانديز

الشوارع أحيانا للسير فيها على هيئة الطابور : فأجزاء منها تتسع لسيارة واحدة بصورة ترغم السائقين على الإبطاء والانتظار حتى ينحرفوا إلى حارة خالية . وهناك مجموعة متنوعة من التصميمات والتجهيزات من شأنها تيسير دخول سيارات الطوارئ . والمساحات المقتطعة من استخدام السيارات تضاف لاستعمال الأطفال والمشاة الذين أصبح الشارع مأمونا وممتعا من أجلهم ، امتدادا لمدخل منازلهم .

وتشير الدراسات عن الشوارع المشتركة فى أوروبا إلى زيادة فى النشاطات الترفيهية للأطفال ، ولانخفاض حاد فى حوادث المرور .[8] وسواء كان الشارع مشتركا حقا أو متضمنا لبعض الجوانب فقط فالأمر يتوقف على احتياجات المرور والسكان والمشاة . وأيا كانت ، درجة تهدئة المرور المطلوبة ، فإن كل هذه الإجراءات يمكن توظيفها فى التقسيمات السكانية الجديدة ، ومعظمها قابل للتطبيق فى الشوارع القائمة بشبكة طرق المدينة .

وقد استوردت بعض مدن أمريكا الشمالية فكـــرة الشـــوارع المشـــتركة خـــلال التسعينيات. فمدينة بولور بكولورادو قامت ببناء منشآت بها وحدات مخططـــــة علـــى أساس استعمال الشوارع المشتركة ، كما تقوم بإعادة تصميم شبكة الشوارع بـــها بمـــا يسمح بتطبيق أوسع مدى لهذا النموذج . كما تستعرض مدينة ســـانتافى بنيومكســـيكو تصميمات استرشادية جديدة . بينما تبنت بالفعل بعض المعايير الجديدة فى هذا الشـــأن كل من بورتلاند بأوريجون ، وأوليمبيا بواشنطن ، وفانكوفر فى كولومبيا البريطانية .

إن آثار التصميم المتكامل للشارع على المرور قد أضاف بعض المكاسب لمســـألة منع الجريمة . فبالنظر لأن الشوارع المشتركة تضـــاعف مـــن اســـتخدام المســـاحات العامة ، فإن النشاط الاجتماعى يزداد بدوره ، فهناك عيون أكثر على الشارع . كمـــا أنها تعمل كمناطق يمكن الدفاع عنها وذلك بتحديد الأراضى وإرسال إشـــارات تفيـــد زيادة شعور السكان بالملكية . وأهم من كل هذا ، فهى تحقق نفـــس الأهـــداف التـــى توضع المتاريس من أجلها ولكن دون الحاجة لمنع الدخول . إن البوابات والمتـــاريس تستخدم لإغلاق الشوارع ولإبطاء سرعة السيارات وللحيلولة دون الزحـــام ، وتفعـــل الشوارع البطيئة ذات الشىء دون استبعاد أى إنسان ، فضلا عن المزايـــا الإضافيـــة ممثلة فى تسهيل السيطرة الاجتماعية بغير إطار رسمى وتشجيع قيام المجتمع .

بناء المجتمعات والمجتمعات القادرة على البقاء

بناء المجتمع مفهوم مثير للجدل فى سوق المنشآت ، بدءا بالتقسيمات الفرعية المغلقـــة التى تسوق بوصفها " مجتمعات " وانتهاء بالمدن المخططة بشكل كامل ويـــروج لـــها " كمدينتك السكنية الجديدة " وقد بدأت هذا الاتجاه ، مجموعـــة مـــن المـــدن أنشـــئت وفق خطة حاكمة بمعرفة شركة إيرفن ، واستخدم فيها التصميم الطبيعـــى المـــوروث من ضاحية جاردن سيتى التى خططها أبنزير هوارد . وقد كشفت لنـــا أن التصميـــم المادى مع التخطيط يؤثران على السلوك وعلى البنية الاجتماعية كمـــا تؤثـــر علـــى مشاعر السكان. إن تصميم المنشآت السكنية الجديدة سواء بالضواحى أو فى المـــدن ، يمكن أن يتجه لجمع الناس بدلا من تجزئتهم والفصل بينهم ، وبنفس القدر ، فإن إعـــادة تطوير أو إدخال بعض التحسينات على المجاورات القائمة يمكن أن يسهم فـــى بنـــاء المجتمع وتدعيمه . إن المخططين والمهندسين والمواطنين بكل أنحاء البـــلاد يســـعون لخلق ما يسمونه بالمجتمعات ذات مقومات البقاء .

وهذه المجتمعات تأتى معها بالانشغال بقضايا البيئة ، والعدالة الاجتماعية ، وبالحياة العامة والخاصة . وهى مجتمعات لها مقومات البقاء لأنها لا تفى باحتياجات الناس فى الوقت الحالى فحسب ، ولكن تأخذ أيضا فى الاعتبار مقدرة أولادهم وأحفادهم على استيفاء متطلباتهم المستقبلية . ومن السمات المميزة للتصميمات القابلة للبقاء أن تشمل اندماجية المنشأة ، وحماية البيئة ، ومشاركة المواطنين فى التصميم والتنفيذ ، وضمان الحقوق المتساوية إزاء الاستفادة بالخدمات ، والعناية بمجمل أعضاء المجتمع ، وتوافر مساحات عامة لجمع شمل السكان ، بالإضافة إلى توجيه نمط العمارة وهندسة الحيز بما ينمى الإحساس بالمكان .[١٠]

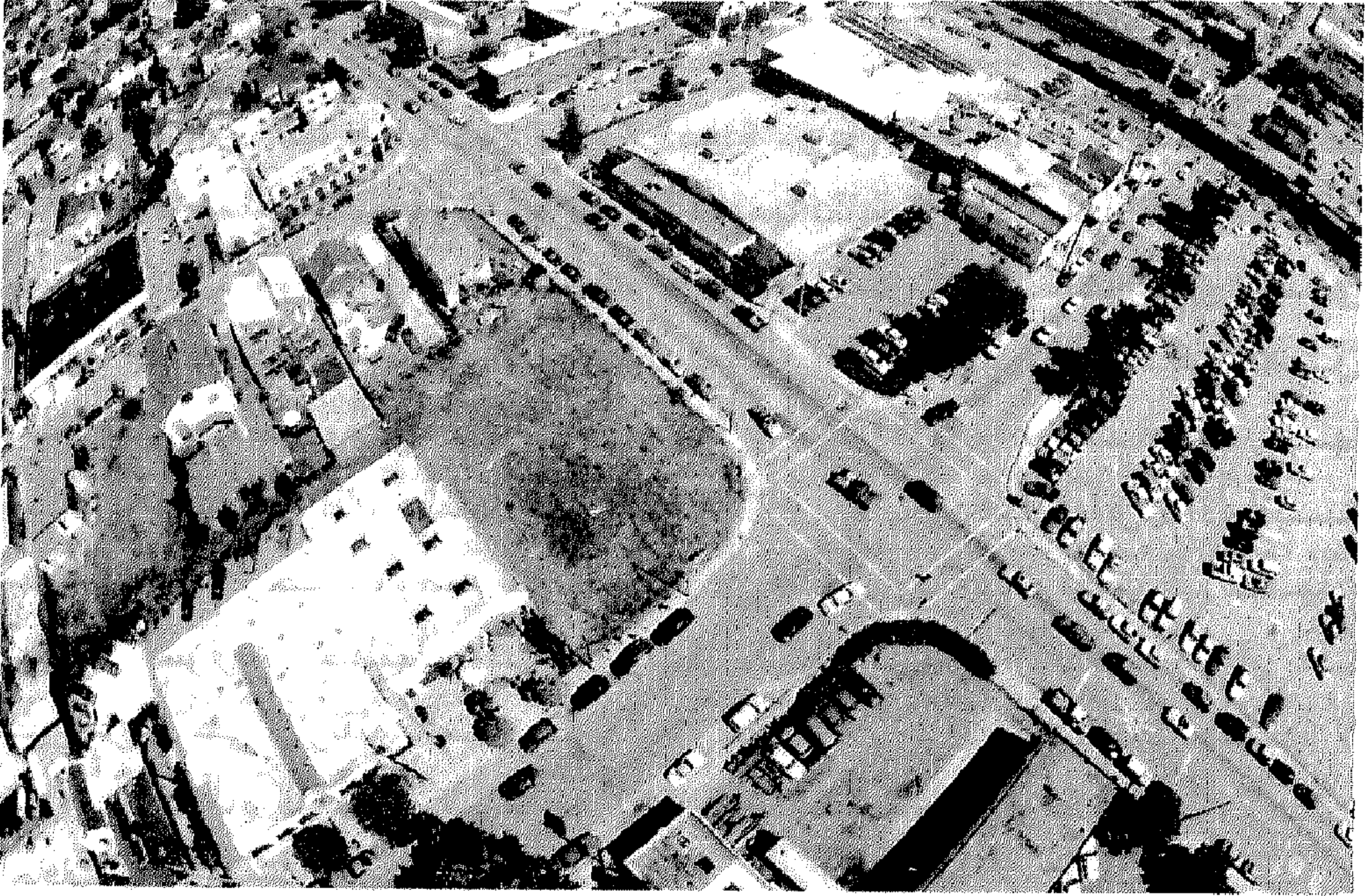
ونادرا ما تصمم المجتمعات المغلقة للوفاء بتلك الأهداف . فهى تفتقر إلى المرونة عن عمد ، وتبدى تركيزا قويا على العقود والشروط والقيود ، بما يجعل التكيف مع المستجدات صعبا إن لم يكن مستحيلا . إنها تحاول حماية المستقبل بإحياء الماضى . وهى تستخدم الجدران والحراس لمنع الجريمة بدلا من اللجوء لحلول متكاملة وكلية تشجع المجتمع على المشاركة من أجل استئصال العناصر المخربة . وكذلك تمتنع المجتمعات المغلقة عن القيام بدورها نحو الاستراتيجيات الهادفة لتأمين نظام تعليم مناسب ، والعمالة ، والخدمات العامة ، وهى الأهداف المدنية الأساسية التى تعتبر الخطوة الحاسمة الأولى لمنع الجريمة .[١١] وبدلا من أن توفر مساحات عامة غنية ونابضة بالحياة ، تتيح تلك المجتمعات ، فى أفضل الأحوال ، تسهيلات خاصة للاستجمام ونوادى لخدمة عدد محدود من الأعضاء ، فضلا عن تقديمها مجالا ضيقا من أوجه النشاط بدلا من سد احتياجات المجتمع .

وبغية الإنصاف ، فقد وجدنا نظرة أكثر استنارة لدى بعض الأفراد وفى بعض الأماكن . ففى مدينة كانيون ليك الكبيرة والمغلقة بكاليفورنيا ، يبذل قادتها جهدا كبيرا لتحقيق الاندماج المجتمعى ، ولبناء هيكل مشاركة مجتمعية وبذل جهود لحل المشكلات. غير أن معظم المجتمعات المغلقة تظل فى الحقيقة تقسيمات فرعية معزولة بالضواحى ، جزءا من بيئة مفككة ، تتمدد بغير نظام ، وتبدد الموارد البشرية والمادية ، وتقطع الصلات بين المنشآت المتجاورة ، وتشرذم وتفصل بين كل التكوينات الاجتماعية ذات الجذور الممتدة فى المكان . ويرى منظرو المجتمعات القابلة للبقاء أن تلك الاتجاهات الانعزالية تتجاهل عناصر أساسية للمجتمعات والتى تجعل مكانها جديرا بالعناية وبأن يحمل اسم " البيت ".

وإحدى الرؤى البارزة فيما يتعلق بالمجتمعات القابلة للبقاء هى المعروفة باسم التقليدية الجديدة التى تحاول بعث أفضل ما فى المدينة الأمريكية التقليدية . فحتى بالضواحى ، يوجد ذلك التقليد الوطنى العريق لتصميم منشآت لا تتمدد عشوائيا ، فهى تخلق جوا حميما للمشاة ، وتشجع الروح المجتمعية والاتصال ، وتوفير الشعور بالمدينة الصغيرة .[١٢] ونمط الشوارع بالمدن الأمريكية التقليدية يتيح الخصوصية والأمان دون الحاجة للحواجز . وأمكن تأمين الخصوصية فيها من خلال توظيف المساحات في شكل شوارع ضيقة تحفها الأشجار ، مع واجهات شبه عامة مثل الأروقة والشرفات ، كما وتضمن الأمن وخاصة فى الشوارع من خلال آليات المراقبة المجتمعية . هذا ، وعلى الرغم من استمرار التمييز بين الناس بسبب الدخل والعرق فى أماكن مختلفة ، لكن يظل بوسع الجميع أن يتردد كل منهم على مكان الآخر والمشاركة فى الانتفاع بالأماكن العامة .

وقد قام فيل لانجدون ، المراسل والمؤلف والذى تحظى كتاباته بإقبال واسع النطاق، بتعريف التقليدية الجديدة بكونها رابطة ــ بين الشوارع ، بين الاستخدامات السكانية والتجارية ، بين الدخل وطراز المسكن ، فضلا عن علاقتها بالنقل العام والأماكن العامة ، وعلى وجه الخصوص بالقيم المدنية والمسؤولية العامة .[١٣] ومن بين المهندسين والمخططين الذين قاموا بتصميم وبناء منشآت تعبر عن التقليدية الجديدة، يعتبر بيتر كالثورب وأندريه دوانى واليزابيث بلاتر زيبرك الأكثر شهرة بينهم . وتضم منشآتهم خصائص عديدة مشتركة : فهى تضفى حميمية للمشاة ، ومركزها متعدد الاستخدامات ، وأماكن كبيرة للاستخدام العام ، وأخيرا ، ما يستثيره التصميم من مشاعر تقليدية .[١٤]

إن مبادئ التقليدية الجديدة ، والحضرنة الجديدة ، وحركة المجتمعات القابلة للبقاء، أوضحت لنا بأكثر من وجه ، أن المجتمعات المغلقة ما هى إلا وسائل ناقصة ومعيبة لبلوغ أهداف جديرة بالتشجيع . فكل إنسان يريد مجتمعات موحدة ونشطة ، وأن يغمره الإحساس بالانتماء وحسن الجوار. غير أن الأسباب الشائعة التى يبرر بها الناس انتقالهم إلى مجتمعات الضواحى المغلقة ، أو لإغلاقهم مجاوراتهم بالمدينة ، أقرب لأن تكون مملة فى رتابتها . فهم يشعرون بالقلق على نوعية الحياة التى يعيشونها الآن ، وإزاء الجريمة ، والسيطرة على الشوارع ، وعلى حركة المرور وعلى سلامة أبنائهم . وتبدو البوابات لهم كأسلوب فعال ومباشر لمنع دخول الغرباء وإبعاد شبح الجريمة ، والسيطرة على السرعة وحجم المرور عند مستويات آمنة .



□ تصميم شبكة الشوارع
تصوير س . بنتون

إن كثيرا من أنصار التقليدية الجديدة يرون أن المجتمعات المغلقة هـي النقيض لرؤيتهم . وفى رأى بيتر كالثورب ، فإن تلك المجتمعات تعبير عن عدم التوازن المتنامى بين المكان العام والمكان الخاص في المدينة الأمريكية ومجاوراتها . ويضيف إلى ذلك قوله :

" ربما كان المجتمع المغلق تعبيرا صارخا وجليا لهذا الاتجاه (يعنى هيمنة المكان الخاص على حساب ذاك العام) ومن المنظور المادى ، فهو دلالة على الانفصالية، وبشكل يدعو للحزن ، على الخوف الذى أصبح سمة لدولة تأسست على تنوع الآراء والتسامح . وعلى الصعيد السياسى ، فهو يعبر عن الرغبة فى الخصخصة والعمل على تقليص مسؤوليات الحكومة فى توفير الخدمات للجميع ، وأن تستبدل بها مؤسسات خاصة لها أهدافها الذاتية ممثلة فى المدارس الخاصة ، وسائل الترفيه الخاصة ، الحدائق الخاصة ، الطرق الخاصة، وصولا إلى حكومات شبه خاصة . وفى الجانب الاجتماعى ، يمثل البيت القلعة نبوءة تتحقق. فكلما زادت عزلة الناس وقلت مشاركتهم لآخرين يختلفون عنهم ، زادت مبررات

خوفهم . وحتى نصل إلى هذا الحد ، فإن الخصخصة تلعب دورا قويا في السوق لتصبح الموجه لصناعة بناء المنازل ولأنماط استخدام أراضينا ". (١٥)

وقد تساءل النقاد عن جدوى التقليدية الجديدة ، وعن اعتمادها على التصميمات المادية لإنتاج سلوك اجتماعي ، وعن درجة نجاحها بالفعل في خلق المجتمع وتقليل الضغوط البيئية . وعلى أية حال ، فهناك الكثير الذى يمكن أن نتعلمه من مبادئ التقليدية الجديدة وتصميماتها في خلق وبعث المجاورات ، وتحويلها لأماكن أفضل وأكثر أمانا وحميمية وأكثر حيوية . فهى بالأحرى مبادئ قوية رغم بساطتها . أنها تستدعى إلى الوجود ذلك " المحل على الناصية " وأن تستبدل بأفنية المنازل الأمامية مساحات عامة أرحب ، ووضع الشرفات بمداخل المنازل ودفع الجراجات إلى خلفها ، وتضييق الشوارع وإحاطتها بالأشجار وتوطئتها للمشاة . كل هذه الأفكار وغيرها كثير، تركز على الارتقاء بالمجاورات والمدن الصغيرة ، وبناء مساحات جديدة لا تتكرر بها أخطاء الماضى . إنها تعطى الإجابة لمشكلات الحضر والضواحى ، وهى إجابات لا تعتمد على تقنيات الأبواب والجدران .

خلق مناطق أفضل لبناء مجتمعات أفضل

توجد مدننا ومجاوراتنا فى إطار أنظمة اقتصادية إقليمية حضرية. وكلتاهما تتشكل بطابع المناطق التى هى جزء منه ، وتسهم فى نفس الوقت فى تشكيل تلك المنطقة . واعتبارا من الثمانينيات ، انخفض عدد السكان بالمدن المركزية في حين اجتذبت منطقتها الحضرية مزيدا من السكان ونمت مساحتها الجغرافية لحد مثير . وأصبح واضحا للعيان نتائج هذا التغيير فى البنية الإقليمية وأثره على كل المدن الرئيسية . فقد أصبحت الضواحى أقل حرصا فى التعاون والتعايش مع المدن الكبيرة ، فتترست خلف درع البلدية الخاصة بها ، وقاومت الاندماج مع الضواحى المتاخمة أو المدن الرئيسية المجاورة أو الكيانات الإقليمية الأوسع نطاقا . وبقدر الاختلاف بين الضواحى ، والتآكل فى المناطق القديمة ، والتمدد في الضواحى القروية المترفة ، فإن التنافس والصراع لا يلبث أن يحدث بين الضواحى وفيما بينها وبين المدينة . ويرى مارك بالداسار ، وهو حجة فى الموضوعات المتصلة بالضواحى على مستوى البلاد ، أن هذه الاتجاهات سيكون لها عواقبها الكبيرة :

" إن مجتمعات الضواحى الغنية حسنة التنظيم ستزداد رخاء ، وستتمكن من القيام بالخدمات وجذب مصادر الدخل بنجاح أكبر من غيرها ، فالسكان المقتدرون سينزحون إلى الأماكن " الناجحة " ليرفعوا بذلك من مكانتها وآفاقها وتميزها . وسوف يؤدى هذا لمزيد من عدم المساواة فى المكانة والسلع والخدمات ، فكما سوف تحقق بعض مجتمعات الضواحى مكاسب نوعية كثيرة ، فستمنى أخرى بالخسارة . وعندما يعيش الإنسان ويعمل فى الضواحى تزداد أهميتها عن مجرد سكنه فيها ".(١٦)

أية أهمية يعنيها ما تقدم فى نظرتنا للمجتمعات المغلقة ؟ لأن كل المجاورات سواء كانت مغلقة أو غير مغلقة لديها نفس الأهداف النهائية : السيطرة على المرور ، القضاء على الجريمة ، حماية المركز الاقتصادى ، والحفاظ على نوعية حياة مستقرة . وعلى المستوى الفردى للأسرة فإن الإغلاق يكون اختيارا عقلانيا ، أما من منظور المدينة أو الإقليم أو الأمة ، فإن الإغلاق لا يسهم بشىء لعلاج أسباب المشكلات التى هو ذاته رد عليها .

يتعين علينا أن نواجه مشاكل الفقر والفوضى الاجتماعية وتدهور الخدمات والبنية فى المحليات ، بدلا من الهروب منها أو أن نغلق على أنفسنا دونها . إن مجاوراتنا وشوارعنا وبيوتنا وأسرنا لن تكون آمنة حقا وأبدا بينما نتجاهل المجتمع الأكبر الذى نحن جزء منه . إن بنية وصحة كيان إقليم ما ككل لها دورها المركزى فى تحديد الفرص الاقتصادية والاجتماعية وكذا نوعية الحياة بالمجاورة لكل السكان . وجانب من النمو المستقبلى للإقليم يتأكد من الاعتراف بأنه ما من مجاورة أو محلة تكون قادرة على أن تقف وحدها ، وبأن التصميم المادى لمجاورة وأساليب استخدام الأرض التى ننهجها تؤثر على غيرها بالإقليم ، فالمجاورات والمدن صغيرها وكبيرا والتى تشكل فيما بينها إقليما ، يقوم بينها اعتماد متبادل .

ورغم أننا نتعاطف مع حجج الفريقين ، فاننا نعتقد أن المفهوم الأوسع للحياة المدنية ينبغى أخذه فى الاعتبار عند التفكير فى إقامة البوابات أو المتاريس . فالحد من تفاقم مشكلة المرور أو المخدرات عن طريق إغلاق مجاورة ما ، قد يهدئ من روعها فى المدى القصير ، ولكن ذلك قد يضعف من الاهتمام بتطوير حلول حقيقية لهذه المشاكل وغيرها ، وعلى المدى الأبعد ، فإن هذه المشاكل ستطل برأسها مرة أخرى . وفى نفس الوقت فإنه لا يجب أن يتعرض أحد لأعباء مرور غير محتملة

ولا للجريمة المحلية ، بل يجب اتخاذ الوسائل الفعالة للتخفيف من وطأتـــهما . ولكــن المدينة كلها تحتاج للمشاركة فى اتخاذ القرارات بإنشـــاء البوابـــات والمتـــاريس لأن المجتمع الأوسع يتحمل كثيرا من العبء المادى والاجتماعى الذى تخلقه تلك البوابـــات والمتاريس . ومثل هذه القرارات تتطلب أيضا مساهمة الإقليم بحيـــث يكـــون تـــأثير الحواجز على الوحدات الأخرى ذات الولاية القانونية جزءا من المعلومات التى علـــى أساسها تتخذ القرارات .

وفى كتابه " *رؤى جديدة للحاضرة الأمريكية* " يدعو آنتونى داونز لروح إقليميـــة فى المجتمع ، ويقول فى هذا الشأن .. " إن أية ســـلطة ذات ولايـــة قانونيـــة ليســـت جزيرة . وكل ضاحية مرتبطة بمدينتها المركزية وبغيرها من الضواحى ، ومـــن ثـــم فترتيبات وضع السياسة التى لا تراعى رفاهية الناس الذين قد يتأثرون لحد كبير بتلـــك السياسات ، ليست لها شرعية أخلاقية ". وفى ملاحظته بأنه من النـــادر الوفـــاء بـــهذا المثل الأعلى ، لأننا نضع تعريفاتنا لمجتمعاتنا ولمسؤولياتنا تجاهها فى ســـياق ضيـــق للغاية ، فإن آنتونى دوانز ينتهى إلى القول .. " إن [هذا] الموقـــف ينتـــهك البديهيـــة الأساسية للديمقراطية المقررة فى إعلان الاستقلال وهى أن الحكومة تستمد ســـلطاتها الشرعية من موافقة المحكومين ، فأى إنسان يتأثر بشكل ملحوظ بسياسة عامـــة ، لـــه الحق فى أن يسهم بصوته فى تحديد هذه السياسة ". [١٧] والمجتمع كما عرفـــه داونـــز كيان جغرافى وإحساس بالمسؤولية الاجتماعية أيضا ، فالإغلاق ، والســـيطرة علـــى النمو ، وغير ذلك من أشكال الانفصال الاجتماعى المؤسس على النعـــرة المحليـــة ، يجرى استخدامها كقناع من أجل استمرارية التمييز الاقتصادى والاجتمـــاعى . لكـــن يتضح بشكل متزايد أن العمل على مستوى الحواضر يمكـــن أن يخفـــف مـــن وطـــأة الضغوط الاجتماعية والمادية .

وتهتم مجالس الحكم الإقليمى فى أجزاء قليلة من البلاد مثل مجلس منطقة المرفـــأ فى خليج سان فرانسسكو ، ومجلس آليجنى كونفرنس فى حاضرة بيتسبرج ، بالقضايـــا الاجتماعية الأشمل وبموضوعات استخدام الأرض ذات العلاقة بالتنميـــة الإقليميـــة . وهذه الوحدات وغيرها تبحث احتياجات الإقليم وتنشئ تحالفات جديدة لفـــائدة المنطقـــة بأسرها . فنظام للنقل على مستوى الإقليم فى بورتلاند بأوريجون ، أسفر عـــن بعـــث للحياة فى المجاورات الممتدة على خطوطه ، من خلال مد خط السير إلـــى " جيـــوب

المشاة " فى المجاورات ، الأمر الذى يسر من قيام تنظيم وتطور أفضل بها . ومن جانبها ، فالمنظمات غير الحكومية مثل المؤسسة الاسكانية بريدج فى سان فرانسسكو ، وهى شركة معنية ببناء مشروعات إسكان ومجتمعات عمرانية جديدة فى منطقة مرفأ سان فرانسسكو ، تعطى الدليل على فاعلية الحلول الإقليمية .(١٨) ويستهدف كل تلك الجهود جمع القيادات السياسية والاجتماعية والاقتصادية معا من أجل مصلحة المحليات فى الإقليم .

بيد أن الحلول سواء كانت محلية أو إقليمية لن تصادف النجاح الكامل بدون تجديد التزام السلطة الاتحادية نحو مدننا . فالفقر وعدم المساواة قد يزدادان تفاقما ويطول أمدهما نتيجة لإقدام أو لعجز حكوماتنا المحلية ، ولكن جانبا من تلك المشكلات له علاقة بقوى اقتصادية وطنية وعالمية ، يمكن التعامل معها فقط بواسطة الحكومة الاتحادية. وفى هذا الشأن، فقد سجلت كل من الثمانينيات والتسعينيات تراجعا مؤثرا لواشنطن عن البرامج المناهضة للفقر بما فيها الإسكان والرعاية الصحية والتعليم . وبدون هذه البرامج وبدون سياسة اقتصادية شاملة لزيادة الفرص والحد من الثراء المتنامى والتفاوت فى الدخول ، فلن تكون لجهود الحكومة المحلية فاعلية تذكر .(١٩)

إذا انقسمنا سقطنا

يتناول هذا الكتاب الناس أكثر مما يتناول الأماكن المغلقة ببوابات . فالناس هى التى تصنع المكان وتنصب البوابات ضد أناس آخرين . ويجرى إستخدام البوابات والجدران وحراس الأمن بمعرفة عدد متزايد من الأمريكيين كرد فعل للتحول بالمجتمع وبالاقتصاد الوطنى . وهذه البوابات واقع ملموس ، ولكنها مجاز أيضا : فالمجتمعات المغلقة هى المناطق المحمية على أرض المعركة حيث تستعر الحرب العقائدية الأهلية من أجل الحلم الأمريكى .

وفى الستينيات ، كتب دانيال باتريك مونيهان عن أفول الأسرة الأمريكية من أصل افريقى ، ووصف بناء الأسرة بأنه مثل جهاز إرسال للقيم والمدخل إلى النظام الاقتصادى الأمريكى .(٢٠) وقد شجب الأمريكيون الأفارقة وصف مونيهان لتفكك الأسرة ، بيد أن القضايا التى أثارها كانت بمثابة نبوءة فيما يتعلق بالتقدم الاقتصادى

والاجتماعي للأمريكيين السود . واليوم ، فإن بناء الأسرة كما استخدمه مونيهان كخلفية لمؤلفه ، من النادر أن يلحظه أحد فى أى مجموعة عرقية أمريكية .

وبقدر تفكك الأسرة ، أخذ المجتمع مكان الصدارة فى بناء الأمة بشكل متزايد ، ولم يعد الأمريكيون يتوقعون أو يثقون بأن الأسرة ستكون قوية وفعالة وأداة وصل يعتمد عليها بين الفرد والمجتمع . وأخذ المعاصرون من فلاسفة الاجتماع والقادة السياسيين والكتاب يدعون إلى إعادة التأكيد على المجتمع باعتباره حجر الزاوية الجديد للأمة .[٢١] وفى أمة تتحرك وتتشرذم أصبح المجتمع نقطة ارتكاز فى تطور القيم ، وفى خلق المسؤولية السياسية ، وفى تكوين شبكات اتصال اجتماعية تعنى بشؤون العمالة والمواطنة . وكما قال مايكل والترز بأسلوبه البليغ .." إن المجتمع نفسه سلعة ـ والمفترض أنه أهم سلعة ـ يجرى توزيعها. لكنها سلعة يمكن توزيعها فحسب بإدخال الناس فيها ، بكل ما تحمله العبارة من معنى . يجب أن يسمح بدخول الناس ماديا ، واستقبالهم سياسيا ".[٢٢]

لقد دخل المجتمع القاموس الوطنى من جديد ، لأنه لا توجد إلا قوى قليلة جدا تجمع شمل الأمة . ووفقا لما قاله آنتونى داونز .. " فى المدى البعيد ، يجب على أمريكا أن تدعم الأسس اللازمة لاستمرار وحدتها كمجتمع ، وذلك من خلال المزيد من التركيز على التضامن المجتمعى ، وأقل منه على الاحتياجات الفردية ".[٢٣] غير أن الصيغة التى يتم تشكيل المجتمع بموجبها مهمة قدر أهمية الهدف نفسه . وبينما نشاهد هذا النموذج الجديد للمستوطنة القلعة آخذ فى التطور ، فإننا نتساءل إن كان ذلك يمثل إضافة للقيم الديمقراطية التى نسعى وراءها .

والمجتمع جزء من الأسطورة السياسية الأمريكية ، ومن تقاليدها ، من التجمعات المدينية فى نيو إنجلاند إلى الحركة التعاونية لإنشاء مراكز التموين بمستعمرات الحدود. وأخذا بهذه التقاليد ، فإن المجتمع يعترف بأن حياة الأفراد ومستقبل الأماكن المحلية ترتبط بشكل لا ينفصم بمدنهم وأقاليمهم وأمتهم. ومن واجبنا حماية المجتمعات فى مجاوراتنا لأنها حيوية وأساسية بالنسبة لمجتمعنا الديمقراطى . ومع هذا، فإن حماية المنازل والممتلكات المادية بالبوابات والحراس يتناقض مع بناء المجتمع بمستواه الأكثر رحابة . إن الدعم المتبادل والعلاقات المجتمعية المشاعة فى المجتمع

هى التى تتطلب الحماية ، وتستحق أن نكرس لها مواردنا المادية والفكرية ، وليس رموز الانفصالية والاستهلاك المؤدى للاغتراب .

والسؤال المطروح أمام أمريكا هو عما إذا كانت الأمة قادرة على تخطى إنقساماتها الداخلية وعلى أن تخلق مجتمعا عبر الانقسامات العرقية والطبقية والثقافية ، وأن تبنى ديمقراطية حقيقية تضمن المساواة للجميع . إن واجبنا هو أن نستعيد نموذج المجتمع الأرحب قبل أن نستعيد النظام الاجتماعى الذى يوفر الراحة ويسمح لكل أمريكى بأن يسهم فى الرفاهية الاجتماعية على مستوى الوطن .

إن نسيج المجتمع المدنى ، الالتزام المجتمعى نحو الحياة المدنية والعامة ، آخذ بالتصدع . ويتنامى التلف بزيادة الخصخصة والتفتيت وزيادة النزعة المحلية . وحدود المجتمعات المغلقة شعار لحدود يتم نشرها وتدعيمها بينما المجتمعات تتفتت وتركز نظرتها نحو الداخل . إن الحاجة إلى الآخر فى المجتمع آخذة فى الاضمحلال ، والجدران العازلة للاتصال آخذة بالانتشار .

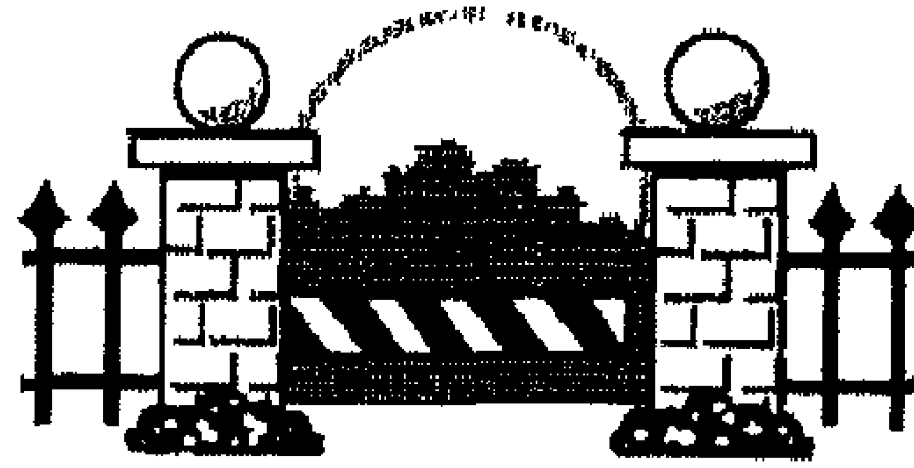
والديمقراطية تتأسس فى جانب منها على التبادلية وعلى المواطنة الجماعية ، مع بناء المجتمعات التى تربط الأفراد سويا عبر اختلافاتهم لتكوين مدينة وإقليم وأمة . ونحن نتساءل الآن هل من الممكن لأمة أن تحيا وتزدهر بدون مجتمعات منغمسة على نحو شامل فى ممارسة حق المواطنة ؟ وهل تستطيع أمة أن تبلغ درجة الكمال عندما تكون مجتمعاتها مقسمة وتقيم الشراك أحدها للآخر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .

لقد أدلى فرانكلين روزفلت ببيان عميق للغاية فى عام ١٩٣٦ بشأن حاجتنا لمصير مشترك .. " لقد أعطى الكثير لبعض الأجيال ، ويتوقع الكثير من بعضها الآخر . وهذا الجيل من الأمريكيين على موعد مع القدر ". وأضاف إريك جولدمان قائلا إنه بالنسبة لنا جميعا .. " وإلى حد بعيد ، [كان الإصلاح الاجتماعى] فى مكان العقل والقلب للأمة الوحيدة فى تاريخ البشرية التى جرؤت على أن تحيا بعقيدة أن موعد فرد مع القدر إنما يكون موعدا مع غد أفضل ".[٢٤] وأن نفكر كيف نحيا سويا هو موعدنا مع القدر ، وهو الشيء الوحيد الذى سوف يجعل من أمريكا مكانا أفضل بحق اليوم وغدا .

وحيث تصبح الخصخصة واستبعاد الآخر سائدة وتختفى روابط الجـــيرة وأدوات الاعتماد المتبادل ، يكون من حقنا التساؤل إن كانت الديمقراطية الأمريكية المؤسســـة على المواطنة والمجتمع مازالت ممكنة ، لقد قال ابراهام لينكولن مـــرة .. " إن بيتــا ينقسم على نفسه لن تقوم له قائمة ". وبالقطع فإن أمـــه لا تســتطيع أن تحقــق مثلــها الأعلى لا يمكنها أن تقدم الكثير لنفسها أو للعالم . وكل جـــدران التعصـــب والجـــهل وعدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية ، يجب أن تسقط قبل أن نلاقى موعدنـــا مـــع مثلنا الأعلى الديمقراطى ، ويجب أن تتفتح جدران العقــل علـــى أمـــة أكـــثر تنوعــا نقبلها وننعم بها . عندئذ سوف تتـــهاوى الجـــدران التـــى تفصـــل بيـــن مجتمعاتنـــا وتعترض الاتصال المجتمعي وتضعف العقد الاجتماعى .

تذييـــل

المسح الخاص باتحادات الملاك



قمنا بإعداد الأسئلة التالية ، والتى أدرجها معهد اتحادات المجتمعات فى المسح الشامل الـــذى أعـده عام ١٩٩٥ عن اتحادات الملاك . وقد تم إرساله بالبريد لنحو سبعة آلاف مجلـس إدارة للاتحـادات من أعضاء المعهد (وهو المنظمة الوطنية لاتحادات الملاك) فى مختلف أرجـاء البـلاد . وكـان الذين أجابوا عن الأسئلة من سكان المجتمعات وممثليهم المنتخبين على السواء . وهذه الأسئلة كـانت فى قسم منفصل خاص بالمجتمعات المغلقة فحسب .

١- ما مدى الأهمية فى اعتقادك التى مثلها موضوع الأمن فى القرار النـهائى للسـكان بـأن يعيشوا فى مجتمعك ؟

___ غير مهم

___ مهم لحد ما

___ مهم للغاية

___ غير متأكد

٢ أ- كيف تصف مستوى الحس المجتمعى فى منشأتك ؟

___ علاقة حسن جوار ووشائج قوية

___ متسم بالصداقة

___ ابتعادى أو يتسم بالخصوصية

٢ب ــ لو قارنته بأغلب المجتمعات فى منطقتك ، هل تقولِ إن مجتمعك ؟

___ أقل فى حسن الجوار

___ نفس المستوى

___ أكثر حميمية

___ غير متأكد

٣ أ ــ كيف تصف مستوى مشاركة السكان فى إدارة اتحاد الملاك ؟

___ نشيط جدا

___ نشيط لحد ما

___ ليس نشيطا جدا

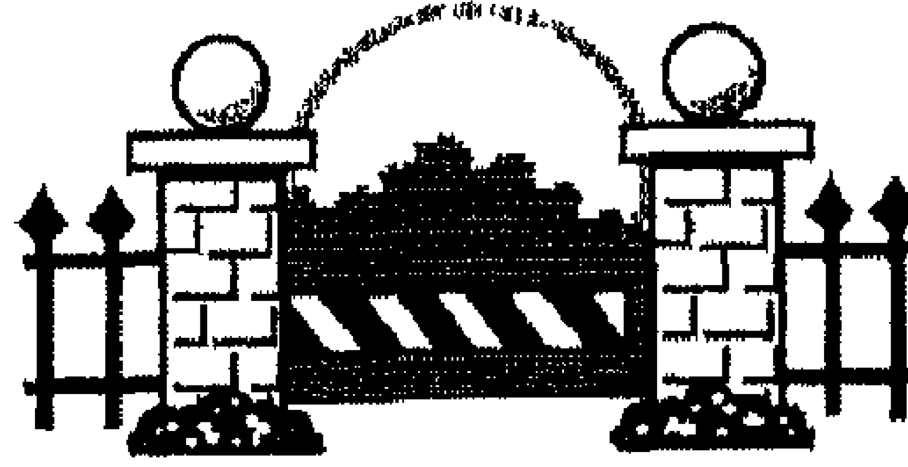
٣ب ــ كيف تصف مستوى مشاركة السكان فى النشاطات التى يشرف عليها اتحاد الملاك بخلاف تلك المتعلقة بالإدارة والحكم (أى فى الأحداث الرياضية أو الخيرية) ؟

___ نشيط جدا

___ نشيط لحد ما

___ ليس نشيطا جدا

الهوامش



الفصل الأول

١- الأعداد المؤكدة للمجتمعات المغلقة ليست متاحة . ويزيد من صعوبة الأمر الزيادة السريعة في اعدادها ونقص المعلومات عنها سواء على المستوى الوطني أو على مستوى الولاية، ونقص المعلومات حتى بشأن عدد الاتحادات المجتمعية المعنية . وهذا التقدير التقريبي مستمد من الرقم التقديري لمعهد اتحادات المجتمعات بشأن عدد هذه الاتحادات، وقدر المعهد عام ١٩٥٢ هذا العدد بنحو مائة وخمسين ألفا ، مع معدل زيادة سنوى يقدر بنحو عشرة آلاف . وهو ما يصل بالعدد عام ١٩٩٦ إلى نحو ١٩٠ ألف اتحاد . ووفقا للمعهد ، فإن ٥٢ في المائة من كل اتحادات المجتمعات تضم محلات سكنى منفصلة أو مجمعة تطل على شوارع . وحسبما ورد في دراسة حديثة للمعهد ، شاركنا فيها ، فإن ١٩ في المائة من اتحادات المجتمعات مغلقة ، الأمر الذى يعنى أن ١٨٧٧٢ منشأة يصدق عليها تعريفنا للمجتمع المغلق . وبحساب متوسط عدد الوحدات في المجتمعات المغلقة الذى انتهت إليه الدراسة ، وهو ١٦٦ ، فنحن إذن بصدد ثلاثة ملايين و١١٦ ألف أسرة تعيش خلف البوابات . وبضرب هذا الرقم في متوسط ٧ر٢ فرد بالأسرة ، نصل إلى عدد سكان يربو على ٤ر٨ مليون نسمة . وقد يكون هذا الرقم أميل للمبالغة قليلا بسبب كون المنشآت الأكبر حجما هى عادة الأكثر حرصا على عضوية

المنظمة ، لكن فى الوقت نفسه ، فتقديراتنا المتقدمة لا تشمل مجتمعات الشـــوارع المغلقـــة ذات الأعداد الكبيرة والمتزايدة الانتشار .

٢- Rowland Parker, *The Common Stream* (London: Granada Publishing, 1976).

٣- Oscar Newman, *Community of Interest* (Garden City, N.Y.: Anchor Press/Doubleday, 1980).

٤- انظر الهامش (١) للوقوف على تفاصيل عن أساس التوصل لهذا التقدير .

٥- مقابلة مع مارتا بورسانى وروبرت شارلس ليسر وشركاه فى ٢٧ نوفمبر ١٩٩٣.

٦- Jim Carlton, " Behind the Gate: Walling Off the Neighborhood Is a Growing Trend," *Los Angeles Times,* October 8, 1989, sec. I, p.3.

٧- البيان مستقى من *اتجاهات الإسكان* الواردة فى المرجع السابق .

٨- David W. Myers, "Today's Home Buyers Older Than in 70s, " *Los Angeles Times,* June 17, 1990, sec. K, p. 2.

٩- Andrew I. Kaplan, "Gatehouses in Demand at New Housing Complexes, " *New York Times,* May 12, 1991, sec. 12, p. 1.

١٠- انظر Charles Hayes, "City Enclaves: Self-Contained Neighborhoods Dominate New Development, " *Chicago Tribune,* June 12, 1993; Jim Sulski, "Security Is a Safe Way to Sell New Residences, " *Chicago Tribune,* May 6, 1989, sec. 3, p. 3; Douglas A. Blackmon, "Well-to-Do Say Development Builds Barriers, " *Atlanta Constitution,* December 17, 1992, sec. E, p. 1; and Deborah Royston. "Home Security Systems Are Growing in Popularity, " *Atlanta Constitution,* July 7, 1991, sec. H, p. 3.

١١- Michael Southworth and Eran Ben-Joseph, *Streets and the Shaping of Towns and Cities* (New York: McGraw Hill, 1997).

١٢- Robert Fishman, *Bourgeois Utopias: The Rise and Fall of Suburbia* (Basic Books, 1987), chapter 2.

١٣- Robert A. M. Stern, ed., *The Anglo-American Suburb.* Architectural Design Profile (New York: St. Martin's Press, 1981).

١٤- Kenneth Jackson, *Crabgrass Frontier: The Suburbanization of the United States* (New York: Oxford University Press, 1985).

١٥- Stern, ed., *The Anglo-American Suburb,* p. 19:

١٦- Rosabeth Moss Kanter, *Commitment and Community: Communes and Utopias in Sociological Perspective* (Harvard University Press, 1972), p. 54.

١٧- Stern, ed., *The Anglo-American Suburb.*

١٨- James Boswell, *Boswell's Life of Johnson* (London: H. Frowde, 1904).

١٩- Jackson, *Crabgrass Frontier.*

٢٠- Christopher B. Leinberger, "Suburbia" (Robert Charles Lesser and Co., 1993).

٢١- Carlton, "Behind the Gate. "

٢٢- مقابلة مع ستيف هارفل ، استشارى محلى بشأن المجتمعات المغلقة فى دالاس ، تكســـاس ، ٢٩ نوفمبر ١٩٩٤ .

٢٣- مقابلة مع آمى تانل بشركة أفاتر ديفلوبمنت كوربوريشن بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٩٤ .

٢٤- مقابلة مع هارفل .

٢٥- Evan McKenzie, *Privatopia: Homeowner Associations and the Rise of Residential Private Government* (Yale University Press, 1994). وفيـــه أورد ماكينزى بالتفصيل فكر هوارد عن التنظيم المـــادى والاقتصـــادى والاجتمـــاعى فـــى التخطيط للمدينة الجديدة .

٢٦- النص لأبينزر هوارد فى المرجع السابق ، ص ٦ .

٢٧- المرجع السابق ، الفصل الثانى .

٢٨- اتحادات الملاك تأخذ أسماء أخرى مثل اتحادات المجتمعات أو اتحادات المجتمعات الســكنية أو منشآت المصالح المشتركة .

٢٩- Marc A. Weiss, "Community Builders and Community Associations: The Role of Real Estate Developers in Private Residential Governance, " in *Residential Community Associations: Private Governments in the Intergovernmental System* (Washington, D.C.: United States Advisory Commission on Intergovernmental Relations, 1989).

٣٠- يطلق عليها فى كاليفورنيا اسم سندات ميلـــو ـ روز Mello-Roos bonds ، وتصـــدر لتغطية نفقات البنية الأساسية للمنشأة السكانية مع إعفاء فوائدها من الضرائـــب . وتصبـــح المنشأة بعد بنائها قطاعا ضرائبيا خاصا حتى تاريخ استهلاك الســـند . وهـــذا النـــوع مـــن السندات لا يعطى عادة فائدة مرتفعة ، ولكن نظرا لكونها صادرة عن حكومة محلية ، فـــإن تداولها بالسوق يبدو سهلا ، أو هكذا كانت قبل إفلاس مقاطعة أورانج عام ١٩٩٥ .

٣١- *Village of Belle Terre* v. *Boraas* (1974), quoted in Robert H. Nelson, "Private Neighborhoods: A New Direction for the Neighborhood Movement, " in Charles C. Geisler and Frank J. Popper, eds., *Land Reform American Style* (Totowah, N.J.: Rowman and Allanheld, 1984), p. 321.

Doreen Heisler and Warren Klein, *Inside Look at Community* -٣٢
Association Homeownership: Facts and Perceptions (Alexandria, Va.: Community Associations Institute, 1996), pp. 7-8.

Community Associations Institute, *Community Associations Factbook* -٣٣
(Alexandria, Va.: Community Associations Institute, 1993).

Robert B. Reich, *The Work of Nations: Preparing Ourselves for 21st-* -٣٤
McKenzie, انظر أيضا *Century Capitalism* (A.A. Knopf, 1991). *Privatopia;* Stanley Scott, "The Homes Association: Will 'Private Government' Serve the Public Interest? " *Public Affairs Report,* vol. 8, no. 1; United States Advisory Commission on Intergovernmental Relations, *Residential Community Associations: Private Governments in the Intergovernmental System?* (Washington, D.C.: USACIR, 1989); and Stephen E. Barton and Carol J. Silverman, "Common Interest Communities: Private Government and the Public Interest Revisited, " in Stephen E. Barton and Carol J. Silverman, eds., *Common Interest Communities: Private Government and the Public Interest* (Institute of Governmental Studies Press, University of California at Berkeley, 1994).

McKenzie , *Privatopia;* Earl Latham, "The Body Politic of the انظر -٣٥
Corporation, " in Edward S. Mason, ed., *The Corporation in Modern Society* (Harvard University Press, 1959); and Sanford A. Lakoff with Daniel Rich, *Private Governments: Introductory Readings* (Glenview, Ill.: Scott, Foresman, 1973).

David J. Kennedy, "Residential Associations as State Actors: Regulating -٣٦
the Impact of Gated Communities on Nonmembers, " *Yale Law Journal,* vol. 105, no. 3 (December 1995), pp. 761-93.

John E. Petersen, "The Blossoming of Microgovernments, " *Governing* -٣٧
(October 1994), p. 78.

Robert J. Dilger, *Neighborhood Politics: Residential Community* -٣٨
Associations in American Governance (New York University Press, 1992); and Kennedy, "Residential Associations as State Actors. "

Lucy Soto, "Suburban Fortresses: Gated Communities Are Going Up, -٣٩
Keeping Out, " *Atlanta Constitution,* September 17, 1995, sec. F, p. 4.

Kevin V. Johnson, "Chicago Suburb a Fortress against Crime, " *USA* -٤٠
Today, July 6, 1995, p. 3A.

John M. Glionna, "Hidden Hills Likes Its Politics out of View, " *Los* -٤١
Angeles Times, April 11, 1994, sec. A, p. 1.

Trevor Boddy, "Underground and Overhead: Building Analogous City, " and Mike Davis, "Fortress Los Angeles: The Militarization of Urban Space, " both in Michael Sorkin, ed., *Variations on a Theme Park: The New American City and the End of Public Space* (New York: Hill and Richard Louv, *America II: The Book That* انظر أيضــا Wang, 1992). *Captures America in the Act of Creating the Future* (New York: Penguin, 1985). -٤٢

Boddy, "Underground and Overhead, " p. 151. -٤٣

الفصل الثانى

Peter Marcuse, "Not Chaos, but Walls: Postmodernism and the Partitioned City, " in Sophie Watson and Katherin Gibson, eds., *Postmodern Cities and Spaces* (Oxford: Blackwell, 1995), p. 248. -١

Ferdinand Tönnies, *Community and Society,* trans. and ed. C.P.Loomis (1887; reprint, New York: Harper, 1957). -٢

Robert E. Park, Ernest W. Burgess, and Roderick D. McKenzie, *The City* (University of Chicago Press, 1925). -٣

Louis Wirth, "Urbanism as a Way of Life, " *American Journal of Sociology,* vol. 44 (1938), pp. 3-24. -٤

Roland L. Warren, *The Community in America* (Chicago: Rand McNally, 1978). -٥

Morris Janowitz, *Community Press in Urban Setting: The Social Elements of Urbanism,* 2d ed. (University of Chicago Press, 1967). -٦

Gerald Suttles, *The Social Construction of Communities* (University of Chicago Press, 1972). -٧

Robert A. Nisbet, *The Quest for Community* (New York: Oxford University Press, 1970). -٨

Melvin Webber, "Order in Diversity: Community without Propinquity, " in Lowdon Wingo Jr., ed., *Cities and Space: The Future Use of Urban Land,* essays from the Fourth RRF Forum (Johns Hopkins University Press, 1963). -٩

Barry Wellman and Barry Leighton, "Networks, Neighborhoods and Communities: Approaches to the Study of the Community Question, " *Urban Affairs Quarterly,* vol. 14, no. 3 (1978), pp. 363-90; and Claude S. Fischer, *To Dwell among Friends: Personal Networks in Town and* -١٠

City (University of Chicago Press, 1982).

George A. Hillery, Jr., "Definitions of Community: Areas of Agreement, " *Rural Sociology,* vol. 20 (June 1955), p. 118. -١١

Stephen E. Barton and Carol J. Silverman, *Common Interest Homeowners' Association Management Study* (Sacramento: California Department of Real Estate, 1987); Robert J. Dilger, *Neighborhood Politics: Residential Community Associations in American Governance* (New York University Press, 1992). -١٢

Dilger, *Neighborhood Politics,* p. 111. -١٣

Gregory S. Alexander, "Conditions of 'Voice' : Passivity, Disappointment, and Democracy in Homeowner Associations, " in Stephen E. Barton and Carol J. Silverman, eds., *Common Interest Communities: Private Government and the Public Interest* (Institute of Governmental Studies Press, University of California at Berkeley, 1994). -١٤

Gregory S. Alexander, "Dilemmas of Group Autonomy: Residential Associations and Community, " *Cornell Law Review,* vol. 75, no. 1 (1989), pp. 1-61. -١٥

Herbert J. Gans, *The Levittowners: Ways of Life and Politics in a New Suburban Community* (Pantheon Books, 1967); Elijah Anderson, *Streetwise: Race, Class and Change in an Urban Community* (University of Chicago Press, 1990). -١٦

William Julius Wilson, *The Truly Disadvantaged: The Inner City, the Underclass, and Public Policy* (University of Chicago Press, 1987). -١٧

Robert Bellah and others, *Habits of the Heart: Individualism and Commitment in American Life* (Harper and Row, 1986). -١٨

١٩- كان انديس دونى وشريكته اليزابيث بلاتر ـ زيبريك ومعهما بيتر كالثوب وعدد آخر من المعماريين الثقات على المستوى الوطنى ، فى مقدمة الدعاة لبناء المدن الجديدة من منظور احتياجات المشاة ، والتى لا تتطلب بوابات أو متاريس وإنما تعتمد على التصميم السكنى لتدعيم مناخ الأمن .

الفصل الثالث

Paul Richter, "It Just Seems Like We're Worse Off," *Los Angeles Times,* January 26, 1995, sec. A, p. 1. -١

Economic and Statistics Administration, *Sixty-Five Plus in the United* -٢

States (Washington, D.C.: Census Bureau, U.S. Department of Commerce, 1995).

٣- Kevin Sullivan, "Folks Find Life at Leisure World Still Busy after All These Years," *Washington Post,* September 29, 1991, sec. B, p. 1.

٤- إعلان فى صحيفة *شيكاغو تريبيون* ـ ٦ مايو ١٩٨٩ .

٥- Lesley Alderman, "Four-Income Families," *Money,* vol. 24, no. 2 (February 1995), pp. 148-54.

٦- مقتبس من John O'Dell, "Par Excellence: Country Clubs: Orange County Developers Bank on the Growing Demand for Golf Courses," *Los Angeles Times,* May 12, 1991, sec. D. p. 1.

٧- Joel Garreau, *Edge City: Life on the New Frontier* (Doubleday, 1991).

٨- مقابلة مع مارتا بورسانى وروبرت تشارلس ليسر وشركاه (٢٧ نوفمبر ١٩٩٣) .

٩- مقتبس من David Guterson, "Home, Safe Home," *Utne Reader,* March/ April 1993, p. 62.

١٠- المرجع السابق .

١١- خلال زيارة ميدانية فى مارس ١٩٩٤ .

١٢- خلال لقاء مع مجموعة من المسؤولين الحكوميين ، بالم سبرنجز ـ كاليفورنيا ، فى ٢٩ سبتمبر ١٩٩٤ .

١٣- المرجع السابق .

١٤- المرجع السابق .

الفصل الرابع

١- Robert A. M. Stern, ed., *Th Anglo-American Suburb,* Architectural Design Profile (New York: St. Martin's Press, 1981).

٢- مجلة تاون آند كانترى ؛ تقرير بعنوان "Wealth in America" شمل استقصاء للرأى أجرته مؤسسة Roper Starch Worldwide عام ١٩٩٣ لحساب مجلة تاون آند كانترى ونشر عام ١٩٩٤ .

٣- فى مقابلة مع تشك لينون المدير التنفيذى لاتحاد البنائين لجنوب فلوريدا ـ ميامى ليك . فلوريدا ، فى ٩ ديسمبر ١٩٩٤ .

٤- فى مقابلة مع كيرت ويلوود من مجموعة كيرت ويلوود هومز بدالاس ـ تكساس فى ٢٩ نوفمبر ١٩٩٤ .

٥- مقتبس من John M. Glionna, "Hidden Hills Likes Its Politics Out of View,"

Los Angeles Times, April 11, 1994, sec. A. p. 1.

٦- مقتبس بواسطة Ina Jaffe, "Gated Communities Controversy in Los Angeles," *All Things Considered.* National Public Radio, August 11, 1992.

٧- مقتبس من Dianne Stallings, "Hernando County, with Its Reputation for Housing Bargains. Becoming a Prime Location for a Grand Style of House," *St. Petersburg Times,* October 4, 1987, p. H1.

٨- Lorraine Mirabella, "Selling Security," *Baltimore Sun,* December 11, 1994, p. L1.

٩- Charles Lesser and Co., "Flexexecutive: Redefining the American Dream," *Advisory,* Fall 1994.

١٠- Gary A. Clark, "City Boys Go West for Change: Conner, Bruno Join Forces in Development," *St. Louis Post-Dispatch,* June 25, 1989, p. 4.

١١- مقتبـس من Jackie Ripley, "Nature's Way," *St. Petersburg Times,* July 21, 1991, p. 9.

١٢- مقتبس من David Harpster, "Plans for Stagecoach Springs Bounce Along," *San Diego Union-Tribune,* February 1, 1994, p. B1.

١٣- خلال لقاء مع مجموعة من المسئولين الحكوميين بدالاس فى ٢٩ نوفمبر ١٩٩٤ .

١٤- Doreen Heisler and Warren Klein, *Inside Look at Community Association Homeownership: Facts and Perceptions* (Alexandria, Va.: Community Associations Institute, 1996).

١٥- خلال لقاء مع مجموعة من المسؤولين الحكوميين بدالاس فى ٢٩ نوفمبر ١٩٩٤ .

الفصل الخامس

١- انظر : Time/CNN Poll by Yankelovich Partners, Inc., reported in Jon D. Hull, "The State of the Union," *Time,* January 30, 1995, p. 63; Ronet Bachman, *Crime Victimization in City, Suburban, and Rural Areas* (Washington, D.C.: Bureau of Justice Statistics, U.S. Department of Justice, 1992); and Carol J. DeFrances and Steven K. Smith, *Crime and Neighborhoods* (Washington, D.C.: Bureau of Justice Statistics, U.S. Department of Justice, 1994), p. 2.

٢- Bachman, *Crime Victimization,* p. 4.

٣- Bureau of Justice Statistics, *National Crime Victimization Survey* (Washington, D.C.: U.S. Department of Justice, 1993).

٤- مقتبس من Gabriel Escobar and Patrice Gaines-Carter, "A Housing Complex Divided: Anti-Crime Fencing Angers Some Potomac Garden Residents," *Washington Post,* June 14, 1992, sec. A, p. 1.

٥- Santiago O'Donnell, "More Than a Fence: 8-Foot Barrier Helped Cut Crime, Instill Hope at Potomac Gardens," *Washington Post,* December 10, 1992, sec. DC, p. 1.

٦- Miles Corwin, "Low-Income Project Gets Chic Security," *Los Angeles Times,* March 15, 1992, sec. B, p. 1.

٧- Oscar Newman, "Defensible Space: A New Physical Planning Tool for Urban Revitalization," *Journal of the American Planning Association,* vol. 61, no. 2 (Spring 1995), pp. 149-55.

٨- Corwin, "Low-Income Project."

٩- *Citizens against Gated Enclaves* v. *Whitley Heights Civic Association and the City of Los Angeles,* California State Court of Appeals, Harold J. (Fred) Woods, Judge, March 23, 1994.

١٠- Tom Lassiter, "Homeowners Explore Limiting Access," *Sun-Sentinel,* March 20, 1994, Broward ed., p. 5.

١١- Russ Loar, " Gating of College Park West Proposed," *Los Angeles Times,* Orange County ed., sec. B, pp. 2-6.

١٢- Stephanie Simon, "Gate Debate Lingers at Posh Community," *Los Angeles Times,* January 3, 1995, sec. B, pp. 1-2.

١٣- Associated Press, "Life behind Barricades: The New U.S. Community," *St. Petersburg Times,* February2, 1993, p. A1.

١٤- Kevin V. Johnson, "Chicago Suburb a Fortress against Crime," *USA Today,* July 6, 1995, p. 3A.

١٥- Mary Moore, "Part of Brentwood Allowed to Become Gated Community," *Los Angeles Times,* June 4, 1995, Westside ed., sec. J, p. 3.

١٦- Mary Moore, "Brentwood Road Bloc; Communities: Residents of Enclave Near the Getty Center Receive Tentative City Council Approval to Erect Gates," *Los Angeles Times,* May 18, 1995, sec. J, p. 3.

١٧- Bob Campbell, "Community Seeks to Close Gate on Crime," *St. Petersburg Times,* February 11, 1992, p. 1.

١٨- Walt Yost, "Council Pounds the Pavement: Franklin Villa Site of First 'Road Show,'" *Sacramento Bee,* August 26, 1993, p. N1 ؛ انظر أيضا الافتتاحية :

"Fenced in at Franklin Villa," *Sacramento Bee,* March 16, 1993, p. B6.

١٩- Diana Sugg, "Small Neighborhood under Siege: Hopes and Dreams Swept away by Wave of Drug Dealing, Gun Battles," *Sacramento Bee,* January 31, 1993, p. B1.

٢٠- Ina Jaffe, "Gated Communities Controversy in Los Angeles," مقتبس من *All Things Considered.* National Public Radio, August 11, 1992.

٢١- Oscar Newman, *Improving the Viability of Two Dayton Communities: Five Oaks and Dunbar Manor* (Great Neck, N.Y.: Institute for Community Design Analysis, 1992), p. 14.

٢٢- Mitchell Owens, "Saving Neighborhoods One Gate at a Time," *New York Times,* August 25, 1994, sec. B, p. 1.

٢٣- فى مقابلة مع كريستينا ابرامز المخططة من كوكونت جروف نت بمدينة ميامى فى ٧ ديسمبر ١٩٩٤ .

٢٤- John Williams, "Blocked Off; U.S. Probes Houston's Street Closures for Racial Intent," *Chicago Tribune,* January 1, 1995, Real Estate section, p. 4.

٢٥- Oscar Newman, *Community of Interest* (Garden City, N.Y.: Anchor Press/Doubleday, 1980), chapter 6.

٢٦- المرجع السابق .

٢٧- Fort Lauderdale Police Department, Crime Prevention/Planning and Research Unit, *Street Closure Study,* September 20, 1990, p. 9.

٢٨- فى مقابلة مع لويس ويسلر رئيس اتحاد ملاك ساوث كوكونت جروف فى ٧ ديسمبر ١٩٩٤ .

الفصل السادس

١- Jon D. Hull, ورد فى Time/CNN Poll by Yankelovich Partners, Inc., "The State of the Nation," *Time,* January 30, 1995, p. 63.

٢- Miles Corwin, "Guns for Hire: A Growing Corps of Private وردت فى Cops Is the First Line of Defense for Homes and Shops - but at a Price," *Los Angeles Times,* November 28, 1993, Magazine, p. 24.

٣- فى لقاء مع مجموعة من سكان بلانو بتكساس فى ٢٨ نوفمبر ١٩٩٤ .

٤- Oscar Newman, *Community of Interest* (Garden City, N.Y.: Anchor Press/Doubleday, 1980); Robert E. Park, Ernest W. Burgess, and

Roderick D. McKenzie, *The City* (University of Chicago Press, 1925); Constance Perin, *Everything in Its Place: Social Order and Land Use in America* (Princeton University Press, 1977); Gerald D. Suttles, *The Social Construction of Communities* (University of Chicago Press, 1972).

٥- Robert J. Dilger, *Neighborhood Politics: Residential Community Associations in American Governance* (New York University Press, 1992); Robert H. Nelson, "Private Neighborhoods: A New Direction for the Neighborhood Movement," in Charles C. Geisler and Frank J. Popper, eds., *Land Reform American Style* (Totowah, N.J.: Rowman and Allanheld, 1984).

٦- لم يكن مستطاعا إجراء مقارنة مباشرة بين المجتمعات المغلقة والمجتمعات المفتوحة. ورغم أن معهد اتحادات المجتمعات (المنظمة الوطنية لاتحادات الملاك) تلطف فأضاف المسح الذى قمنا به عن المجتمعات المغلقة ، إلى ذلك الذى أجراه بشأن عضوية اتحادات الملاك ، فقد سمح لنا بالاطلاع فحسب على البيانات الخام التى جاءت ردا على القسم الخاص بالمجتمعات المغلقة فى المسح الخاص بنا . أما التحليل الذى قام المعهد بنشره بناء على البيانات المجمعة ، فلم يتضمن مقارنة بين المجتمعات المغلقة والمفتوحة فيما عدا البيانات المتعلقة بمفهوم الأمن والتى جاءت فى نطاق القسم المذكور .

٧- Mark Baldassare and Georjeanna Wilson, "Overall 'Sense of Community' in a Suburban Region: The Effects of Localism, Privacy and Urbanization;" Working Paper 1994-15 (Department of Urban and Regional Planning, University of California at Irvine, 1994), p. 9.

٨- Carol J. Silverman and Stephen E. Barton, "Shared Premises: Community and Conflict in the Common Interest development," in Stephen E. Barton and Carol J. Silverman, eds., *Common Interest Communities: Private Government and the Public Interest* (Institute of Governmental Studies Press, University of California at Berkeley, 1994); *Common Interest Homeowners' Association Management Study* (Sacramento: California Department of Real Estate, 1987); Dilger, *Neighborhood Politics;* Gregory S. Alexander, "Conditions of 'Voice': Passivity, Disappointment, and Democracy in Homeowner Associations," in Barton and Silverman, *Common Interest Communities.*

٩- Marc Lacey, "Inside the Gates: A Naive Little Utopia," *Los Angeles Times*, June 16, 1991, sec. B, p. 3.

١٠- Amitai Etzioni, *The Spirit of Community: Rights, Responsibilities, and the Communitarian Agenda* (New York: Crown Publishers, 1993).

David M. Hummon, *Commonplaces: Community Ideology and Identity in American Culture* (Albany: State University of New York Press, 1990). -١١

Robert N. Bellah and others, *Habits of the Heart: Individualism and Commitment in American Life* (Harper and Row, 1986), p. 37. -١٢

-١٣ المرجع السابق .

-١٤ خلال لقاء مع مجموعة سماسرة يعملون فى بلاك هـوك ـ كاليفورنيـا فـى ٢٨ سـبتمبر ١٩٩٤ .

Newman, *Community of Interest,* p. 133. -١٥

Gregory S. Alexander, "Dilemmas of Group Autonomy: Residential Associations and Community," *Cornell Law Review,* vol. 75, no. 1 (1989), p. 61. -١٦

Daniel Kemmis, "Living Next to One Another," *Parabola,* Winter 1993. -١٧

-١٨ خلال لقاء مع مجموعة من المسئولين الحكوميين فى بلانو ـ تكسـاس فـى ٢٨ نوفمـبر ١٩٩٤ .

الفصل السابع

William W. Goldsmith and Edward J. Blakely, *Separate Societies: Poverty and Inequality in U.S. Cities* (Temple University Press, 1992). -١

Brad Edmundson, "Seven Generations," *American Demographics,* January 1995, p. 52. -٢

Mike Davis, *city of Quartz: Excavating the Future in Los Angeles* (New York: Verso, 1990), p. 130. -٣

Charles Lockwood, "Edge Cities on the Brink," *Wall Street Journal,* Wednesday, December 21, 1994, p. A18. -٤

Anthony Downs, *New Visions for Metropolitan America* (Brookings and Lincoln Institute of Land Policy, 1994), p. 204. -٥

Reynolds Farley and others, "Continued Racial Segregation in Detroit: 'Chocolate City, Vanilla Suburbs' Revisited," *Journal of Housing Research,* vol. 44, no. 1 (1993), pp. 1-38. -٦

George Galster, "Black Suburbanization: Has It Changed the Relative Location of Races?" *Urban Affairs Quarterly,* vol. 26, no. 4 (June 1991), p. 622. -٧

Douglas S. Massey and Nancy A. Denton, *American Apartheid: Segregation and the Making of the Underclass* (Harvard University Press, 1993), p. 69. ٨-

Greg Hinz, "Moving Violation," *Chicago,* March 1994, p. 21. ٩-

Massey and Denton, *American Apartheid,* p. 222. ١٠-

المرجع السابق . ١١-

Nancy Denton, "Are African Americans Still Hypersegregated? " in Robert Bullard, J. Eugene Grisby, and Charles Lee, eds., *Residential Apartheid: The American Legacy* (Los Angeles: CAAS Publications, 1994), pp. 62, 74. ١٢-

Massey and Denton, *American Apartheid;* George C. Galster and Sean P. Killen, "The Geography of metropolitan Opportunity: A Reconnaissance and Conceptual Framework," *Housing Policy Debate,* vol. 6, no. 1 (1995), pp. 7-41. ١٣-

Alan J. Abramson, Mitchell S. Tobin, and Matthew R. VanderGoot, "The Changing Geography of Metropolitan Opportunity: The Segregation of the Poor in U.S. Metropolitan Areas, 1970 to 1990," *Housing Policy Debate,* vol. 6, no. 1 (1995), pp. 45-72. ١٤-

Claude S. Fischer and others, *Inequality by Design: Cracking the Bell Curve Myth* (Princeton University Press, 1996). ١٥-

Dennis R. Judd, "The Rise of the New Walled Cities," in Helen Liggett and David C. Perry, eds., *Spatial Practices: Critical Explorations in Social/Spatial Theory* (Thousand Oaks, Calif.: Sage Publications, 1995), p. 161. ١٦-

Mark Baldassare, Annual Orange County Survey conducted by the انظر ١٧-
University of California at Irvine, 1994; and Jon D. Hull, "The State of the Union," *Time,* January 30, 1995, p. 63.

Patrick T. Reardon, "Fears, Frustrations Set Off the Exodus," *Chicago Tribune,* November 29, 1993, p. 1. ١٨-

Bureau of Justice Statistics, *National Crime Victimization Survey* (Washington, D.C.: U.S. Department of Justice, 1993). ١٩-

Edward J. Blakely, "Shaping the American Dream: Land Use Choices for America's Future," Working Paper (Lincoln Institute of Land Policy, Cambridge, Massachusetts, 1993). ٢٠-

Gail George, "Immigrants Spur Appeals to the Feds and Crime Sends Tourists toward Calmer Climes," *Business Week,* September 19, 1994, p. 4. ٢١-

٢٢- William H. Frey, "Immigration and Internal Migration Flight from U.S. Metropolitan Areas: Toward a New Demographic Balkanization," *Urban Studies,* vol. 32, no. 4 (1995), pp. 733-57.

٢٣- Dale Maharidge, "Walled Off," essay for publication in *Mother Jones Magazine,* n.d., 1995.

٢٤- Galster and Killen, "Geography of Metropolitan Opportunity."

٢٥- John Kain, "The Spatial Mismatch Hypothesis: Three Decades Later," *Housing Policy Debate,* vol. 6, no. 1 (1995), pp. 371-460.

٢٦- William Julius Wilson, *The Truly Disadvantaged: The Inner City, the Underclass, and Public Policy* (University of Chicago Press, 1987), p. 60.

٢٧- Associated Press, "Life behind Barricades: The New U.S. Community," *St. Petersburg Times,* February 2, 1993, p. A1.

٢٨- Art Lawler, "Perot Group Project Has a Fast Start," *Dallas Morning News,* March 26, 1992, p. 1F.

٢٩- Robert Bullard, J. Eugene Grigsby, and Charles Lee, *Residential Apartheid: The American Legacy* (Los Angeles: CAAS Publications, 1994).

٣٠- Y. Rabin, "The Persistence of Racial Isolation: The Role of Government Action," Working Paper (Department of Urban Studies, Massachusetts Institute of Technology, 1991).

٣١- مقتبس من Constance Perin, *Everything in Its Place: Social Order and Land Use in America* (Princeton University Press, 1977), p. 87.

٣٢- انظر Jim Schwab, "Home, Safe Home?" *Zoning News,* American Planning Association, September 1993, p. 3.

٣٣- مقابلة مع مسئولى مدينة بلانو ـ تكساس فى ٢٨ نوفمبر ١٩٩٤ .

٣٤- June Fletcher, "Behind Walls, Millions Seek Safe Havens," *Wall Street Journal,* February 2, 1996, p. B8.

٣٥- Bennett Roth, "Barricading Streets Can't Cut Off Controversy," *Los Angeles Times,* January 31, 1994, sec. B, p. 1.

٣٦- J. Linn Allen, "Today's Castles: Some Seek Refuge behind Walls, Gates," *Chicago Tribune,* May 12, 1990, Home Guide, Zone C, p. 1.

٣٧- فى مقابلة مع مجموعة مسؤولين حكوميين بدالاس ، فى ٢٩ نوفمبر ١٩٩٤ .

٣٨- Metropolitan Area Planning Department, "Report on Gated Subdivisions" (Wichita, Kansas, September 13, 1995), p. 6.

٣٩- من محاضر اجتماعات لجنة التخطيط للمنطقة الحضرية ، ويشيتا ـ كانساس ، في ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ .

٤٠- مقتبس من Stephanie Simon, "Thousand Oaks City Council to Vote on Enclave's Gate Plan," *Los Angeles Times,* April 27, 1993, sec. B, p. 1.

٤١- مقتبس من Bob Campbell, "Subdivision Security Plan Is Critiqued," *St. Petersburg Times,* March 11, 1992, sec. 1, p. 1.

٤٢- مقتبس من Ina Jaffe, "Gated Communities Controversy in Los Angeles," *All Things Considered.* National Public Radio, August 11, 1992.

٤٣- مقتبس من Allen, "Today's Castles."

٤٤- Mitchell Owens, "Saving Neighborhoods One Gate at a Time," *New York Times,* August 25, 1994, sec. B, p. 1.

الفصل الثامن

١- انظر: Oscar Newman, *Defensible Space; Crime Prevention through Urban Design* (Macmillan, 1972); and Jane Jacobs, *The Death and Life of Great American Cities* (Modern Library, 1993).

٢- Oscar Newman, *Community of Interest* (Garden City, N.Y.: Anchor Press/Doubleday, 1980).

٣- Gerda R. Wekerle and Carolyn Whitzman, *Safe Cities: Guidelines for Planning, Design, and Management* (New York: Van Nostrand Reinhold, 1995), p. 51.

٤- Stephanie Mann with M. C. Blakeman, *Safe Homes: Safe Neighborhoods: Stopping Crime Where You Live* (Berkeley, Calif.: Nolo Press, 1993).

٥- Lorraine Woellert, "Celebrating Diversity Makes Difference; Mount Pleasant Puts Riot, Polarity in Past-Tense View," *Washington Times,* May 24, 1993, p. B1.

٦- Brenda Eubank, "A Closer Look at the Users of Woonerven," in Anne Vernez Moudon, *Public Streets for Public Use* (New York: Van Nostrand Reinhold, 1987).

٧- John M. Fernandez, "Builder Brings Back the Neighborhood Street," *Planning,* June 1994, pp. 21-26.

٨- Eubank, "A Closer Look"; Michael Southworth and Eran Ben-Joseph, "Regulated Streets: The Evolution of Standards for Suburban Residential Streets," Working Paper 593 (Institute of Urban and Regional Development, University of California at Berkeley, 1993).

٩- Fernandez, "Builder Brings Back the Neighborhood Street."

١٠- Timothy Beatley and David J. Brower, "Sustainability Comes to Main Street," *Planning,* May 1993; and Sim Van der Ryn and Peter Calthorpe, eds., *Sustainable Communities: A New Design Synthesis for Cities, Suburbs and Towns* (San Francisco: Sierra Club Books, 1986).

١١- John Hagan and Ruth D. Peterson, eds., *Crime and Inequality* (Stanford University Press, 1995).

١٢- Robert A. M. Stern, ed., *The Anglo-American Suburb,* Architectural Design Profile (New York: St. Martin's Press, 1981).

١٣- Philip Langdon, *A Better Place to Live: Reshaping the American Suburb* (University of Massachusetts Press, 1994).

١٤- Susan Handy, "Neo-traditional Development: The Debate," *Berkeley Planning Journal* (1991), pp. 135-44.

١٥- Peter Calthorpe, *The Next American Metropolis: Ecology, Community, and the American Dream* (Princeton, N.J.: Princeton Architectural Press, 1993), p. 37.

١٦- Mark Baldasarre, *Trouble in Paradise: The Suburban Transformation in America* (Columbia University Press, 1986), p. 144.

١٧- Anthony Downs, *New Visions for Metropolitan America* (Brookings and Lincoln Institute for Land Use Policy, 1994), p. 58.

١٨- أنشئت شركة بريدج هاوسن كوربوريشن بمشاركة القطاعين العام والخاص في مجلس منطقة الخليج ، وقامت ببناء إسكان مختلط يجمع بين دخول متباينة ومنازل تخدم أغراضا مختلفة استمرت بنجاح لأكثر من عقد . وشركة بريدج واحدة من أكبر مائة شركة عاملة فى الإسكان متعدد الأسر فى الولايات المتحدة .

١٩- William W. Goldsmith and Edward J. Blakely, *Separate Societies: Poverty and Inequality in U.S. Cities* (Temple University Press, 1992).

٢٠- Daniel Patrick Moynihan, *The Negro Family: The Case for National Action* (Washington, D.C.: U.S. Department of Labor, 1965).

٢١- كتب جون جاردنر وزير الصحة والخدمات الإنسانية السابق ، وتحدث في موضوع المجتمع كآلية منطقية وحيدة لجمع شتات أمة تتزايد مظاهر التنوع فيها . كما شارك

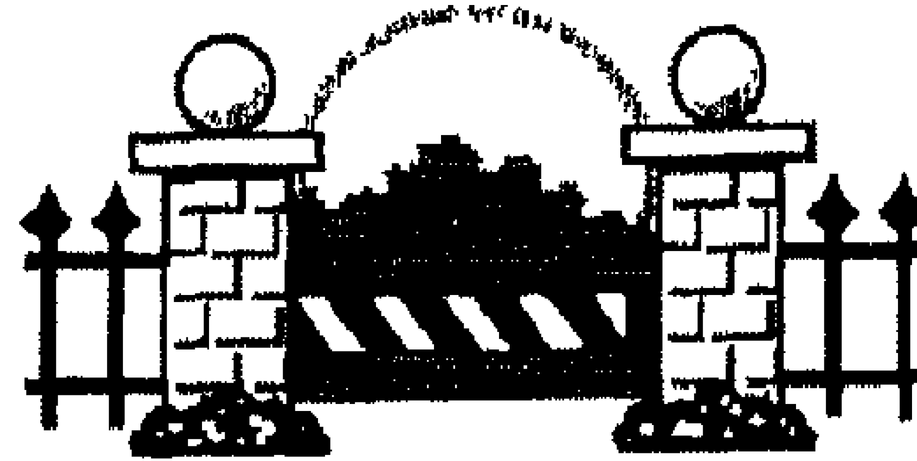
اميتاى ايتزونى فى تأسيس صحيفة *The Responsive Community* التى تركز على بناء أخلاقيات مجتمعية جديدة فى المجتمع .

٢٢- Michael Walzer, *Spheres of Justice: A Defense of Pluralism and Equality* (Basic Books, 1983), p. 2.

٢٣- Downs, *New Visions for Metropolitan America,* p. 205.

٢٤- Eric F. Goldman, *Rendezvous with Destiny* (New York: Vintage Books, 1958), p. 347 ؛ روزفلت Roosevelt مقتبس من ص ٣٤٦ .

المراجـــع



Abramson, Alan J., Mitchell S. Tobin, and Matthew R. VanderGoot. "The Changing Geography of Metropolitan Opportunity: The Segregation of the Poor in U.S. Metropolitan Areas, 1970 to 1990." *Housing Policy Debate* 6, no. 1 (1995): 45–72.

Alexander, Gregory S. "Conditions of 'Voice': Passivity, Disappointment, and Democracy in Homeowner Associations." In Stephen E. Barton and Carol J. Silverman, eds., *Common Interest Communities: Private Government and the Public Interest.* Institute of Governmental Studies Press, University of California at Berkeley, 1994.

———. "Dilemmas of Group Autonomy: Residential Associations and Community." *Cornell Law Review* 75, no. 1 (1989):1-61.

Anderson, Elijah. *Streetwise: Race, Class and Change in an Urban Community.* University of Chicago Press, 1990.

Baldassare, Mark. Orange County Annual Survey. Irvine, Calif., Program in Social Ecology and Public Policy Research, University of California, 1994.

———. *Trouble in Paradise: The Suburban Transformation in America.* Columbia University Press, 1986.

Baldassare, Mark, and Georjeanna Wilson. "Overall 'Sense of Community' in a Suburban Region: The Effects of Localism, Privacy and Urbanization."

Working Paper 1994-15. Department of Urban and Regional Planning, University of California at Irvine, 1994.

Barton, Stephen E., and Carol J. Silverman. "Common Interest Communities: Private Government and the Public Interest Revisited." In Stephen E. Barton and Carol J. Silverman, eds., *Common Interest Communities: Private Government and the Public Interest.* Berkeley: Institute of Governmental Studies Press, University of California at Berkeley, 1994.

———. *Common Interest Homeowners' Association Management Study.* Sacramento: California Department of Real Estate, 1987.

Barton, Stephen E., and Carol J. Silverman, eds. *Common Interest Communities: Private Government and the Public Interest.* Berkeley: Institute of Governmental Studies Press, University of California at Berkeley, 1994.

Beatley, Timothy, and David J. Brower. "Sustainability Comes to Main Street." *Planning*, May 1993.

Bellah, Robert N., and others. *Habits of the Heart: Individualism and Commitment in American Life.* Harper and Row, 1986.

Blakely, Edward J. "Shaping the American Dream: Land Use Choices for America's Future." Working Paper. Lincoln Institute of Land Policy, Cambridge, Mass., 1993.

Boddy, Trevor. "Underground and Overhead: Building the Analogous City." In Michael Sorkin, ed. *Variations on a Theme Park: The New American City and the End of Public Space.* New York: Hill and Wang, 1992.

Bowen, W. A. *Selected Statistics and Comments Concerning Poverty in California and the Nation.* Department of Geography, California State University, Northridge.

Bruegmann, Robert. "The Twenty-Three Percent Solution." *American Quarterly* 46, no. 1 (March 1994): 31–34.

Bullard, Robert, J. Eugene Grigsby, and Charles Lee, eds. *Residential Apartheid: The American Legacy.* Los Angeles: CAAS Publications, 1994.

Bureau of Justice Statistics. *National Crime Victimization Survey.* Washington, D.C.: U.S. Department of Justice, 1993.

———. *Rural, Suburban, and Inner City Victimization.* Washington, D.C.: U.S. Department of Justice, 1989.

Citizens against Gated Enclaves v. *Whitley Heights Civic Association and the City of Los Angeles.* California State Court of Appeals, Harold J. (Fred) Woods, Judge. March 23, 1994.

Calthorpe, Peter. *The Next American Metropolis: Ecology, Community, and the American Dream.* New York: Princeton Architectural Press, 1993.

Charles Lesser and Co. "Flexexecutive: Redefining the American Dream." *Advisory*, Fall 1994.

Chinitz, Ben. "A Framework for Speculating about Future Urban Growth Pat-

terns in the United States." Lincoln Institute of Land Policy, Cambridge, Mass., 1991.
"Crime: Safer Streets, Yet Greater Fear." *Time*, January 20, 1995.
Danielson, Michael N. *The Politics of Exclusion*. Columbia University Press, 1976.
Davis, Mike. *City of Quartz: Excavating the Future in Los Angeles*. New York: Verso, 1990.
———. "Fortress Los Angeles: The Militarization of Urban Space." In Michael Sorkin, ed., *Variations on a Theme Park: The New American City and the End of Public Space*. New York: Hill and Wang, 1992.
Defrances, Carol J., and Steven K. Smith. Crime and Neighborhoods. Washington, D.C.: Bureau of Justice Statistics, U.S. Department of Justice, 1994.
Denton, Nancy. "Are African Americans Still Hypersegregated?" In Robert Bullard, J. Eugene Grigsby, and Charles Lee, eds., *Residential Apartheid: The American Legacy*. Los Angeles: CAAS Publications, 1994.
Dilger, Robert J. *Neighborhood Politics: Residential Community Associations in American Governance*. New York University Press, 1992.
Downs, Anthony. *New Visions for Metropolitan America*. Brookings and Lincoln Institute of Land Policy, 1994.
Edmundson, Brad. "Seven Generations." *American Demographics*, January 1995.
Etzioni, Amitai. *The Spirit of Community: Rights, Responsibilities, and the Communitarian Agenda*. New York: Crown Publishers, 1993.
Eubank, Brenda. "A Closer Look at the Users of Woonerven." In Anne Vernez Moudon, *Public Streets for Public Use*. New York: Van Nostrand Reinhold, 1987.
Farley, Reynolds and others. "Continued Racial Residential Segregation in Detroit: 'Chocolate City, Vanilla Suburbs' Revisited." *Journal of Housing Research* 4, no. 1 (1993): 1–38.
Fischer, Claude S. *To Dwell among Friends: Personal Networks in Town and City*. University of Chicago Press, 1982.
Fischer, Claude S. and others. *Inequality by Design: Cracking the Bell Curve Myth*. Princeton University Press, 1996.
Fishman, Robert. *Bourgeois Utopias: The Rise and Fall of Suburbia*. Basic Books, 1987.
Ft. Lauderdale (Fla.) Police Department, Crime Prevention/Planning and Research Unit. *Street Closure Study*. September 20, 1990.
————. "Four Income Families." *Money*, vol. 24, no. 2 (February 1995): 148–54.
Frey, William H. "Immigration and Internal Migration Flight from U.S. Metropolitan Areas: Toward a New Demographic Balkanization." *Urban Studies* 32, no. 4 (1995): 733–57.

Galster, George C. "Housing Discrimination and Urban Poverty of African-Americans." *Journal of Housing Research* 2, no. 2 (1991):87–122.

———. "Black Suburbanization: Has It Changed the Relative Location of Races?" *Urban Affairs Quarterly* 26, no. 4 (June 1991): 622.

Galster, George C., and Sean P. Killen. "The Geography of Metropolitan Opportunity: A Reconnaissance and Conceptual Framework." *Housing Policy Debate* 6, no. 1 (1995): 7–41.

Galster, George C., and Maris Mikelsons. "The Geography of Metropolitan Opportunity: A Case Study of Neighborhood Conditions Confronting Youth in Washington, D.C." *Housing Policy Debate* 6, no. 1 (1995): 73–103.

Gans, Herbert J. *The Levittowners: Ways of Life and Politics in a New Suburban Community*. Pantheon Books, 1967.

Garreau, Joel. *Edge City: Life on the New Frontier*. Doubleday, 1991.

Geisler, Charles C., and Frank J. Popper, eds. *Land Reform American Style*. Totowa, N.J.: Rowman and Allanheld, 1984.

George, Gail. "Immigrants Spur Appeals to the Feds and Crime Sends Tourists toward Calmer Climes." *Business Week*, September 19, 1994.

Glynn, Thomas J. "Psychological Sense of Community: Measurement and Application. *Human Relations* 34, no. 7 (1981): 789–818.

Goldman, Eric F. *Rendezvous with Destiny*.Vintage Books, 1958.

Goldsmith, William W., and Edward J. Blakely. *Separate Societies: Poverty and Inequality in U.S. Cities*. Temple University Press, 1992.

Guterson, David. "Home, Safe Home." *Utne Reader*, March/April 1993.

Hagan, John, and Ruth D. Peterson, eds. *Crime and Inequality*. Stanford University Press, 1995.

Handy, Susan. "Neo-traditional Development: The Debate." *Berkeley Planning Journal* 6 (1991): 135–44.

Heisler, Doreen, and Warren Klein. *Inside Look at Community Association Homeownership: Facts and Perceptions*. Alexandria, Va.: Community Associations Institute, 1996.

Hillery, George A., Jr. "Definitions of Community: Areas of Agreement." *Rural Sociology* 20 (June 1955): 118.

Hinz, Greg. "Moving Violation." *Chicago*, March 1994.

Hull, John. "The State of the Nation." *Time*, January 30, 1995.

Hummon, David M. *Commonplaces: Community Ideology and Identity in American Culture*. Albany: State University of New York Press, 1990.

Jackson, Kenneth. *Crabgrass Frontier: The Suburbanization of the United States*. New York: Oxford University Press, 1985.

Jacobs, Jane. *The Death and Life of Great American Cities*. Modern Library, 1993.

Janowitz, Morris. *Community Press in an Urban Setting: The Social Elements of Urbanism*. 2d ed. University of Chicago Press, 1967.

Judd, Dennis R. "The Rise of the New Walled Cities." In Helen Liggett and David C. Perry, eds., *Spatial Practices: Critical Explorations in Social/Spatial Theory*. Thousand Oaks, Calif.: Sage Publications, 1995.

Kain, John . "The Spatial Mismatch Hypothesis: Three Decades Later." *Housing Policy Debate* 6, no. 1 (1995): 371–460.

Kanter, Rosabeth Moss. *Commitment and Community: Communes and Utopias in Sociological Perspective*. Harvard University Press, 1972.

Keating, Dennis. *The Suburban Dilemma*. Temple University Press, 1994.

Kemmis, Daniel. "Living Next to One Another." *Parabola* (Winter 1993):6–11.

Kennedy, David J. "Residential Associations as State Actors: Regulating the Impact of Gated Communities on Nonmembers." *Yale Law Journal*, vol. 105, no. 3 (December 1995): 761–93.

Lakoff, Sanford A., with Daniel Rich, eds. *Private Government: Introductory Readings*. Glenview, Ill.: Scott, Foresman, 1973.

Landis, John. "Do Growth Controls Work? A New Assessment." Working Paper 547. Institute of Urban and Regional Development, University of California at Berkeley, 1991.

———. "The Future of America's Center Cities." University of California at Berkeley, 1988.

Langdon, Philip. *A Better Place to Live: Reshaping the American Suburb*. Amherst: University of Massachusetts Press, 1994.

Latham, Earl. "The Body Politic of the Corporation." In Edward S. Mason, ed., *The Corporation in Modern Society*. Harvard University Press, 1959.

Leinberger, Christopher B., and Charles Lockwood. "How Business Is Reshaping America." *Atlantic*, October 1986.

Leinberger, Christopher B. "Suburbia." Los Angeles, Calif.: Robert Charles Lesser and Co., 1993.

Liggett, Helen, and David C. Perry, eds. *Spatial Practices: Critical Explorations in Social/Spatial Theory*. Thousand Oaks, Calif.: Sage Publications, 1995.

Louv, Richard. *America II: The Book That Captures America in the Act of Creating the Future*. New York: Penguin, 1985.

McKenzie, Evan. *Privatopia: Homeowner Associations and the Rise of Residential Private Government*. Yale University Press, 1994.

Maharidge, Dale. "Walled Off." *Mother Jones Magazine*, vol. 19, no. 6 (Nov.–Dec. 1994): 26.

Mann, Stephanie, with M. C. Blakeman. *Safe Homes, Safe Neighborhoods: Stopping Crime Where You Live*. Berkeley, Calif.: Nolo Press, 1993.

Marcuse, Peter. "Not Chaos, but Walls: Postmodernism and the Partitioned City." In Sophie Watson and Katherin Gibson, eds., *Postmodern Cities and Spaces*. Oxford: Blackwell, 1995.

Massey, Douglas S., and Nancy A. Denton. *American Apartheid: Segregation*

and the Making of the Underclass. Harvard University Press, 1993.
Metropolitan Area Planning Department. "Report on Gated Subdivisions." Wichita, Kansas, September 13, 1995.
Michelson, William. *Environmental Choice, Human Behavior, and Residential Satisfaction*. New York: Oxford University Press, 1977.
Nasar, Jack L., and David A. Julian. "The Psychological Sense of Community in the Neighborhood." *Journal of the American Planning Association*, vol. 6, no. 2 (Spring 1995): 178–84.
Nelson, Robert H. "Private Neighborhoods: A New Direction for the Neighborhood Movement." In Charles C. Geisler and Frank J. Popper, eds. *Land Reform American Style*. Totowah, N.J.: Rowman and Allanheld, 1984.
———. "The Privatization of Local Government: From Zoning to RCAs." In *Residential Community Associations: Private Governments in the Intergovernmental System?* Washington, D.C.: United States Advisory Commission on Intergovernmental Relations, 1989.
Newman, Oscar. *Community of Interest*. Garden City, N.Y.: Anchor Press/ Doubleday, 1980.
———. *Defensible Space: Crime Prevention through Urban Design*. New York: Macmillan, 1972.
———. "Defensible Space: A New Physical Planning Tool for Urban Revitalization." *Journal of the American Planning Association* 61, no. 2 (Spring 1995): 149–55.
———. *Improving the Viability of Two Dayton Communities: Five Oaks and Dunbar Manor*. Great Neck, N.Y.: Institute for Community Design Analysis, 1992.
Nisbet, Robert A. *The Quest for Community*. New York: Oxford University Press, 1970.
Park, Robert E., Ernest W. Burgess, and Roderick D. McKenzie. *The City*. University of Chicago Press, 1925.
Parker, Rowland. *The Common Stream*. London: Granada Publishing, 1976.
Parrington, Vernon L. *The Colonial Mind: 1620–1800*. Harvest Books–Harcourt, Brace and Co., 1954.
Perin, Constance. *Everything in Its Place: Social Order and Land Use in America*. Princeton University Press, 1977.
Petersen, John E. "The Blossoming of Micro Governments." *Governing*, October 1994.
Rabin, Y. "The Persistence of Racial Isolation: The Role of Government Action." Working Paper. Department of Urban Studies, Massachusetts Institute of Technology, 1991.
Reich, Robert B. *The Work of Nations: Preparing Ourselves for 21st-Century Capitalism*. A. A. Knopf, 1991.

Sandefur, Gary D., and Marta Tienda, eds. *Divided Opportunities: Minorities, Poverty, and Social Policy*. New York: Plenum Press, 1988.
Scott, Stanley. "The Homes Association: Will 'Private Government' Serve the Public Interest?" *Public Affairs Report* 8, no. 1.
Sennett, Richard. *The Fall of Public Man*. W. W. Norton, 1992.
Sharpe, William, and Leonard Wallock. "Bold New City or Built-Up Burb?: Redefining Contemporary Suburbia." *American Quarterly* 46, no. 1 (March 1994): 1–30.
Sorkin, Michael, ed. *Variations on a Theme Park: Scenes from the New American City and the End of Public Space*. Hill and Wang, 1992.
Southworth, Michael, and Eran Ben-Joseph. "Regulated Streets: The Evolution of Standards for Suburban Residential Streets." Working Paper 593. Institute of Urban and Regional Development, University of California at Berkeley, 1993.
———. *Streets and the Shaping of Towns and Cities*. New York: McGraw-Hill, 1997.
Stern, Robert A. M., ed. *The Anglo-American Suburb*, Architectural Design Profile. New York: St. Martin's Press, 1981.
Sternlieb, George. "Charting the 1990s—Things Ain't What They Used to Be." *Journal of the American Planning Association* 56, no. 4 (1990): 492–96.
Suttles, Gerald. *The Social Construction of Communities*. University of Chicago Press, 1972.
Szymanski, Richard. "Can Changing Neighborhood Traffic Circulation Patterns Reduce Crime and Improve Personal Safety? A Quantitative Analysis of One Neighborhood's Efforts." Master's thesis, Department of City and Regional Planning, Florida Atlantic University, 1994.
Tönnies, Ferdinand. *Community and Society*. Translated and edited by Charles P. Loomis. 1887; New York: Harper & Row, 1963.
Town and Country. "Wealth in America." Hearst Corporation, 1994.
United States Advisory Commission on Intergovernmental Relations. *Residential Community Associations: Private Governments in the Intergovernmental System?* Washington, D.C.: USACIR, 1989.
U.S. Department of Labor, Office of Policy Planning and Research. *The Negro Family: The Case for National Action*. Washington, D.C.: 1965.
Van der Ryn, Sim, and Peter Calthorpe, eds. *Sustainable Communities: A New Design Synthesis for Cities, Suburbs, and Towns*. San Francisco: Sierra Club Books, 1986.
Vidal, Avis. "Reintegrating Disadvantaged Communities into the Fabric of Urban Life: The Role of Community Development." *Housing Policy Debate* 6, no. 1(1995): 169–230.
Vidich, Arthur J., and Joseph Bensman. *Small Town in Mass Society*. Princeton University Press, 1968.

Walzer, Michael. *Spheres of Justice: A Defense of Pluralism and Equality*. Basic Books, 1983.
Warren, Roland. *The Community in America*. Chicago: Rand McNally, 1978.
Webber, Melvin. "Order in Diversity: Community without Propinquity." In Lowdon Wingo Jr., ed. *Cities and Space: The Future Use of Urban Land*, essays from the fourth RFF Forum. Johns Hopkins University Press, 1963.
Weibe, Robert. *The Segmented Society: An Introduction to the Meaning of America*. New York: Oxford University, Press, 1975.
Weiss, Marc A. "Community Builders and Community Associations: The Role of Real Estate Developers in Private Residential Governance." In *Residential Community Associations: Private Governments in the Intergovernmental System*. Washington, D.C.: United States Advisory Commission on Intergovernmental Relations, 1989.
———. *The Rise of the Community Builders: The American Real Estate Industry and Urban Land Planning*. Columbia University Press, 1987.
Wekerle, Gerda R., and Carolyn Whitzman. *Safe Cities: Guidelines for Planning, Design, and Management*. New York: Van Nostrand Reinhold, 1995.
Wellman, Barry, and Barry Leighton. "Networks, Neighborhoods and Communities: Approaches to the Study of the Community Question." *Urban Affairs Quarterly* 14, no. 3 (1978): 363–90.
Wilson, William Julius. *The Truly Disadvantaged: The Inner City, the Underclass, and Public Policy*. University of Chicago Press, 1987.
Wingo, Lowdon Jr., ed. *Cities and Space: The Future Use of Urban Land*, essays from the fourth RFF Forum. Johns Hopkins University Press, 1963.
Wirth, Louis. "Urbanism as a Way of Life." *American Journal of Sociology* 44 (1938): 3–24.

الفهـــرس

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(ن)

(هـ)

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

رقم الإيداع : ٢٩١٦/٢٠٠٠
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977-320-032-9



أمريكا القلعة

شرعت مجموعات متزايدة من الأمريكيين فى بناء قلاع خاصة بهم تعزل منازلهم وحياتهم عن جيرانهم، وتكاثرت بصورة هائلة الأسوار والبوابات والحواجز. ويقدر عدد من يعيشون فى مجتمعات مغلقة مسورة بنحو ٨ ملايين أمريكى.

والكتاب الحالى هو أول دراسة شاملة عن هذه الظاهرة: أسبابها ونتائجها، والتى لا تقتصر على الموسرين، بل تشمل أصحاب الدخول المتوسطة وحتى المتواضعة. ويتساءل المؤلفان: هل يمكن أن يكون هناك عقد اجتماعى مع هذا التشرذم وانقطاع الاتصال الاجتماعى وتنامى عقلية «القلعة» فى أمريكا، وهل يقلل هذا الاتجاه الجريمة أم يفاقم الشعور بالخوف، وما أثر إبعاد «الآخرين» على تماسك الأمة، وما أثر خصخصة البيئة الاجتماعية والانعزال على المشاركة السياسية؟.

والمؤلفان: إدوارد ج. بلاكلى، عميد مدرسة التخطيط الحضرى والإقليمى فى جامعة جنوب كاليفورنيا، حائز على جائزة بول دافيدوف عن أفضل كتاب فى التخطيط وله عدة مؤلفات تحظى بشهرة دولية، ومارى جيل سنايدر تعمل بإدارة تخطيط المدن والتخطيط الإقليمى بجامعة كاليفورنيا فى بيركلى.

الناشر

- **مركز الأهرام للترجمة والنشر**
مؤسسة الأهرام
- **مطابع الأهرام التجارية** - قليوب - مصر

- التوزيع فى الداخل والخارج
وكالة الأهرام للتوزيع
شارع الجلاء - القاهرة